T.C.

BİNGÖL ÜNİVERSİTESİ

SOSYAL BİLİMLER ENSİTÜSÜ

TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI

TEFSİR BİLİM DALI

HÜSAMUDDİN ALİ BİTLİSÎ'NİN CAMİU'T-TENZİL VE'T TE'VİL TEFSİRİNİN KASAS, ANKEBUT, RUM, LUKMAN, SECDE, AHZAP VE SEBE SURELERİNİN TAHKİKİ

Hazırlayan

ISMAEL AHMED SALIH

YÜKSEK LİSANS TEZİ

Danışman

Yrd. Doç. Dr. Naim DÖNER

Bingöl-2017

الجمهورية التركية

جامعة بنغول

معهد العلوم الإجتماعية

قسم العلوم الإسلامية قسم التفسير

تحقيق ودراسة سور

(القصص، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة، الأحزاب، سبأ) من تفسير "جامع التنزيل والتأويل"

لحسام الدين علي بن عبدالله البدليسي المتوفى سنة (٩٠٠٩ه – ١٤٩٥ م)

إعداد: إسماعيل أحمد صالح

رسالة ماجستير

المشرف: أ.م: د. نعيم دونر

بينغول – 2017- م

المحتويات

قبول الرسالة ..... **IV**

المقدمة V

الملخَّص VI

ÖZET VII

SUMMARY VIII

الاختصارات IX

رموزات المخطوطة: IX

المدخل : ١

I-أهمِّ أسباب إختيارى للموضوع ٢

II- مشاكل البحث: ٢

الفصل الأول

نبذة عن عصر المؤلف و حياته ٣

١ . الحالة السياسية في عهد المؤلف ٣

٢. نبذة عن حياته ٤

٢ .١ إسمه ونسبه ولقبه ٤

٢,٢ نشأته وطلبه للعلم ٤

٣,٢. وفاته : ٥

٣. حياة الشيخ العلمية : ٥

٣. ١ مكانته العلمية : ٦

٢,٣ شيوخه وتلاميذه ٧

٣,٣ بعض مؤلفاته : ٨

٤ . دراسة عن كتاب جامع التنزيل والتأويل. ٨

١,٤ إثبات نسبة الكتاب لمؤلفه ٨

٢,٤ أهميَّة الكتاب وذكر مصادره فيه ٩

٣,٤ وصف المخطوط، ومنهج المؤلف في كتابه ١٠

٤. ٢,٣ منهجه إجمالاً كما وصفه في مقدمة كتابه ١٢

٥. بحوث ومقالات على حياة المفسر ومنهجه في التفسير : ١٣

٦. منهجي في التحقيق : ١٤

الفصل الثاني

النَّص المحقّق ١٥
١. سورة القصص..... **١٥**
٢ . سورة العنكبوت: **٦٥**
سورة العنكبوت مكّية **٦٥**
٣ . سورة الروم **٩٦**
٤ . سورة لقمان..... **١١١**
٥. سورة السجدة..... **١٣١**
٦ . سورة الأحزاب..... **١٤٥**
٧. سورة سبأ..... **١٨٦**
الخاتمة..... ٢١٤
المصادر والمراجع ٢١٥
ÖZGEÇMİŞ..... ٢٢٥

BİLİMSEL ETİK BILDIRIM RAPORU

Yüksek lisans tezi olark hazırladığım "***Hüsamuddin Ali Bitlisî'nin Camiu't-Tenzil ve't-Te'vil Tefsininin Kasas, Ankebut, Rum, Lukman, Secde, Ahzap ve Sebe Surelerinin Tahkiki*"** adlı çalışmanın öneri aşamasından sonuçlanmasına kadar geçen süreçte bilimsel etiğe ve akademik kurallara özenle uyduğumu, tez içindeki tüm bilgileri bilimsel ahlak ve gelenek çerçevesinde elde ettiğimi, tez yazım kurallarına uygun olarak hazırladığım, bu çalışmada doğrudan veya dolaylı olarak yaptığım her alıntıya kaynak gösterdiğimi ve yararlandığım eserlerin kaynakçada gösterilenlerden olduğunu beyan ederim.

…./5/2017

Ismael Ahmed SALIH

قبول الرسالة

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الذى عمَّت حكمته الوجود، والذى شَمِلَتْ رحمته كل موجود، نحمد الله سبحانه وتعالى ونشكره بكل لسان محمود، ونشهد أنَّه لا إله إلّا هو وحده لا شريك له، له الحمد وله الملك وهو الغفور الودود، وعد سبحانه وتعالى من أطاعه بالعزة، كما توعَّد من عصاه بالنّار والخلود، ونشهد أنَّ نبينا محمد بن عبد الله هو عبده ورسوله، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، وصلى الله عليه وسلم تسليماً كثيرا .

أما بعد:

فقد انتهينا من تحقيق هذا الجزء الذي خصَّص لنا من قِبل الجامعة الموقَّرة والحمد لله فكان تحقيقنا لهذا الجزء من التَّفسير يُعطي الأهمية الكثيرة. منها أنَّنا حقَّقنا شيئاً بحيث جدَّدناه لكي يستفيد منه العالم وغيره في أيّ بُقعة من بقاع الأرض، وجدَّدنا سيرة أحد عُلماء الأُمَّة الإسلامية لأنَّه كان حقاً جبلاً راسخاً في العلم وبالأخص في التَّفسير ، والكلام عن شخصية هذا العالم الجليل لا ينتهي بكلمتين أو أقل بل يحتاج إلى كتب تخصُّ سيرته العطرة، وننصح طلاب العلم الشرعي بتحقيق تراثنا القديم حتى ينالوا هذا الفضل العظيم؛ ألا وهو تجديد دين الله تعالى والدفاع عنه، وهذا يشمل كل العلوم الشرعية، وأخيراً أتوجَّه بالشُّكر الجزيل لأُستاذي المشرف على البحث الدكتور نعيم دونر الذي قدَّم ما بوسعه من إرشادٍ وتوجيه، ولقد استفدتُ من عِلمه وسعةِ صدره، فنسأل الله العلي القدير أنْ يعظم له القدر والأجر في الدُنيا والآخرة، وكما أتقدَّم بالشُّكر الجزيل للِّجنة المناقشة على تفضُّلها بقبول مناقشة هذا البحث وتقويمه، وكما أشكر جميع الأساتذة الكرام وكل من ساعدني في هذا البحث بتصحيح أو مراجعة، أو بِفائدةٍ علمية، فنسأل المولى تعالى أنْ يُتم لنا في ختام هذا البحث الإخلاص والصِّدق فيه لي ولجميع إخواني الكرام الذين كانوا أيضاً مِّما قاموا بتحقيق الأجزاء الأُخرى منَ الكتاب .

الملخَّص

يتناول هذا البحث دراسة وتحقيقي سور القصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة، والأحزاب، وسبأ من تفسير ((جامع التنزيل والتأويل)) للشيخ حسام الدين علي بن عبد الله البدليسي (ت: ٩٠٩ ه ـ ١٤٩٥م) العالم المتبحِّر في الفنون والمفسِّر الجهبذ النحرير وهو يتناول كلام الله بالشَّرح والتَّفسير ويغوص فيه ويستخرج منه دراً من المعاني وكشف اللِّثام عن مخدراته المكنونة ومن وقف على تفسيره يظهر له بجلاء أنَّه لم يكن مجرد ناقل عمن سبقه وإنَّما انتقد ووجَّه وخطّأ وصوّب وسلك في تفسيره مسلك التَّفسير الصوفي والإشاري حيث أوَّل القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية وتفسيره ضخم حيث يتكوَّن من أربع مجلَّدات كبار وما زال حبيس المكتبات تفسير بهذا الحجم هو جدير بالبحث والتَّحقيق ونفض الغُبار عنه ليرى النّور حتى يُتناول بين أيدي القُراء ليستفاد منه.

وتتكوَّن دراستي للتَّفسير من قسمين، قسمٌ لِّلدراسة، وقسمٌ للتَّحقيق، أمّا القسم الأوَّل: فيتكوَّن من حياة المؤلف وآثاره، ومصادره التى استفاد منها، أمّا القسم الثاني: فيشتمل على النَّص المحقق.

ومن خلال دراستي وتحقيقي للتَّفسير تبَيَّن لي أنَّ المؤلِّف كان صوفياً كبيراً حيث استخدم كثيراً من المصطلحات الصوفية في تفسيره وفسر جملة من الآيات بما يتوافق مشربه .

ومن المعلوم أنَّ لتفسيره مكانته الخاصة به حيث يطلّع القارىء من خلاله على كثيرٍ من الاصطلاحات الصوفية ويتعرَّف على معانيها وكيفية توظيفها في كلام الله عند هؤلاء القوم، ويقف على مراميها وطُرق إخضاعها في مظانها.

الكلمات المفتاحية: حسام الدين البدليسي، جامع التنزيل والتأويل القرآن، التفسير الصوفي الإشاري .

ÖZET

Bu çalışma çeşitli ilimlerde özellikle tefsir konusunda engin bir birikime sahip olan Hüsamuddin Ali el-Bitlisî'nin (ö. 909/1495) Camiu't-Tenzil ve't Te'vîl adlı tefsirinin Kasas, Ankebut, Rum, Lukman, Secde, Ahzab ve Sebe surelerinin tahkik ve tahlilini içermektedir.

el-Bitlisî, dört ciltten oluşan eserinde işârî tefsire genişçe yer vermiş, ayetlerin tefsirinde derinliklere dalmış ve kendisinden önceki eserlerden yararlandığı gibi özgün yaklaşımlarda da bulunmuştur. Yazar eserinde konuları nakilci bir tarzdan uzak eleştirel bir yaklaşımla ele almıştır.

Tasavvufa dair birçok kavram ve terimleri barındıran söz konusu eser, alanında önemli bir boşluğu doldurmakla birlikte kütüphane raflarında yazma eser olarak keşfedilmeyi beklemekteydi. Bu önemli eserin ilmî neşrinin yapılarak bilim dünyasına kazandırılması, alana önemli bir katkı sağlayacaktır. Buna dayanarak yüksek lisans çalışmamıza konu olarak eserin tahlil ve tahkik edilmesini tercih ettik.

Çalışmamız giriş ve iki bölümden oluşmaktadır. Birinci bölümde el-Bitlisî'nin hayatı, eserleri ve yararlandığı kaynakların yanı sıra yaşadığı coğrafyanın siyasî ve kültürel durumu ele alınmıştır. Ayrıca tahkik çalışmasında takip edilen yönteme ve elimizde bulunan mahtut metne dair bilgiler de verilmiştir.

Ikinci bölümde ise eserin el yazması metni incelenmiş ve karşılaştırması yapılarak Kasas Suresi'nden Sebe Suresi'ne kadar olan kısmın tahkiki yapılmıştır. Metinde geçen ayetler tespit edilmiş ve hadislerin tahrici yapılmıştır. Araştırma neticesinde elde edilen bulgular, sonuç kısmında sunulmuştur.

Anahtar Kelimeler: Hüsamuddin Ali Bitlisî, Camiu't-Tenzil ve't Te'vil, Kur'an, İşârî Tefsir.

SUMMARY

this study reaserch consists my investigations for surah al qasas'al ankabwt, al luqman, al sajda, and al ahzab from tafseer (jami al tanzil wa altawel) from author sheikh hisama aldin bin ali bin abdullah al badlisi who was passed away 209h opposite 1495 he was a scholar and erudition in every arts a good interpretor of quran he was taking meaning of quran by explaination an a tafseer he was extracted the pearls of meaning in the tafseer and detected on a Conventionals and invisibles in the tafseer who stands on his tafseer and glancing on his tafsser appears for him clearly that he was not only a transmitor from his ancestors but he was a critic he instructed and did inadvertend and rights he was going on sofi ishari ways on his tafseer mainly his tafseer contains four big folders and it been ipmoinded from the shelves in the libraries and by research divided for tow parts ' study part and investigation part as the first part i foucused on the auther biography and traces with thoses sorces he was took advantage from as a second part consist from the investigator texture and from my study and my investigation for the tafseer i concluded the author was a big sofi wher he was using a lot of sofi terms in his tafseer and he explained some ayat according to his approach its known his tafseer has a big place and special place in hearts as a readers can get and find a lot of sofizm idioms from there and how to service quran speech of allah by it with thoses groups and stand on its goal.

Key words:

Hüsameddin Ali Bitlisî, Camiu't-Tenzil ve't Te'vil, Qur'an, Ishri Tafsir.

الاختصارات

- د: دكتور.
- أ.م: الأستاذ المساعد.
- ت: تأريخ الوفاة.
- تح: تحقيق.
- ط:طبعة.
- د.س.ط: دون سنة الطبع.
- ج: جلد.
- ص: صحيفة.
- ه: هجري.
- م: ميلادي.
- ق.م: قبل الميلاد.
- - ح : حينئذ.

رموزات المخطوطة:

يوجد في المخطوطة رموز عدة، وهي كالآتي:

- (تفسير ع) : كتب هذا الرمز باللون الأحمر ويعني هذا الحرف - أعني حرف العين - : العلماء أي تفسير العلماء للآيات التالية.

- (تع) أي : تعالى .
- (ع م) و (علسم) أي : عليه السلام .
- (صلعم) أي : صلى الله عليه وسلم .
- (رض) أي : رضي الله عنه .
- (رحمه) أي : رحمه الله .
- (ظ) أي : ظاهر .
- (فح) أي : فحينئذ .
- (الخ) أي : إلى آخره .

المدخل

إنَّ القرآن الكريم هو كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وهو حبل الله المتين وصراطه المستقيم، من اهتدى به هداه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضلَّه الله؛ ومِنَ المعلوم عند المسلمين أنَّ لعلم التَّفسير أهمِّية بالغةً لفهم وإدراك معاني وألفاظ آيات القرآن الكريم قصد استخراج واستنباط الأحكام الشَّرعية والوصول إلى مقاصد المشرِّع من نصوص القرآن لذلك نجد أنَّ علماءنا الأجلاء عرفوا حقيقة ذلك فقد عكفوا حول كلام الله تعالى واهتموا به اهتماماً منقطع النَّظير؛ وتنوَّعت جهودهم في ذلك ولا أدلَّ على ذلك من تلك الثروة العلمية الكبيرة التي خلفوها. منهم من تصدّى لتفسيره وبيان معانيه وكشف مراميه ومنهم من استخراج الأحكام ومنهم من اهتمَّ به من حيث اللّغة .. كلُ ذلك لما لهذا الكتاب المتين من المنزلة العظيمة، ولذا نجد أنَّ الله أمر بتدبُّره وفهم آياته والعمل بما تحمله من تكاليف والإهتداء بما ترشد إليه من توجيهات، قال :{كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكَّر أُولوا الألباب}ونعى على أُولئك الذين لا يتدبرونه فقال: {أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها} لذلك كان علم التفسير من أجلّ العلوم وأشرفها لأنَّ محوره القرآن ولأنَّه يهدي إلى القرآن ويوضح تكاليف القرآن؛ ولهذا - كما قلت - إعتنى علماء الإسلام بهذا العلم أيَّما عناية، وكان من بينهم عالمنا الجليل حسام الدين علي بن عبد الله البدليسي الكُردي الحنفي فقد كان ممَّن كان لهم مساهمة في التَّفسير حيث فسَّر القرءان الكريم بتفسير ضخم يصل حجمه إلى أربع مجلدات، وقد تبع في تفسيره الطريقة الصوفية واهتم بالتفسير الإشاري لتوضيح الآيات واستخدم معارف كثيرة في خدمة تفسيره من نحو، وصرف، وبيان وعقيدة، وغيرها من العلوم الشرعية هذا ليس بالنِّسبة لمؤلِّفنا حيث كان له باعاً طويلاً في جميع معارف عصره وكان رأساً في كثير منها، ولما عرفت مع إخوتي الأعزاء الذين كانوا معي في جامعة بنغول أنَّ لتفسيره نسخة قديمة والذي سمّاه ((جامع التنزيل والتأويل)) وتبين لنا أنَّه لم يُحقق بعد؛ لذا عزمنا على تحقيقه بعد الاستخارة والاستشارة بأساتذتنا الأفاضل في الجامعة الموقرة وأذنوا لنا بذلك وفرحوا به حيث كان تفسيره بمكانة من المهمّات أن يعتنى به لما أودع فيه من المعارف الكثيرة والنُّكت الظريفة وأنَّه من التَّفاسير المهمَّة والتُّراث النادر وكان نصيبي من هذا التفسير سورة {القصص، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة، الأحزاب، سبأ} وبذلك أمدَّنا الله تعالى فقد خدمنا كتابه من خلال تحقيقنا لهذا السفر وأن تغمَّدنا برحمته ومغفرته .

I- أهمِّ أسباب إختيارى للموضوع

١- حرصي الشَّديد لخدمة كتاب الله الكريم أملا فيما عنده من الثَّواب الجزيل والرضوان الوفير.

٢- المشاركة في تحقيق ماهو موجود من تراثنا الإسلامي العظيم وإن كنت لا أرى نفسي من فرسان هذا الميدان حيث لم أصل إلى ركب المحققين المخلصين بعد.

٣- الاشتغال بالتَّحقيق والعمل عليه يضطر المحقق من تلك الفترة أن يرجع إلى كثيرمن المصادر العلمية مما لها علاقة بالتَّفسير من قريبٍ أو بعيدٍ، وبذلك يحصل على كثير منَ الفوائدِ العلمية.

II - مشاكل البحث:

لاشكَّ أنَّ لكل بحث مشكاله ومصاعبه وهذه تختلف باختلاف نوع الدِّراسة وطبيعتها ومما واجهني من ذلك اعتمادي على نسخة يتيمة للتَّفسير مع كثرة البحث والاستفسار للحصول على نُسَخٍ أُخرى لكن بدون جدوى، نعم لقد حصل الأستاذ الدكتور نعيم على نسخة أُخرى لكنَّها غيركاملة بل من البداية إلى آخر سورة الأعراف، وما قُمتُ بتحقيقه من المخطوطة يبدأ من أوَّل سورة القصص إلى آخر سورة سبأ، ولايخفى على المشتغل بتحقيق المخطوطات ما فيه من المعانات وصعوبة الإعتماد على نسخة واحدة حيث تحتاج إلى كثير من الوقت واستنفاذ طاقات كثيرة لتصل إلى تحقيقها بالصُّورة التي كتبها مؤلفها وإخراجها إلى عالم النور بشكل مرضي حتى يستفاد منها وتكون محل إعجاب قارئها؛ وكذلك الكلام على حياة المؤلف من إحدى الصُّعوبات التي أثناء إعداد هذا البحث .

الفصل الأول

نبذة عن عصر المؤلف و حياته

١. الحالة السياسية في عهد المؤلف

عاش الشيخ حسام الدين البدليسي وسط التغيرات السياسية التي شهدها المنطقة في القرن التاسع الهجري بين دولة العثمانيين ودولة الآق قويونلو التركماني، ثم دولة الصفويين وغيرهم من البيزنطيين، وفي هذا القرن وفي المنطقة التي يقضي فيها الشيخ وقعت الحروب بين الدولتين العثمانية والآق قويونلوية، وذلك برئاسة السلطان محمد الفاتح، وأوزون حسن[١] زعيم التركمان ومؤسس دولة آق قويونلو، الذي كان سلطانه ممتداً على كافة البلاد والأقاليم الواقعة بين نهري آمودارياً[٢] والفرات ومن بينهم ديار بكر وبدليس- وتطرق مصادر ترجمة المفسر بأنه كان يعمل في خدمة أوزون حسن هذا عندما كانت عاصمة دولته في ديار بكر وبعدما تحول أوزون حسن عاصمته إلى تبريز إنتقل معه الشيخ، وذلك حين حصل في الأخير أن زحف أوزون حسن جيشا وفتح بعض المدن التي كانت على طريقه ونهب أهلها، فأخذ السلطان محمد الفاتح في تجهيز جيش جرار وأرسل لأولاده داود باشا بكلر بك الأناطولي، ومصطفى باشا حاكم القرمان، يأمرهما بالمسير لمحاربة العدو فساراً بجيوشهما إليه وقابلا جيش أوزون حسن على حدود إقليم الحميد وهزماه شر هزيمة سنة (٨٧٦ هـ ، ١٤٧١ م)، وبعدها بقليل في سنة (٨٧٧ هـ ، ١٤٧٢ م) سار إليه السلطان نفسه ومعه مائة ألف جندي وأجهز على ما بقي معه من الجنود بالقرب من مدينة أذربيجان التي لا تبعد كثيراً عن نهر الفرات ولم يعد أوزون حسن لمحاربة الدولة بعد ذلك.[٣]

---

[١] كان هذا الزعيم لا يلتزم بعهده ويناصر أعداء العثمانيين من أي ملة كانت، وكان آنذاك أحد خلفاء تيمورلنك، ينظر: المصادر التالية .

[٢] وهو نهر جيحون: ينبع من هضبة بامير بآسيا الوسطى، ويصب في بحر آرال وقد دعاه العرب بنهر جيحون، ثم بطل استعمال هذه التسمية في العصر المغولي، فأضحى يسمى نهر آمودارياً، وكلمة (أمو) تعني النهر فيكون اسمه نهر داريا. وهو اليوم من أنهار آسيا السوفيتية، ينظر: المقدسي، محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: غازي طليمات، وزارة الثقافة والارشاد القومي - دمشق – ١٩٨٠ م . ١ ، ١٨١ .

[٣] ينظر: بك، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، : دار النفائس، بيروت، د، س، ط ، ١ ، ١٧٢ ؛ طقوش، محمد سهيل، التاريخ الاسلامي الوجيز، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٨ م ص ٣٥٥

M. Mustafa Çakmakıoğlu, *Hüsamettin Bitlisi'nin "Kitabu'n-Nusus " İsimli Eserinin Tahkik ve Tahlili*, Erciyes Üniversitesi, Kayseri, 1998.

ومن الجدير بالذكر أنَّ الشيخ أشار في مقدمة تفسيره إلى سلطانين، أحدهما: السلطان مظفر الدين يعقوب البايندرخانية وذكره بالخير وبجميل الصفات وذلك عندما كان في تبريز تحت سلطته، وأنَّ الشيخ شرع في تفسير كلام الله بطلب من السلطان وبمشورته لكن مات السلطان ولم ينه الشيخ تفسيره، أما السلطان الثاني: فهو البايزيد الثاني إبن السلطان محمد الفاتح فمات الشيخ في زمن هذا السلطان.[٤]

2. نبذة عن حياته

٢ .١ إسمه ونسبه ولقبه

إتَّفقت جميع المصادر التي تناولت حياة المؤلف بالبحث على اسمه ونسبه ولقبه، فهو: علي بن عبدالله البدليسى[٥]، الحنفي، الملقب بحسام الدين.إلاّ أنّ صاحب (كشف الظنون)، قال في حقه: هو علي بن حسين البدليسي [٦] فهو مفسِّرٌ كبير، وواعظ شجاع مؤثِّر، وصوفي العقيدة.

وشيخنا من أهل بدليس، وهي بلدة من نواحى أرمينية، قرب أخلاط،[٧] تقع قرب مدينة وان شرقي تركيا، وهي ذات بساتين كثيرة، وأرضها طيبة، وهواؤها معتدل، وتفّاحها يضرب به المثل في الجودة والكثرة والرخص، ويحمل إلى بلدان كثيرة، وطولها خمس وستون درجة، وعرضها ثمان وثلاثون درجة[٨].

2.2 . نشأته وطلبه للعلم

أمّا بالنِّسبة لنشأته وطلبه للعلم، فهو الذي تولى بيان ذلك حيث ألقى الضَّوء على قسط من حياته بعباراتٍ رائقةٍ وكلماتٍ عذبةٍ وفي جُملٍ قصيرة منذ أن كان صبياً إلى كهولته حيث يقول متكلماً عن نفسه: إنِّي كنتُ من أوان الصَّبي إلى زمان الكهولة مواظباً على تلاوة القرآن، راغباً في استكشاف أسرار حقائق مباني الفرقان، طالباً لاستعراف أنوار دقائق معاني آياته،

---

٤ حسام الدين البدليسي، جامع التنزيل والتأويل، مقدمة المخطوطة اللوحة: ١ – ٢ .

٥ كحالة، عمر بن رضا (المتوفى: ١٤٠٨هـ) *معجم المؤلفين*، دار إحياء التراث العربي- بيروت، (١٣١،٧).

٦ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (المتوفى: ١٠٦٧هـ)، *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، مكتبة المثنى- بغداد، ١٩٤١م، (١٥١٤،٢).

٧ هى قضاء تابعة لمدينة بدليس في شرق تركيا حاليا.

٨ الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى:٦٢٦هـ)، *معجم البلدان*، دار صادر، بيروت، ط: الثانية، ١٩٩٥ م . (٣٥٨،١-٣٥٩)؛ القطيعي، مراصد الاطلاع (١٧١،١)، الوفائي، *ذيل لب اللباب في تحرير الأنساب* (٨٠).

والاستشراف على درك رموز عباراته، وكنوز إشارته، وكان يلوح على فؤادي من تلك الأنوار لمحة لامعة، وتفوح من ورود تلك الآثار على نفحة بارحة، ونفخة ساطعة، أردتُ أن أسُدَّها بحدود العبارة ورسومها، وأصدها من النَّفاد بقيود الإشارة ورقومها.[٩]

3.2. وفاته

اختلف المؤرخون الذين تناولوا حياته في تحديد سنة وفاته، فمنهم: من قال توفي سنة (٩٠٩) للهجرة، الموافق لسنة (١٥٠٤) الميلادي[١٠].

ومنهم: من قال مات سنة تسعمائة للهجرة[١١]، الموافق لسنة ألف وأربعمائة وخمس وتسعين الميلادي في بلدة تبريز بإيران.

3. حياة الشيخ العلمية

من المعلوم أنّ الحلقات الدراسية والمدارس الدينية كانت منتشرة في أرجاء كوردستان في مساجدها منذ القدم، حيث يدرس فيها الطالب مجموعة من العلوم العقلية والنقلية في برهة من الزمن إلى أن يحصل على الإجازة العلمية على يد الشيخ الدارس عنده، وبذلك يكون أهلا للتدريس والجلوس للإفتاء في بعض المجالات الشريعة وعلى مستوى معين؛ كما أنه يمكنه أن يخطب في المساجد.

ولقد بدأ البدليسي حياته العلمية في منطقة وجد فيها ثلة من فطاحل العلماء، وزمن برز فيه علماء متمكنون، تحت سلطة الدولة العثمانية التي كانت تعتني بالعلم والعلماء وفتح المدارس وتطويرها، ومن المعلوم لدى أهل العلم أن من تربى في مثل هذه البيئة فبوسعه أن يحصل على حصة كبيرة من العلم؛ فكان البدليسي ممن أنعم الله عليه بذلك فكانت حياته حافلة بالعلم والتعلم والتعليم، وقد قضى عمره في هذا المجال الطيب؛ على أن المصادر التى اطلعت عليها لم تسعفني لأن أقف على حياته العلمية بشكل واسع، لكن مع ذلك كله فقد قال عن نفسه في مقدمة تفسيره: إني كنت من أوان الصبى إلى زمان الكهولة مواظباً على تلاوة القرآن، راغباً في استكشاف أسرار حقائق مباني الفرقان، طالباً لاستعراف أنوار دقائق معاني آياته، والاستشراف على درك رموز عباراته، وكنوز إشاراته، وكان يلوح على فؤادي من تلك الأنوار لمحة لامعة،

---

٩ البدليسي، حسام الدين علي بن عبدالله، جامع التنزيل والتأويل، مكتبة السليمانية، شهيد علي باشا ١٠٩: اللوحة الأُولى.

١٠ İnalcık, Halil, *Şair ve Patron, Doğu-Batı Yayınları*, Ankara 2003, s . 81.

١١ شرفخان البدليسي ،شرفنامة، ترجمة الى العربي محمد علي عوني ،دار الكتب العلمية ،ص ٣٥١.

وتفوح من ورود تلك الآثار على خلدي نفحة بارحة، ونفخة ساطعة، أردت أن أسدها بحدود العبارة ورسومها، وأصدها من النفاد بقيود الإشارة ورقومها .[١٢]

وكلامه هذا يدل دلالة واضحة على أنه كان مشتغلاً دائماً بطلب العلم والمعرفة، ولم تصرفه الدنيا الدنية عن هذا الشرف العظيم والخير الجسيم؛ كان يرى أنَّ الانشغال بذلك رأس الحكمة وأساس كل نعمة ومنبع سعادة الدارين وسر شرف الإنسان وعزه وكرامته في الدارين، لذا نجد أنه لم يألُ جهداً في طريق الطلب واستفرغ كل طاقته في هذا المجال من غير انقطاع حتى أتاه اليقين فرحمه الله رحمةً واسعةً وأسكنه فسيح جنته بمنه وفضله.

٣. ١ مكانته العلمية

يحظى أهل العلم بالحرمة والتقدير التامين أينما حلوا ونحن نتلمس هذه الميزة التي أعطاها الله لهم في المناطق الكوردية بكل وضوح على مر التأريخ وحتى يومنا هذا من قبل عامة الناس وذوي السلطان وخاصة في القرى والأرياف، حيث أنَّ لهم مكانتهم الخاصة في قلوب الجميع لأنَّهم يشاركون الناس في أفراحهم وأحزانهم ويتدخلون فيما يحصل بينهم من المنازعات والمشاكل الصعبة ويحلونها بكل دقة وأمانة ومن أقرب الطرق وأصوبها معتمدين في ذلك على الشريعة الغراء، وهذا سواء فيما يتعلق بالناحية الاجتماعية أو السياسية أوغيرهما من مجالات الحياة، ومفسرنا ممن أعطاه الله هذا المقام وشرفه به حيث تقلد هذا المنصب، في زمن السلطان أوزون حسن وكان ذا وظيفة لديه وله عنده حرمة تامة، وما ذلك إلّا لطول باعه وخبرته بالعلوم الشرعية، كما هو واضح للمتطلع على تفسيره، حيث إعتمد فيه على التفاسير التي يصعب فهمها وقل من يقف على مراميها والإحاطة بما فيها ولكن مع ذلك كله جاء هذا الفارس المغوار فصعد البحر وتغلب على الأمواج فأودع عصارة ما في كتب القوم من الأفكار الصعبة والعبارات العسيرة في تفسيره بألخص عبارة وأوجز إشارة، مما يدل ذلك على عبقرية المفسر وتمكنه من العلوم الشرعية، ويتجلى أيضاً مكانته العلمية في تصديه لشرح كتاب الإصطلاحات الصوفية للكاشاني مع ما فيه من الغموض والإشارات البعيدة بحيث ليس بوسع كل أحد أن يقف على مراميه ويحيط بما فيه من المعاني إلا من كان متمرساً في هذا المجال خبيراً به وذا باع طويل فيه، وذلك لصعوبته بحيث يشبه الألغاز غير أنَّ الشيخ إستطاع أن يكسر الطلسم الذي حال دون فهم معاني الكتاب حيث وضح عباراته وفك ألفاظه وذلك لرسوخ قدمه وعلو كعبه في فهم مصطلحات الصوفية ومن ذلك يتبين رفعة مكانة الشيخ وشخصيته .

---

١٢ ينظر، حسام الدين البدليسي؛ جامع التنزيل والتأويل، مقدمة تفسيره؛ اللوحة الأولى وجه (أ).

٢,٣ شيوخه وتلاميذه

شيوخه ومن نظر إلى مؤلَّفات الشيخ يتبيَّن أنَّ له جملة كثيرة من المشايخ والأساتذة، تربّى على أيديهم وأخذ عنهم علوم الشريعة، وعندما ننظر إلى مؤلَّفات الشيخ البدليسي نجد له عدداً كبيراً المشايخ، وتلقّى علومه على جلة من علماء عصره، ومن مشايخه الشَّيخ الإمام محمد بن محمد بن عبدالله نوربخش، مؤسِّس الطريقة النوربخشية، ولِد بقائن سنة (٧٩٥هـ-١٣٩٣م)، ونزل بالرِّي في شهريار وبني قرية سولفان، وتوفي بقرية نفيس بقائن سنة (٨٦٩ هـ - ١٤٦٥م)، ومن آثاره: الرِّسالة الإعتقادية[١٣]، وكان الشَّيخ حسام الدين من العلماء البارزين في منطقته ببدليس، وله دورٌ كبيرٌ في تكوين بناء المجتمع.

وأمّا تلاميذه

ممن إطلعت عليهم ابنه: إدريس بن حسام الدين، العالم الفاضل المولى البدليسي العجمي، ثم الرومي الحنفي[١٤].

قال صاحب الشقائق النعمانية في حقه : كان موقعاً لديوان أُمراء العجم، ولما حدثت فتنة إبن أردويل[١٥] ارتحل إلى الرّوم، فأكرمه السُّلطان أبو يزيد غاية الإكرام، وعيَّن له مشاهرة ومسانهة، وعاش في كنف حمايته عيشة راضية، وأمره أن ينشيء تواريخ آل عثمان بالفارسية فصنفها، وكان عديم النَّظير، فاقد القرين بحيث أنسى الأقدمين، ولم يبلغ شأوه أحد من المتأخرين، وله قصائد بالعربية والفارسية تفوت الحصر، وله رسائل عجيبة في مطالب متفرقة،

---

١٣ كحالة، معجم المؤلفين (٢٤١\١١)؛ البرصوي، محمد طاهر، *عثمانلي مؤلفلري*، مطبعة عامره، إستنبول١٣٣٣ه،(٥٨،١)

١٤ العكري،عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق– بيروت، ط: الأُولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، *شذرات الذهب* (١٠، ١٨٤).

١٥ هي مدينة من مدن إيران حاليا لما فرغ التتر من همذان ساروا إلى أذربيجان فوصلوا إلى أردويل فملكوها وقتلوا فيها وخربوا أكثرها وساروا منها إلى تبريز . إبن الأثير، أبوا الحسن علي بن أبو الكرم محمد(ت: ٦٣٠ه)، *الكامل في التأريخ*، تح: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى، (١٤١٧ه،١٩٩٧م)، (١٠،٣٥١).

وبالجملة كان من نوادر الدهر، ومفردات العصر، توفي في أوائل سلطنة سلطان سليمان خان رحمه الله تعالى[١٦].

٣,٣. بعض مؤلفاته

١ -الكنز الخفي، في بيان مقامات الصوفي[١٧].

٢ -شرح اصطلاحات الصوفية للقاشاني[١٨].

٣. جامع التَّنزيل والتَّأويل في تفسير القرآن في خمس مجلدات كبار، أوَّله الرَّحمن علَّم القرآن خلق الإنسان علَّمه البيان إجمالاً وتفصيلاً تشريفاً وتفضيلاً إلخ[١٩].وهذا الكتاب من أجلِّ وأعظم ما سطرته يمينه، وهو ما قام بتحقيقه ثُلة من طلبة العلم في جامعة بنغول، تركيا.

٤ . دراسة عن كتاب جامع التنزيل والتأويل.

وهنا تحت هذا العنوان نذكر شيئاً عن نسبة الكتاب لمؤلفه، وأهمية كتابه، مصادره التى استفاد منها، ووصف المخطوط، والبحوث حول المؤلف وكتابه.

١,٤ إثبات نسبة الكتاب لمؤلفه

١ -قال عمر بن رضا كحالة: علي بن عبد الله البدليسى، الحنفي، حسام الدين، مفسر، صوفي، من تصانيفه: جامع التَّنزيل والتَّأويل في تفسير القرآن في خمس مجلدات كبار[٢٠].

٢ -قال إسماعيل بن محمد أمين ميرسليم الباباني: جامع التَّنزيل والتَّأويل - في تفسير القرآن لحسام الدين علي البدليسي الحنفي الصوفي المتوفى سنة..أوَّله الرَّحمن علَّم القرآن خلق

---

١٦ الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (المتوفى: ١٠٦١هـ)، *الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة*، المحقق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م، (١٦١،١)؛ طاشْكُبْري زَادَهْ، الشقائق النعمانية (١٩٠،١-١٩١)،

١٧ حاجي خليفة، *كشف الظنون*، (١٥١٤،٢)، كحاله، *معجم المؤلفين* (١٣١،٧).

١٨ كحاله، *معجم المؤلفين*، (١٣١،٧).

١٩ الباباني، *هدية العارفين* (٧٣٨،١)، الباباني، *إيضاح المكنون* (٣٥٣،٣).

٢٠ كحاله، *معجم المؤلفين* (١٣١،٧).

الإنسان علَّمه البيان إجمالاً وتفصيلاً تشريفاً وتفضيلاً إلخ في خمس مجلدات (رأيته عند الوزير رؤف پاشا الرومي) [٢١].

ممّا تقدَّم ذكره يظهر جلياً أنَّ الكتاب من تصانيف الشيخ حسام الدين البدليسي من دون أدنى شكّ حيث لم أجد أحداً شكَّك في نسبة هذا التفسير إليه .

٣- قال سليمان ملا إبراهيم أُغلو صاحب كتاب Yazma Tefsir Literatürü إعتماداً على نسخة توب قابي سراي تحت الرقم : A 88 وفي هذه النسخة إسم المؤلف ليس مكتوباً، وذكر هذا التفسر بين التفاسير التي مؤلفها مجهولين .[٢٢]

٢,٤ أهميَّة الكتاب وذكر مصادره فيه

ونذكر هنا بعض المصادر التي إستفاد منها المؤلِّف في تفسيره :

١ -الكشف والبيان في تفسير القرآن: لأحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق الثَّعلبي، مفسر بارز، واعظ، وأديب، وكان ثقة، توفي سنة (٤٢٧هـ)[٢٣].

٢ -تفسير الكشاف: لأبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله، النحوي، المفسر اللّامع، والنحوي البارع، كان واسع العلم كبير الفضل متفنناً في علوم شتى، معتزليّ المذهب مجاهراً بذلك، رحل في طلب العلم، فقدم بغداد، ثم رحل الى مكّة، فجاور بها وسمي جار الله، توفي سنة (٥٣٨هـ)[٢٤].

---

٢١ الباباني، *إيضاح المكنون* (٣٥٢،٣).

٢٢ ينظر، Süleyman Molla İbrahimoğlu, *Yazma Tefsir Literatürü*, Damla Yayınevi İstanbul, 2007, s. 689-692.

٢٣ إبن خلكان، *وفيات الأعيان*، تح: إحسان عباس، دار صادر – بيروت ، ط : الأولى، ١٩٩٤، (٧٩،١)؛ إبن كثير أبو الفداء إسماعيل، *البداية والنهاية*، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م، (٦٥٩،١٥-٦٦٠).

٢٤ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المحقق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، الزركلي، *الأعلام* (١٧٨،٧).

٣ -تفسير البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل في التفسير للإمام العالم عبدالله بن عمر بن محمد بن علي، البيضاوي، الشيرازي، الشافعي، كان عالماً بالتَّفسير، والحديث، والفقه، والعربية، وتوفي سنة (٦٨٥هـ)[٢٥].

٤. عرائس البيان في حقائق القرآن، أبومحمد صدرالدين روزبهان بن أبي نصر البقلي الشيرازي (ت:٩٠٦) .

٣,٤ وصف المخطوط، ومنهج المؤلف في كتابه

وهنا نعرف النسخ المخطوطة ونذكر منهج المؤلف في تفسيره.

٤. ٣. ١ وصف النسخ المعتمدة في التحقيق

بعد البحث والإطلاع والجهد الكبير فقد حصلت على ثلاث نسخ لهذا المخطوط ، ما بين كاملة وناقصة.

النسخة الأولى: توجد في مكتبة (السليمانية) في إستطنبول محفوظة تحت رقم (١٠٩) وتقع في أربع مجلدات .

١ ـ الجزء الأول :

ويقع في (٢٩٦) ورقة، وكتب على جلده (الجلد الأول: من تفسير حسام الدين البدليسي من أول القرآن إلى قوله تعالى (والسارق والسارقة) من سورة المائدة) .

٢ ـ الجزء الثاني :

ويقع في (٢٣٣) ورقة ، وكتب على جلده (الجلد الثاني من تفسير حسام الدين البدليسي من قوله تعالى (فاقطعوا أيدهما) من سورة المائدة إلى قوله تعالى (فصبر جميل) من سورة يوسف) .

٣ ـ الجزء الثالث :

ويقع في (٢٤٥) ورقة ، وكتب على جلده (الجلد الثالث من تفسير حسام الدين من قوله تعالى (وجاءت سيارة) من سورة يوسف إلى قوله تعالى (كم أهلكنا من قبلهم من القرون) من سورة التنزيل).[٢٦]

---

٢٥ السبكى، *طبقات الشافعية الكبرى* ١٥٧،٨، الزركلي، *الأعلام* (١١٠،٤).

٤ ـ الجزء الرابع :

ويقع في (٢٤٤) ورقة، وكتب على جلده (الجلد الرابع من تفسير حسام الدين البدليسي من قوله تعالى (يمشون في مساكنهم) من سورة التنزيل إلى آخر القرآن العظيم) .

عدد مجموع لوحاتها: (١٠١٢) لوحة .

مقياس الصفحة: ليس على غلافه مقياس .

عدد الأسطر: (٢٩) في الغالب .

نوع الخط: الرقعة .

لون المداد: أسود، وخط على الآيات بالأحمر، كتب إسم السورة وعدد آياتها بالأحمر، وكذلك كتب الآيات في بعض السور بالأحمر .

حالة النسخة: جيدة .

وما يميز هذه النسخة: أنَّها كاملة، وأوضح وأقلُّ خطأ وسقطاً بالنسبة لنسخة أُوخين، وتوب قابي الناقصتين، لذا جعلتها الأُم والأصل ورمزت لهذه النسخة برمز : ﴿ أ ﴾ .

النسخة الثانية: توجد في مكتبة الشيخ علاء الدين الخاصة في ناحية (أوخين) التابعة لقضاء (موتكي) التابعة لولاية (بدليس) شرقي تركيا، لكن ليست كاملة بل إلى سورة الأنفال، الآية: ٤٠ .

عدد مجموع لوحاتها: (٣٨١) لوحة.

مقاس الصفحة: ٢٣٠ × ٣٥٠.

عدد الأسطر: (٢٥).

إسم الناسخ: كتب في صفحة (٢٥٢ب) تمت كتابة كتاب جامع التنزيل والتأويل على يدي أضعف عباد الله الولي عبداللطيف بن نبي بن علي في تأريخ سنة ٩٠٦.

---

٢٦ يريد سورة السجدة .

النسخة الثالثة : توجد في متحف (توب قابي سراي) موجود تحت رقم: (٨٨ A TSMK ولكن ليست كاملة بل الى آية (٢٠٠) من سورة آل عمران .

عدد مجموع لوحاتها : (٤٢٧) لوحة.

مقاس الصفحة : ٢٧ × ٣٧ سم .

عدد الأسطر : (٢١) سطر .

نوع الخط : الرقعة.

لون المداد : أسود

حالة النسخة : جيّدة .

تاريخ إتمام النسخ في سنة (٨٩٩ هـ)، كتب في آخره: " تمت الجلد الأول يوم السبت خامس عشر جمادى الأول من كتاب جامع التفسير والتأويل سنة تسع وتسعين وثمانمئة.

النسخة الرابعة: يوجد نسخة في مكتبة مراد ملّا في مكتبة (السليمانية في إستانبول) تحت رقم: (٢٩٧,١) تحت عنوان جامع التنزيل والتأويل لحسام الدين البدليسي، وقابلنا هذه النسخة بنسخة مكتبة السليمانية، ونسخة أوخين، وجدنا أنَّ هذا التفسير ليس لحسام الدين البدليسي.

٤. ٢,٣ منهجه إجمالاً كما وصفه في مقدمة كتابه.

إنّ الشيخ حسام الدين البدليسي ذكر ذلك في مقدمة تفسيره فقال: واعتمدت على التفاسير المنسوبة إلى الأئمة المشهورين، (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) [سورة الفرقان: ٣٣] وكان التعويل التام في تحقيق المقام وتلفيق المرام على التفسير المنسوب إلى الإمام الهمام القاضي ناصر الدين عمر البيضاوي قدس الله روحه، والاعتماد في أساليب الروايات على تفسير معالم التنزيل للإمام المجتهد في الدين محي السنة البغوي رحمه الله، وعلى تفسير الثعلبي في بعض المقامات، وقد يقع الرجوع فيما هو الموثوق به إلى الكشاف للإمام جار الله العلامة الخوارزمي، فلما بلغ تسويد هذا الجامع إلى سورة العنكبوت صادفت التفسير المنسوب إلى المولى العلامة شهاب الملة والدين الهندي وكنت طالبا له لما سمعت أن فيه من لطائف أنوار التنزيل ومعارف أسرار التأويل والتحرير ما يعجز من دركه أكثر الطلاب من

أولي الألباب، والحق أني وجدته على أحسن ما وصفه به فأردت أن ألحق بعضا من فوائده بكتابي هذا، ولما كان في غاية الإيجاز بالغاً حد الألغاز عمدت أن أُبين بعضه وأُبين وضعه حسبما إنكشف لدي. [٢٧]

٥. بحوث ومقالات على حياة المفسر ومنهجه في التفسير

هناك مجموعة من البحوث والمقالات والرسائل العلمية تناولت حياة المؤلف بالبحث من حيث حياته الشخصية ومنهجه الذي سار عليه في تفسيره وتحيق مؤلفاته، إلّا أنَّها كلها نسجت باللغة التركية، ونحن بضاعتنا مزجاة بالنسبة لها؛ لذا لم أتمكن أن أستفيد منها بالقدر اللازم وهذه البحوث هي :

- رسالة دكتوراه طرحت في جامعة استانبول للطالب محمد سليم آيداى باسم:

"İşarî Tefsir Geleneği Açısından Hüsameddin Ali-Bitlisi ve Cami'u't-Tenzil ve't-Tevil İsimli Tafsiri"

تناول فيها الباحث ذكر ترجمة المفسر ومنهجه في التفسير والمواضع التي احتواها بوجه تفصيلي.

- مقالة طرحت فى مجلة (TURKISH STUDIES) بقلم الطالبة أسماء جتين باسم:

"Nazarî-sufî Tefsir alanında Bilinmeyen Bir Âlim Hüsameddin Ali el-Bitlisî (h. 909 / m. 1504".

تطرقت فيها ترجمة حياة المفسر وشخصيته العلمية وطريقته في التصوف ومؤلفاته وذكرت بعض الأمثلة التي تدل دلالة واضحة لإثبات نظرته التصوفية.

- ومقالة أخرى أيضاً للطالبة السابق ذكرها باسم:

"Hüsamettin Ali el-Bitlisî'nin Türkiye Kütüphanelerinde Yazma Halinde Bulunan Eserlerinin Tanıtımı."

وفيها نفس المباحث التي ذكرتها إضافة إلى وصف مخطوطة التفسير وسائر مؤلفاته المخطوطة التي كتب الله لها البقاء ولم يشأ أن تبعث بها يد الزمان .

[٢٧] ـ مقدمة تفسيره جامع التنزيل والتأويل، اللوحة الأولى.

- وهذه الطالبة حققت أيضاً سورة آل عمران كرسالة دكتوراه طرحتها لجامعة سكاريا سنة (٢٠١٦) .
- وحقق الطالب ياسين خضر من بداية سورة الزمر إلى آخر سورة الزخرف كرسالة ماجستير وقدمها إلى جامعة بينغول سنة (٢٠١٧).
- وحقق الطالب زياد ذنون من سورة الدخان إلى سورة الذاريات كرسالة ماجستير وقدمها لجامعة بنغول سنة (٢٠١٧).
- وحقق الطالب مصطفى جقماق أغلو كتاب النصوص للشيخ حسام الدين البدليسي كرسالة ماجستير وقدمها لجامعة إرجييس في تركيا سنة (١٩٩٨) .
- وحقق الطالب آواره عبدالحميد سورة التوبة كرسالة ماجستير وقدمها لجامعة بينغول سنة (٢٠١٧).

. وحقق الطالب محي الدين مصطفى سورة الأعراف كرسالة ماجستير وقدّمها لجامعة بينغول سنة (٢٠١٧).

٦. منهجي في التحقيق :

سرت في تحقيق النَّص على الخطوات التالية :

١- حاولت قدر الإمكان أن أوثق النقول بإرجاعها إلى مصادرها.

٢-حرصت على مقابلة النص المنقول مع مصدره الذي نُقل منه، وهذه المقابلة ليست حرفية، وإنَّما لبيان بعض الكلمات الناقصة أو الجمل أو العبارات الزائدة أحياناً.

٣- عزوت الآيات إلى سورها.

٤-خرجت الأحاديث الواردة في الكتاب، وكذلك بعض الآثار.

٥- خرجت الآثار الواردة عن الصَّحابة أو التابعين.

٦ - صححت الأخطاء الإملائية، من غير إشارة إلى ذلك.

٧- بينت درجة كل حديث لم يرد في الصحيحين أو في أحدهما بقدر استطاعتي.

٨-اعتمدت على نسخة وحيدة، وجعلتها أصلاً وسميتها (أ) .

هذا عملي ومنهجي في تحقيق هذه المخطوطة، أسأل الله العظيم أن يتقبَّل مني وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، إنَّه جواد كريم .

الفصل الثاني

النَّص المحقّق

سورة القصص

سورة القصص مكّية وهي ثمان وثمانون آية .

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي قصَّص لعباده ما جرى في بلاده. ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي خصَّص موسى الرَوح وفرعونَ النَّفس[٢٨] الأمّارة بهذه القصص. ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي يختصُّ شهود التجلّيات الإلهية بموسى الرّوح إبتداءً بالطور السرِّي في شاطئ وادي الطور العلني.

﴿طسٓمٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ إشارة إلى كمال[٢٩] ظهور سلطنة ملك الدَّولة الدِّين المحمدي في آخر الدَّورة الصُّغرى التورية بعد فتورها في أثناها كما أشار إليه ترك الميم في الوسط وقد فصَّلنا الكلام في هذا المقام في أوَّل طسم .

﴿نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ﴾ أي: نقرأُ لديك بعضاً مِن أخبار موسى .

---

١٧ النفس: المدبرة للبدن التى تفارقه بالموت هي الروح المنفوخة فيه، وهي النفس التى تفارقه بالموت، قال النبى لما نام عن الصلاة إن الله قبض أرواحنا حيث شاء وردها حيث شاء، وقال له بلال يا رسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك، وقال تعالى:(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) الزمر آية (٤٢) وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا نام :(باسمك ربي وضعت جنبى وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها وارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين)، البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري: *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه*، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: الأولى ١٤٢٢هـ، (٧٣٩٣): *مجموع الفتاوى لإبن تيمية*، دار القلم ، ٦ ،٣٤٢ .

٢٩ الكمال: الإنتهاء إلى غاية ليس وراءها مزيد من كل وجه ذكره الحرالي وقال إبن الكمال :كمال الشيء حصول ما فيه الغرض منه فإذا قيل كمل فمعناه حصل ما هو الغرض منه. المناوي، محمد عبد الرؤوف، *التوقيف على مهمات التعاريف*، تح : د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق، ط: الأولى، ١٤١٠، ص،٦٠٩ .

﴿وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ﴾ محقين ليثبِّت فؤادك[٣٠] في أمر الرِّسالة وتبليغ أحكام[٣١] النُّبوة[٣٢]. ﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ﴾[٣٣]، وتعلم أنَّ السنة الإلهية قد جرت على أنَّ كلَّ نبي ورسول بل كل كاملٌ في أمر الدِّين بقدر حاله، ونقيصته، والوقت، والزَّمان لا بُدَّ وإنْ ظهر في زمانه[٣٤] منَ المخالفين في الدِّين ومن أعيان المنافقين شخص يعانده، وفردٌ يناقضه، ويعاديه، ويعارضه، ويضاده، إذ الأشياء تتبيَّن بأضدادِها ولترفيع درجات الأنبياء، والأولياء، والعلماء الرَّبانيين، قد استمرت هذه السنة واستقرت تلك العادة في كلِّ زمانٍ وعصرٍ في جميع دَورٍ ودهرٍ.

﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: من شأنهم الإيمان وقبول الحق أو إشارة إلى درجات الإيمان ونقاوة مقامات المؤمنين في التَّثبت، والاستقامة، والتَّمكُّن، ولذا فسَّر ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[٣٥]، بالتَّثبُّتِ والاستقامة وهي أعظم درجات المؤمنين وأكرم مقامات العارفين .

---

٣٠ الفؤاد: كالقلب لكن يقال له فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفاؤد أي التوقد،التوقيف على مهمات التعاريف،ص ٥٦٥، الفؤاد :القلب،وقيل باطن القلب، وقيل:هو غشاء القلب،والقلب حبته وسويداه يؤيده قوله عليه الصلاة والسلام:ألين قلوبا وارق افئدة والفؤاد الرقيق تسرع إمالته،والقلب الغليظ القاسي لا ينفعل لشيء،أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني، *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*،تح: عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص، ٦٩٦.

٣١ الحُكم: في اللغة بالفَصلِ؛ يُقال: "حكمتُ بين الخَصمين" إذا فصَلتَ بينهما، وفي التعريف الأصولي هو الخِطابُ الشرعي الخاص بأفعال المكلَّفين؛ فقول الله تعالى:(أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)خِطاب شرعيٌّ موجَّه لأفعال المُكلَّفين فيما يتعلق بمُعاملات البيوع والزواج وغيرها من المُعاهَدات، وقد قسَّمه الأصوليُّون إلى صنفين: حكم تكليفيٍّ، وحكم وضعي. محمد باشا علي، *أصل الأصول*، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان ، ص، ٦٧.

٣٢ النبي: مأخوذ من النبأ بمعنى الخبر فال ابن فارس: النون والباء والهمزة قياسه الإتيان من مكان إلى مكان، يقال للذي ينبأ من أرض إلى أرض نابئ،وسيل نابئ:أتى من بلد إلى بلد ورجل نابئ ...ومن هذا القياس النبأ: الخبر، لأنه يأتي من مكان إلى مكان. والمنبئ:المخبر،وأنبأته ونبأته، أبوالحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم *مقاييس اللغة*،تح: عبد السلام محمد هارون، دارالفكر، لبنان، ١٣٩٩هـ، ٣٨٥،٥.

٣٣ سورة هود، ١٢٠/١١ .

٣٤ أي في زمن النبي او الرسول.

٣٥ الفاتحة، ٦/١ .

﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ﴾ النَّفس الأمّارة . ﴿عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وطغى، وجاوز الحدَّ في الظُّلم، والعسف، جملة مستأنفة تفسير للجمل المتقدمة كأنَّ قائلاً يقول: كيف كان حال موسى الروح، وفرعون النَّفس في ملك الوجهه ويملكه الدين وطول الشهود ؟؟ فأجاب: بأنَّ في أوَّل الأمر في الآفاق والأنفس قد علا فرعون النفس المدين إلى أن يستكمل طور الظاهر وهو البدن وأحواله ثم ينتقل الحكم إلى تدبير النَّفس وتزينها وإستكمالها. ﴿وَجَعَلَ أَهۡلَهَا﴾ أي: أهل الأرض المسكونة فيها. ﴿شِيَعٗا﴾ فرقاً مختلفةً إشارة إلى إختلاف قوى تلك الوجوه، والبدن، والنَّفس، والرّوح، فإنَّ لكل منها مبادئ وقوى ففي بداية الحال النَّفس العاملة مستعلية على الكل فبعد استكمال البدن وقواها ثم باستكمال موسى الرّوح ولذا قدَّم فرعون النَّفس وأطواره وأفعاله. ﴿يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ﴾ من بني إسرائيل لغي أعيانهم وأشرافهم. ﴿يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ الذين هم حديثو السِّن وقريبو العهد بالوِلادة وذلك لأنَّ كاهناً[٣٦] قال له: يولد في هذا الزمان مولود من بني إسرائيل يسلبُ ملكك ويكون هلاكك بيده فأمر أن يذبح أبناء الزَّمان والعجب أنَّ الكاهن إن كان صادقاً والأمر الذي أخبر عنه يكون كائناً لم يدفع القتل الأمر الكائن وإن كذب فما وجه القتل ؟ فالحكمةُ في القتل أنَّ الأرواح على دود في الحديث ﴿الأرواح جنود مجندة﴾[٣٧] إلخ، مرتبطة بعضها ببعض وأنَّ أرواح أطفال بني إسرائيل قد كانت جزئيات[٣٨] مندرجة تحت كلية[٣٩] روحانية موسى، فإذا قتلوا توجهت أرواح أطفال بني إسرائيل إلى روح موسى (ع م) ليمدوه ويعينوه إياه .

---

٣٦ الكاهن:هوالذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب، الجرجاني، *التعريفات*،ص،٢٣٥

٣٧ البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري: *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه*، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: الأولى ١٤٢٢هـ، باب الأرواح جنود مجندة، ١٣٣،٤، رقم الحديث ٣٣٣٦ . ومسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري: *صحيح مسلم*، باب الأرواح جنود مجندة، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، رقم الحديث (٢٦٣٨) ٢٠٣٠،٤ .

٣٨ الجزئيّ: ما يمنع نفس تصور معناه عن وقوع الشركة فيه. أبو الفضل،عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، معجم *مقاليد العلوم*، تح: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، سنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م، ص ١١٩.

٣٩ الكلي: ما لا يمنع نفس تصوره عن وقوع الشركة فيه، الجرجاني، *التعريفات*، ص ، ٢٣٩.

﴿وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ﴾ بأنْ يأمرهم بالفحشاء والمنكر. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ أي: مِن شأن فرعون النَّفس الإفساد وأعظم الإفساد القتل والأمر بالقتل لما ورد في الحديث ﴿إن بني آدم بنياني لعن الله من هدم بنياني][٤٠]، وللقتل حكمة أُخرى ونكتةٌ أُخرى وهي ما أشار إليه خضر[٤١] النبي ع م في إرشاده لموسى في قتل ذلك الطفل حيث أشار إلى حكمة قتله ﴿وأمّا الغلام فكان أبواه مؤمنين﴾[٤٢] الآية.

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: نتفضل عليهم عطف على أنَّ فرعون لأنَّها نظيره في كونها تفسيراً لنبأ موسى وفرعون والحق إقتصاص رد يريدُ حكاية حال ماضية ويجوز أن يكون حالاً من يستضعف أي: تستضعفوهم فرعون ونحنُ نُريدُ أن نَمنَّ على الذين إستضعفوا في الأرض ونفضل عليهم ولا مكان كون منّة الله وتفضله عليهم بالخلاص عن شدةّ بأس فرعون قرينة الوقوع جعل وقوعها كأنَّه مقارنة لاستضعافهم. ﴿وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةً﴾ متقدِّمين في الدِّين والدنيا وقادة يهتدى بها في الخيراة ويهتدى بهم إلى السَّعادة أو دعاة إلى الخيرات والصَّلاح وولاة وملوكاً لإنتظام أُمور المعايش في الدنيا واستصحال النَّجاح والنَّجاة والفلاح في العقبى. ﴿وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم من المنقولات المتاع وسائر المملوكات.

---

٤٠ قال الزيلعي في "*تخريج الكشاف*، ٣٤٦،١ : غريب جدًّا .

٤١ الخضر: بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح وكان أبوه ملكا عظيما جدا. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، *المعارف*، تح: دكتور ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة ، ١، ٤٢ .

٤٢ الكهف، ٨٠/١٨.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ﴾ ونجعلهم متمكنين. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أرض الشام[٤٣] ومصر وأصل التمكين أن يجعل الشيء مكاناً يتمكَّن فيه ويستقر دونه ثم أستعير للتَّسليط وإطلاق الأمر وإنفاذه. ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾ منهم من بني إسرائيل. ﴿مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ منه وهو أن قتلوا أولادهم لئلا يقع المحذور وهو ذهاب الملك من أيديهم وإستهلاكهم بيدهم وإستئصالهم بيد مولود يولد وقد وقع.

﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾[٤٤] وألقينا. ﴿إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ إلهاماً[٤٥] وخطاباً[٤٦] أو وارداً أو رؤياً[٤٧] .

﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ ما أمكنك إخفاؤه بحسن الظَّن. ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ عليه. ﴿وَلَا تحزني﴾ بفرقته. ﴿إِنَّا﴾ بكمال قدرتنا ووفور قوتنا. ﴿رادوه إليك﴾ عن قريب من غير أن يقع عليه عين العيون

---

٤٣ بلاد الشام: قال الحموي: وأما حدُها فمن الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية وأما عرضها فمن جبلَي طيىءٍ من نحو القبلة إلى بحر الروم وما بشأمة ذلك من البلاد وبها من أمهات المدُن مَنبج وحلب وحماة وحمص ودمشق والبيت المقدس والمعرة وفي الساحل أنطاكية وطرابلس وعَكا وصور وعسقلان وغير ذلك، وهي خمسة أجناد جُنْدُ قنسرين وجند دمشق وجند الأردُن وجند فلسطين وجند حمص وقد ذكرت في أجناد، ويُعدُ الحموي، معجم *البلدان*، ٤، ٣٢١ .

٤٤ الوحي: في اللُّغة على إفادة معنَى السرعة والخفاء. جابر الهندي،*علوم القران*، دار احياء التراث بيروت لبنان،ص،٧٢.

٤٥ الإلْهَامُ: إيقاع شيءٍ في القلب يطمئنُّ له الصدر،يَخُصّ اللهُ به بعضَ أصفيائه،والإلْهَامُ مايُلْقَي في القلب من معانٍ وأفكار، *المعجم الوسيط* ، دار الكتب العلمية، ص ،٤٢.

٤٦ الخطاب: هو القول الذي يفهم المخاطب به شيئا. *التعاريف* ، ص،٣١٦.

٤٧ الرؤيا: هي مشاهدة النائم أمراً محبوباً، وهي من الله تعالى،وقد يراد بها تبشير بخير،أو تحذير من شر، أو مساعدة وإرشاد، ويسن حمد الله تعالى عليها، وأن يحدث بها الأحبة دون غيرهم . قال الشيخ ابن عثيمين:معنى قوله صلى الله عليه وسلم:رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة:أن رؤيا المؤمن تقع صادقة؛لأنها أمثال يضربها الملك للرائي،وقد تكون خبراًعن شيء واقع،أو شيء سيقع فيقع مطابقاً للرؤيا ،فتكون هذه الرؤيا كوحي النبوة في صدق مدلولها ،وإن كانت تختلف عنها، ولهذا كانت جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من النبوة. إبن عثيمين، مجموع *فتاوى*،١،٣٢٧.

المبثوثة المنضوية لطلب موسى ولمن توالد، والفرق بين الخوف والحزن. أنَّ الخوف: غمٌ يلحق الإنسان يلحقه الأمر الواقع .

وأنَّ الحزن: حالة نفسانية تلحق النفس عند لحوق أمر متوهم أو مخيل لطريان أمر محذور، وقولهما لدفع ذلك المكروه والدم الطبيعي يوافقهما وبعبارة أُخرى: الخوف والحزن: حركة النَّفس من المحيط إلى المركز والغضب: حركة النَّفس من المحيط، ولذا ترى الغضوب محمرّ الوجه والخائف والحزين مصفراً وجهه.

﴿وَجَاءِلُوهُ مِنَ﴾ الأنبياء. ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الذين شرط فيهم الكتاب والشريعة إمّا إقتداءً أو إبتداءً.

روي (أنَّه ذبح في طلب موسى تسعون ألف وليدٍ من أولاد بني إسرائيل)[٤٨] .

وروىَ (أنَّه لمّا وقع موسى في بطن أُمّه إلى الأرض شاهدت القابلة بين عينيه نوراً ساطعاً فارتعدت واقشعرة كل مفصل منها ودخل حبه في قلبها فلمّا خرجت القابلة جاءة عيون فرعون فلفَّته أُمه في خرقةٍ وألقته في تنورٍ مسجورٍ فظلَّت العيون عمياء فما رأت أحداً فلمّا خرجت العيون من بيته سمعت بكاؤه من التنور فانطلقت وتوجهت إليه وقد جعل الله النّار عليه برداً وسلاماً فما رأت إلّا تنوراً مسجوراً فلمّا بلغ فرعون في طلب الولدان أوحى الله إلى أُمِّ موسى أن ألقيه في اليمِّ فارتفع على وجه الماء الجاري إلى بيت فرعون وهو إمرأته كانا جالسين في طرف الماء فإذا رأى بأعلى وجه الماء طفلاً محفوفاً بخرقة فأخذته إمرأةُ[٤٩] فرعون وما كانا لهما ولد فقالت له (ليس لنا ولد هذا ولدنا) [٥٠] كما أشار إليه .

---

٤٨ الخطيب: شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ)، *السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير*، مطبعة بولاق (الأميرية)– القاهرة، ١٢٨٥هـ ، ٥٧،١ .

٤٩ آسية: إمرأة فرعون من بني إسرائيل، وكانت مؤمنة تكتم إيمانها، فلما قتلت الماشطة رأت آسية الملائكة تعرج بروحها، كشف الله عن بصيرتها، وكانت تنظر إليها وهي تعذب، فلما رأت الملائكة قوي إيمانها وازدادت يقينا وتصديقا لموسى، فبينما هي كذلك إذ دخل عليها فرعون فأخبرها خبر الماشطة. قالت له آسية: الويل لك! ما أجرأك على الله، فقال لها: لعلك اعتراك الجنون الذي اعترى الماشطة؟ فقالت: ما بي جنون، ولكني آمنت بالله تعالى ربي وربك ورب العالمين.فدعا فرعون أمها، وقال لها: إن ابنتك قد أصابها ما أصاب الماشطة فأقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن بإله موسى. فخلت بها أمها، وأرادتها على موافقة فرعون، فأبت وقالت: أما أن أكفر بالله فلا والله! فأمر فرعون حتى مدت بين يديه أربعة أوتاد وعذبت حتى ماتت، فلما عاينت الموت قالت: {رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين} [التحريم: ١١]. ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، تح: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، ط : الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، ١٦٢،١.

﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف (ليكون لهم عدواً وحزنا) بضم الحاء وسكون الزاي، وقرأ الباقون (وحزنا) بفتح الحاي والزاي[٥١].

أمّا الأوَّل: فلأنَّه كان سبباً لهلاكه وذهاب ملكه بيده.

وأمّا الثاني: فلأنَّه قد بالغ في دعوته إلى الله فلم يقبل دعوته حزن في رد الإجابة وكثرة الرد.

﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ﴾ في ردّ أمانة الدَّعوة . ﴿خَٰطِـِٔينَ﴾

والتَّعليل واردٌ على طريقة المجاز دون الحقيقة؛ لأنَّه لم يكن غرضهم وداعيتهم من إلتقاط أن يكون لهم عدواً لكن لمّا كان نتيجة إلتقاطهم وثمرته المترتَّبة عليه ترتيب الغاية على ذي الغاية شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله كالإكرام الذي هو نتيجة المجيئ والتأدُب الذي هو ثمرة الضرب في قولك: ضربته للتأديب فاستعيرت[٥٢] هذا اللّام لما شبه به كما يستعار الأسد لمن يشبه فعله من هذا أنَّ الإستعارة كما يجري في الأسماء، والأفعال يجري في الحروف أيضاً فليس خطاؤهم في تربية عدوهم ببديع منهم إذا كانوا مذنبين مجرمين، فعاقبهم الله بأن ربّى عدوهم ومن هو يسبب هلاكهم على يدهم، وقالت إمرأة فرعون لفرعون حين إلتقاط التابوت وهي آسية.

---

٥٠ عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، *بيان المعاني*، مطبعة الترقي – دمشق، ط: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م، ٣ ،١٨٧. اليافعي ، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (المتوفى: ٧٦٨هـ)، *مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان*، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط : الأولى، ١٩٩٧ م، ٢ ،١٨٦ .

٥١ النيسابوريّ، أحمد بن الحسين بن مِهْران ، أبو بكر (المتوفى: ٣٨١هـ) *المبسوط في القراءات العشر*، تح: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية – دمشق، ١٩٨١ م، ص٣٣٩.

٥٢ إستعارةُ لغةً: من قولهم، استعارَ المالَ: إذا طلبَه عاريةً، واصطلاحاً: هي استعمالُ اللفظُ في غير ما وضعَ له لعلاقةِ (المشابهةِ) بين المعنَى المنقولِ عنه والمعنِى المستعملِ فيهِ، مع (قرينةٍ) صارفةٍ عن إرادةِ المعنَى الأصليِّ ،(والاستعارةُ) ليست إلا (تشبيهاً) مختصراً، لكنها أبلغُ منهُ كقولك: رأيتُ أسداً في المدرسةِ، فأصلُ هذه الاستعارةِ «رأيتُ رجلاً شجاعاً كالأسدِ في المدرسةِ » فحذفتَ المشبه « لفظُ رجلٍ» وحذفتَ الأداةَ الكاف - وحذفتَ وجهَ التشبيهِ « الشجاعةَ» وألحقتهُ بقرينةٍ « المدرسةِ» لتدلَّ على أنكَ تريدُ بالأسدِ شجاعاً. عبد الودود العراقي، *البلاغة وأسرارها*، مطبعة النور، العراق بغداد، ص،٧٦.

روي: (أنَّهم لمّا وجدوا التّابوت عالجوا فتحه ما قدروا عليه فعمدوا كسره فأعياهم فدنت آسية إليه فرأت في جوف التّابوت نوراً على نور ساطع فعالجته بفتحه فإذا هو بصبيٍ طفلٍ نوره بين عينيه وهو يمصُ إبهامه لبناً فأحبته من رآه، وكانت لفرعون بنت برصاء[٥٣] قالت الأطباء: لا تبرأ إلّا من قِبل البحر يوجد فيه شبه إنسان فدواؤها ريقها فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت) [٥٤].

قيل: لمّا نظرت إلى وجهه براءة فقالت: إنَّ هذه لنسمةٌ مباركة قد وهبها الله تعالى هذا أحد ما عطفهم عليه فقالت الغواة من قومه هذا هو الصبي الذي نُحذِّر منه فاستأذن لها في قتله فهمَّ وقصد بذلك[٥٥] .

﴿وَقَالَتِ﴾ آسية هذا. ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ فقال فرعون لك لا لي؛ روي (أنَّه لو قال

هو قرة عين لي كما هذه لك لهداه الله كما هداها هذا على سبيل الفرض والتَّقدير، أي: لو كان غير مطبوع على قلبه كما له يقال مثل ما قالت ولا سلم مثل ما أسلمت هذا إن صحَّ الحديث فتأويله هذا والله أعلم بصحته، خبر مبتدأ محذوف أما إذا جعل مبتدأ ولا تقتله خبراً فغير قوي فجعله منصوباً أقوى).[٥٦]

﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ فإنَّ فيه مخائيل اليمين ودلائل النفع لأهله وذلك لمّا عاينت فيه من

النّور وارتضاع الإبهام وبرء البرصاء[٥٧] ولعلَّها توسَّمت في سيماه وتفرَّست بما شاهدت فيه النجابة المؤذنة بكونه نافعاً أو تتبنّاه فإنَّه أهل للتبني ولأن يكون ولداً للملوك .

---

٥٣ أبو الفضل: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، *الإصابة في تمييز الصحابة*، تح : عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية– بيروت ، ط : الأولى - ١٤١٥ هـ، ٨ ،٢٢.

٥٤ *الزمخشري الكشّاف*، ٣ ،٣٩٩.

٥٥ القيرواني، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي، المتوفى:٤٣٧هـ، *الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره*، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف: الشاهد البوشيخي،مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ٨،٥٤٨٨.

٥٦ *الزمخشري، الكشّاف*، ٣ ،٣٩٩.

٥٧ *الزمخشري، الكشّاف*، ٣ ،٣٩٩.

﴿أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ جملة حالية من آل فرعون أي ألتقطه والحال أنَّهم لا يشعرون أنَّهم على خطأٍ عظيمٍ، أو من القائل: أي المقول له أنَّه تنفعنا وهم لايشعرون أنَّهم في هذا الحكم على خطأ أو من أحد ضميرى نتخذه على أنَّ الضمير للنّاس أي وهم لا يشعرون إنَّه لغيرنا وقد تبناه إنَّ فرعون جملة إعتراضية واقعة، بين المعطوف، والمعطوف عليه، مؤكدة لمعنى خطأهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم [٥٨].

﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ أي: صار قلبها صفراً خالياً من العقل والإدراك والعلم فإنَّها لمّا سمعت بوقوع تابوت بيد آل فرعون طار عقلها وصار قلبها لما دهمها من فرط الجزع ووفور الخوف والفزع صفراً خالياً عن التَّعقل والإدراك. ﴿إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا﴾ أي: قويت أُم موسى لتبدي به أي ليظهر بأمر موسى وقصته من فرط الضجرة أو وفور الفرح والمسرة أي: أفرغنا الصَّبر والثَّبات على قلبِها وفؤادِها في فراقه وهجرانه وغيبته الجزاء أي لولا أفرغ الصَّبر والإطمئنان منّا على قلبها لتجزَّعت وتضجَّرت. ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ المصدقين بوعد الله حيث قال: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ متعلق بالاستثناء المحذوف لكن تحقق منا الإفراغ ليثبت قلبها ويطمأن نفسها وغيبها ويكمل إيمانها لمّا تقر من أنَّ القلوب مراكز العقول التي هي مراكب العلوم ومناكب الإدراكات من الأقيسة والحدود والرسوم والمعارف الإلهية والحقائق الغير المتناهية.

﴿وَقَالَتۡ﴾ أُم موسى. ﴿لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ إبتغي أثره واقتفي خبره ليثبت فؤادي واستقامة نفسي وخلدي .

﴿فَبَصُرَتۡ﴾ وتربَّصت وترصَّدت. ﴿بِهِۦ﴾ أي: موسى وحاله. ﴿عَن جُنُبٖ﴾ وبعد من غير أن تقرب بمكان فيه موسى . ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ بحالك وسبقك وقربتك ومالك .

---

٥٨ *الزمخشري، الكشّاف*، ٣٩٥،٣.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ﴾ أي: منعنا على موسى. ﴿ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل القصص يعني بإلتقاطه آل فرعون قبلته آسية وتبنته وطلبت له المرضعات، فلمّا عرضت المرضعات له ما قبِل أحداً منهنَّ أو حرم الله ومنعه من قبول ثدي منهنَّ .

﴿فَقَالَتْ﴾ مريم أُخته أُم موسى. ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ﴾ ويتعهدون حضانته ويتعمدون رضاعته. ﴿لَكُمْ﴾ أي: لأجلكم. ﴿وَهُمْ﴾ أي: أهل البيت. ﴿لَهُۥ﴾ أي: لموسى. ﴿نَٰصِحُونَ﴾ نافعون من غير أن يشوبه الفساد من النُّصح وهو إخلاص العمل.

روي: أنَّها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان[٥٩]: إنَّها لتعرفه وتعرف أهله فقالت: إنَّما أردت وهم لك ناصحون فانطلقت بأمرهم وإشارتهم فجاءت بأُمه، والصَّبي على يد فرعون يعلله ويحركه ويمللله إستعطاف عليه وهو يبكي لطلب الرضاع فلمّا وجد ريحها إستأنس بها والتقم ثديها فقال لها فرعون: من أنت منه فقد أبى وضع كل ثدي إلا بثديك ؟ قالت: إني طيبة الريح طيبة اللّبن لا أُوتي بصبي إلّا وقد قبلني فدفعه إليها وأجرى عليها ومكَّنه لديها فأخذ منه وحملته إلى بيتها فأنجز الله وعده في الردّ إليها، فثبت عندها واستقرَّ في علمها أنَّه سيكون نبياً واسترصدت حقية[٦٠] قوله

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ بأنَّه يرَدُّ إليها فاستأجرها لرضاعه فقبولها الأجر لأمرين:

أحدهما: للتقية[٦١] وإخفاء حالها .

---

٥٩ هامان: وزير من وزراء فرعون، وقد كان هذا الوزير مثالاً لوزير السوء في بلاط الملك الكافر، وقد أخبر القرآن العظيم عن هذا الوزير في أكثر من موضع، وأشار إلى بعض أفعاله والمهام التي كان فرعون يكلها إليها، د. عمر عبد الودود ، *التاريخ الشرقي*، مطبعة قاهرة، ص،٦٥.

٦٠ النيسابوري، *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت،ط: الأولى - ١٤١٦ ، ٥ ، ٣٣٠ .

٦١ التقية: يقال اتقى تقية وتقاء والتقي المتقي وقالوا ما أتقاه لله وتوقى واتقى واتقى بمعنى وقاه الله وقاية بالكسر حفظه والوقاية أيضا التي للنساء وفتح الواو لغة والأوقية في الحديث أربعون درهما وكذا كان فيما مضى وأما اليوم فيما يتعارفه الناس فالأوقية عند الأطباء وزن عشرة دراهم وخمسة أسباع درهم وهو إستار وثلثا إستار

الثاني: أنَّ قبولها لا للأجر بل لأنَّه مال كافر حربي[٦٢] مباح[٦٣].

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ إنَّ وعد الله بجعله نبياً حق شفيع وأنَّه هو الغرض الأصلي وأنَّ ما سواه من قوة العين وذهاب الحزن والردّ إلى أُمّه تبع له.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ أي: مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوتُه ونماؤه وهو بحسب تفاوت إلّا الأمزجة وقوته وضعفه متفاوتة وذلك من اثني وثلاثين أو ثمان وعشرين إلى أربعين؛ فإنَّ العقل يكمل ح .

روي أنَّه لم يُبعث نبيٌّ إلّا على رأس أربعين وذلك أنَّ العقود العشرية والقيود البشرية له أربع[٦٤] وهو يتضمن كمال مرتبة أعلى العشرة ٤،٣،٢،١ والمجموع ١٠ تلك عشرة كاملة وإنَّ مراتب تدبير الإنسان تربيته على مقتضى قوله ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[٦٥] أربعون وهي البروج الإثني عشر وثمان وعشرون منزلاً ولذا إنحصر مراتب الاستكمال العروجي على أربعين أيضاً.

والجمع الأواقي بتشديد الياء وإن شئت خففت. الرازي، *مختار الصحاح*، تح: محمود خاطر، مكتبة لبنان، ١٤١٥، بيروت، ص،٣٠٥.

٦٢ الكافر الحربي: فهو الذي ليس بينه وبين المسلمين عهد ولا أمان ولا عقد ذمة، جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية ما نصه: أهل الحرب أو الحربيون: هم غير المسلمين الذين لم يدخلوا في عقد الذمة، ولا يتمتعون بأمان المسلمين ولا عهدهم .*المصدر السابق*، ص ،٧٦.

٦٣ المباح: معناه لغة :المُعلَن، يقال: باح بسرِّه؛ أي: أظهره وأعلنه، ويطلق المباح على الشيء المأذون في؛ إصطلاحًا : ما خيَّر الشارعُ المكلَّف بين فعله وتركه، ولا يلحقه مدح ولا ذم شرعي بفعله وتركه. مجدي الكردي ،*أسس الأُصول*، دار الأصالة، الإمارات، ص، ١٣٢.

٦٤ أحمد بن حجر العسقلاني، (٨٥٢هـ)، *الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف*، دار عالم المعرفة، بيروت، حديث رقم ١٣١، ص،١٢٦ .

٦٥ السجدة، ٣٢/ ٥ .

قال النبي عليه السلام: (من أخلص له تعالى أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه)[٦٦]. ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين﴾[٦٧]. ﴿وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة﴾[٦٨].

﴿وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ واعتدل وتم استحكامه. ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا﴾ نبوة وحكمة عملية. ﴿وَعِلۡمٗا﴾ وقوة نظرية وهي مبدأ العلوم الحكمية ومنشأ القوانين العلمية.

قيل: آتيناه سيرة الحكماء والعلماء [٦٩].

وقيل: البعثة أو المراد التوراة وحكمة الأنبياء وهي سننهم وسيرتهم السنية وعادتهم البهية كما قال الله تعالى: ﴿واذكرن ما يُتلى في بيوتكنَ من آيات الله والحكمة﴾[٧٠].

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ بالعلم والحكمة.

﴿وَدَخَلَ﴾ موسى ﴿ٱلۡمَدِينَةَ﴾ أي: مصر آمنا من بأس فرعون وشدة بطشه.

﴿عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا﴾ أي: زمان كان من أهل المدينة مغفلة فيه بما شغلهم فيه وهو بين العشائين أو وقت القيلولة[٧١] أو يوم العيد الذي كانوا يشتغلون فيه باللَّهو واللَّعب ﴿فَوَجَدَ﴾موسى ﴿فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ﴾ يتقاتلان .

---

٦٦ السيوطي ،*جامع الصغير*: ١٤٤،٣. الهروي، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، *الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى*، المحقق: محمد الصباغ، دار الأمانة بيروت. العجلوني، *كشف الخفاء*، ٢، ٢٢٤ .

٦٧ الأعراف، ١٤٢/٧.

٦٨ البقرة، ٥١/٢ .

٦٩ الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (المتوفى:١٢٧٠هـ)، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط : الأولى، ١٤١٥ هـ

٧٠ الأحزاب: ٣٤/٣٣ .

٧١ القَيلولة: نَومَةُ نصف النَّهَار وقت الظهيرة. الأزهري، *تهذيب اللغة*، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠١م، ٩ ،٢٣٢. الجوهري، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم بيروت، ط: الرابعة ١٤٠٧ هـ، ١٨٠٨،٥ .

﴿هَٰذَا﴾ أحدهما. ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾ وقومه وقبيلته. ﴿وَهَٰذَا﴾ الآخر. ﴿مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ أي: الأوَّل كان من السِّبط.

والثّاني من القِبط[٧٢] أي طلب موسى القوة والنصر والمدد والقوة.

قيل: كان السامري[٧٣]. [٧٤]

﴿عَلَى﴾ الرَّجل الآخر. ﴿ٱلَّذِى﴾ كان. ﴿مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ وهو الذي كان يتسخَّر الإسرائيلي لحمل الحطب إلى مطبخ فرعون. ﴿فَوَكَزَهُۥ﴾[٧٥] وغمزه ونقذه بأطراف الأصابع أو لجميع الكف من الوكز وهو الدفع.

﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ وحكم لديه فقتله. ﴿قَالَ﴾ موسى بعد الوكز والقتل. ﴿هَٰذَا﴾ الفعل والعمل كان.

---

٧٢ الأقباط: أقباط جمع قبطي، وهو إسم يعود إلى اللفظ اليوناني أيجيبتوسAίγυπτος ، قبل دخول العرب إلى مصر كانت كلمة "قبط" تدل على أهل مصر دون أن يكون للمعتقد الديني أثر على ذلك الإستخدام، إلا أنه بسبب كون السلطة كانت بأيدي أصحاب الديانة المسيحية وقت دخول العرب المسلمين مصر، فقد إكتسب الإسم كذلك بعدا دينيا تمييزا للمسيحيين تميزا لهم عن غيرهم، حتي إنحصرت كلمه قبطي علي مر العصور لتشير للمسيحيين في الأحاديث وكذلك في الخطاب الرسمي للدولة لأوسط، ويتركز معظمهم في جمهوريه مصر، والسودان . نجاة المصري، *دولة الفراعنة*، ص، ٧٨ .

٧٣ السامري: شخصية يهودية وهو الذي ذكر في القرآن الكريم في سورة طه، وهو الذي أغوى بني إسرائيل بعد أن ذهب موسى إلى الله فأخرج السامري عجلا جسدا له خوار، فأضل كثيرا من بني إسرائيل، ودعا عليه موسى قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا. الطبري، (ت: ٣١٠هـ)، *جامع البيان في تأويل القرآن* ،تح:أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ٤، ٦٤١ .

٧٤ الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر أبو الحسن، (المتوفى: ٧٤١هـ)، *لباب التأويل في معاني التنزيل*، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ، ٣، ٢١٠ .

٧٥ قال: الوكز: الطعن، يقال: وكزه بجمع كفه. قال: الوكز: أن يضرب بجمع كفه. وقيل: وكزه بالعصا . الفراهيدي،أبوعبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت: ١٧٠هـ)، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال ، ٥ ،٣٩٥ . الأزهري، *تهذيب اللغة*، ١٠، ١٧٦ .

﴿مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ ووسوسته وإنَّما أضافه إلى الشَّيطان وسمّاه ظلماً واستغفر منه لأنَّه ما كان مأذوناً في القتل وليس لنبي أن يقتل ما لا يُأمر به. ﴿إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ﴾ أي ظاهر الإضلال والعداوة .

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾ في قتل النَّفس من غير أنْ أُومر به .

﴿فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ قَالَ رَبِّ﴾ إني أقسم ﴿بِمَآ أَنۡعَمۡتَ﴾ أي: بما أنعمته أو بالإنعام .

﴿عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا﴾ ومعيناً وناصراً ومعاوناً.

﴿لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ المرتكبين للمعاصي والذنوب أو استعطافٍ أي: بحق إنعامك على المغفرة ووفور الرَّحمة ودردر[٧٦] النِّعمة والعصمة وهو ذريعة[٧٧] ومقدمة للشُّكر في عد أنواع النعم وعرض أصناف مقتضيات الكرم من صنوف النعم.

﴿فَأَصۡبَحَ﴾ وصار موسى. ﴿فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا﴾ بعد الوكز. ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ التعرض من فرعون وجنوده أو من ولي الموكوز والمقتول المرموز. ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي﴾ الرجل السبطي الذي. ﴿ٱسۡتَنصَرَهُۥ﴾ وطلب من موسى الإعانة والإمداد على خصمه. ﴿بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۖ﴾ من

---

٧٦ دَرْدَرَ الْمَاءُ: صوت حين اندفاعه في بطون الأودية و فلان بالمعزى دعاها إلى الماء و التمرة و غيرها لاكها بدراده (تدردر) مطاوع دردره و اضطرب و ترجرج، "الدردرة" حكاية صوت الماء في بطون الأودية وغيرها إذا جرى فسمعت له صوتا. ابن القَطَّاع ،أبو القاسم علي بن جعفر بن علي السعدي، الصقلي (المتوفى: ٥١٥هـ) ، *كتاب الأفعال*، ط: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، ١ ،٣٧٥ ؛ مجمع اللغة العربية: إبراهيم مصطفى- أحمد الزيات- حامد عبد القادر- محمدالنجار، *معجم الوسيط*، دار الدعوة، ٢٧٨،١ .

٧٧ الذرائع: جمع ذريعة،وهي في اللغة: الوسيلة إلى الشيء. ويقصد بها في إصطلاح الفقهاء والأصوليين: ما كان ظاهره الإباحة، لكنه يفضي ويؤول إلى المفسدة أو الوقوع في الحرام . قال: ابن تيمية رحمه الله : وَالذَّرِيعَةُ : مَا كَانَ وَسِيلَةً وَطَرِيقًا إلَى الشَّيْءِ، لَكِنْ صَارَتْ فِي عُرْفِ الْفُقَهَاءِ:عِبَارَةً عَمَّا أَفْضَت إلَى فِعْلٍ مُحَرَّمٍ، وَلَوْ تَجَرَّدَتْ عَنْ ذَلِكَ الْإِفْضَاءِ:لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَفْسَدَةٌ . وَلِهَذَا قِيلَ:الذَّرِيعَةُ الْفِعْلُ الَّذِي ظَاهِرُهُ أَنَّهُ مُبَاحٌ ، وَهُوَ وَسِيلَةٌ إلَى فِعْلِ الْمُحَرَّمِ . ابن تيمية، *الفتاوى الكبرى* ، ١٧٢،٦.

الصراخ وهو الصوت الذي ظهر من العجز الطالب للمظاهرة والاستظهار وخبر للذي هو قرين المناجات ﴿قَالَ لَهُۥ﴾ أي: للرجل المستغيث السبطي ﴿مُوسَىٰٓ إِنَّكَ﴾ في هذه الحالة ﴿لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ بين الغواية وظاهر التسبب للفتنة إذ القتل قد وقع بسببك .

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ﴾ ويأخذ بالقوة والعنف موسى بالرجل. ﴿بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ أي لموسى والرجل السبطي من القبطي فإذا، ﴿قَالَ﴾ الرَجل القبطي لموسى، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى﴾ الآن من غير جرم ظاهر وسبب باهر. ﴿كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾ بغير حق وأمر إلهي وإذن رباني .

﴿إِن تُرِيدُ﴾ أي ما تريد أنت يا موسى من هذا القتل ؟ . ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ والجبار هو الذي لا يفعل ما يريد من القتل والضرب والشتم وغيرها إلا بظلم ولا ينظر في العواقب ولا يدفع بالذي هو أحسن أو هو التعظيم الذي لا يتواضع لأمر الله. ﴿وَمَا تُرِيدُ﴾ بهذا الفعل والقتل . ﴿أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ بين الناس بل غرضك أن تظهر لهم قوتك وشوكتك فلما قال هذا الرجل هذا الكلام لموسى أفشى وشاع واشتهر ﴿وجاء رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾[٧٨] وهو إبن عم فرعون.

﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ لأن يخبر موسى ما قصدوه إمّا وصف رجل أو حال منه. ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ﴾ وأشراف قوم فرعون ﴿يَأْتَمِرُونَ﴾ ويتشاورون من الإتمار وهو المشاورة يقال الرجلان يتآمران ويأتمران إذا شاور أحدهما الآخر لأنَ كل واحدٍ منهما يأمر صاحبه بشيءٍ أو يُشير عليه بأمر أي: يتشاورون بسببك عليك. ﴿لِيَقْتُلُوكَ﴾ بسبب قتلك السابق وقصدك هذا الأمر اللاّحق. ﴿فَٱخْرُجْ﴾ من المدينة هذه ومن بينهم. ﴿إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ فَخَرَجَ﴾ موسى

---

٧٨ غافر، ٤٠/٢٨ .

﴿مِنۡهَا﴾ من المدينة ﴿خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ﴾ تعرض القوم به في الطريق ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ومن الفراق الكافرين.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾ وقصد ﴿تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ﴾[٧٩] قبالته ووجهته وهي قرية شعيب قد بناها مدين بن إبراهيم عليه السلام فسماها بإسمه ولم يكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمانين ليلة وكان موسى عليه ما يشاهد الطريق إليها ولا يعتمد إلا بحسن ظنه بربه فعن له ثلاث طرق فأخذ واختار أوسطها وجاء الطلاب وسرعوا في الآخرين.

﴿قَالَ﴾ موسى في هذه الحالة راجياً طريق النجاة وسبيل المناجات ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ ووسطه ومعظم نهجه وأوضح بهجه.

قيل: خرج خائفاً جائعاً لا يعيش في الطريق إلا بورق الأشجار ومرق الأثمار فما وصل حتى سقط خف قدمه[٨٠].

قيل: جاء ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به إلى مدين[٨١].

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ﴾ أي: ما يسقون منه أهله وكان بئراً ﴿وَجَدَ عَلَيۡهِ﴾ أي: على شفيره ومستقاه. ﴿أُمَّةٗ﴾ فرقاً وجماعات ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ﴾ نفراً من الرجال والنساء

---

٧٩ مدين: هي المنطقة التي عاش فيها قوم شعيب، الّذين أرسل الله تعالى إليهم نبيّه شعيباً – عليه السلام – ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الباطل الّذي هم عليه إلى الحق. تقع مدين بالقرب من البدع في شمال المملكة العربية السعوديّة، والبدع هي المنطقة أو المدينة التي تتبع إلى منطقة تبوك في الشمال السعودي.دكتور محمد فالح القحطاني، *تأريخ الجزيرة العربية*، ص،٥٧١ .

٨٠ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح(المتوفى: ٦٧١هـ)، *الجامع لأحكام القرآن* ،تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية– القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، ٢٦٦،١٣ .

٨١ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (المتوفى: ٣١٠هـ)، *تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك*، دار الكتب العلمية–بيروت، ط: الأولى،١٤٠٧، ٣٩١،١. أبو الأرقم، محمد بن رزق بن عبدالناصربن طرهوني الكعبي السلمي المصري المدني، *التفسيرالمفسرون في غرب أفريقيا*،أصل هذا الكتاب:رسالة دكتوراة، دار ابن الجوزي، السعودية ،ط : الأولى، ١٤٢٦ هـ ، ٦٦٥،٢ .

﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ﴾ في مكان أسفل وأدنى. ﴿ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِ﴾ تطردان وتدفعان من الذود وهو الطرد والدفع من الماء وأخذه وذلك لأنه كان على الماء والأخذ منه وشفته من هو أقوى منهما فلا يتمكنان من الأخذ والسقي أو لأنهما تكرهان المزاحمة والممانعة على الماء أو لإستحيائهما وتسترهما. ﴿قَالَ﴾ موسى لهما ﴿مَا خَطۡبُكُمَا﴾ وأيُّ شيءٍ شأنكما ومن أنتم ؟ .

﴿قَالَتَا لَا نَسۡقِي﴾ الأغنام بهذا الماء. ﴿حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ بضم الراء إسم جمع وبكسرها قياس مصدر لقيام وصيام جمع راع وهو من يعهد المواشي أي لا نقدر على سقي الغنم حتى يصدر ويصرف رعاء الأغنام ونحن ضعفاء عاجزون عن السقي ﴿وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾ كثير الضعف والسن .

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ غنمهما أي: لأجلهما (روي أن الرُعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجراً كبيراً لا يقله ولا يحركه إلا سبعة رجال أو عشرة أو أربعون وسعى فاستقى بها وأخذ الماء من البئر بالدلو وصب في الحوض ودعا بالبركة ورؤي عنهما وأصدرهما وصرفهما).[٨٢]

﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ﴾ وانصرف .

﴿إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ وانعطف إلى الكن المظل، روى أنَّه دفعهم عن الماء حتى سقى لهما.[٨٣]

قيل: كان بئراً أُخرى الصخرة المذكورة ولم يقدروا على رفعها فرفعها موسى وحده واستسقى بها وإنما فعل هذا رغبة في المعروف وإعانة للملهوف[٨٤].

---

٨٢ *الزمخشري، الكشّاف*، ٣،٤٠١ .

٨٣ *الزمخشري ، الكشّاف*، ٣،٤٠٥

٨٤ أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، *فتحُ البيان في مقاصد القرآن*، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ١٠،١٠٥.

﴿فَقَالَ﴾ موسى . ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ وبر قليل إلى متعلق بأنزلت المخاطب فقير خبر إني أي: إني لإنزال الخير محتاج سائل وطالب له ولذا عدي باللام والغرض إظهار الشكر على إنعام نعمة القوة ونعمة القدرة على ما ذكر وإشهار الفقر والصبر عليه.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا﴾ يعني: لما عرضتا الحال على أبيهما بعث إحداهما إلى طلب موسى فجاءت إحدى الامرأتين حال كونها ﴿تَمْشِي﴾ ثابتة ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾ ويطلبك .

﴿لِيَجْزِيَكَ﴾ ويعطي جزاءك وكفايتك على ما فعلت.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ﴾ أي: جاء موسى إلى شعيب ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ التي وقعت به وما جرى بينه وبين قوم فرعون ﴿قَالَ﴾ شعيب لموسى ﴿لَا تَخَفْ﴾ إنك قد ﴿نَجَوْتَ﴾ نجيتُ ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ روي: أنه لما قالت لموسى ليجزيك كره ذلك ولما قدم إليه الطعام امتنع منه وقال: إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الأرض وملأها ذهباً ولا نأخذُ على المعروف ثمناً حتى قال شعيب: هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا لا نقصد به الأُجرة والمكافأة.[٨٥] القصص مصدر كالعلل سُمي به المقصوص.

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ وهي التي ذهبت به وانطلقت به وطلبته إلى أبيها أن تستأجره وهي التي تزوجها.

﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ﴾ إياه من الأشخاص هو هذا لأنَّه هو . ﴿ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ فلما قالت هذا الكلام وتكلَمت به أنَّ شعيباً قد همَّته الغيرة وبرجته الحمية، قال كيف علمت قوته وأمانته ؟ فذكرت إقلال الحجر ونقلها ونزع الدَّلو وأنَّه صوب رأسه وحفظ بصره

٨٥ *الزمخشري، الكشّاف*، ٤٠٢،٣ . الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي سنة الوفاة ٦٠٤، *التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب*، تح: دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، بيروت، ٢٠٦،٢٤ .

وانعاد حتى يلقيه رسالته وأمرها بالمشي خلفه بعد الفراغ عن السعي وإصداره وقولها إنَّ خير من استأجرت القوي الأمين الكلام حكيم لا يزاد عليه لأنَّه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان أعني الكفاية والأمانة القائم بأمرك فقد فرغ بالك واستطابت حالك وتم مرادك وما تم ملالك هذا تعليل شائع جاري مجرى الدَّليل على أنَّه حقيق بالاستجار.

﴿قَالَ﴾ شعيب لموسى ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي﴾ نفسك في مدة

﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٖ﴾ وليس هذا بنكاح حتى يشترطه أن تعينَ إحداها ولا بإجارة حتى يتعين العوض بل هو توطئة مقدمة وتقديم طلائع لها وطلب ومعاهدة ووعد لا معاقدة وإما جعل المهر إجارة نفسه في رعية الغنم فعند أبي حنيفة لا يصح لأنَه لا بدَّ أن يكون بلا تمكن أن يسلم أما لو تزوج بإمرأة بأن يخدمها عنده سنة أو يمسكها داره سنة فصحيح لأنَها مال قد سلمه بخلاف الأوَّل .

وعند الشافعي يجوز التزوج على الإجارة لبعض الأعمال والخدمة إذا كان المستأجر له أو المخدوم فيه أمراً معلوماً هذا حاصل ما في الكشاف[٨٦] يدلُ على أنَ مثل هذا النكاح جائز عند الشافعي وليس كذلك ولعلّ ذلك كان جائزاً في تلك الشريعة ويجوز أن يكون المهر شيئاً آخر.

﴿فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَ﴾ أي فإتمامه من عندك أي يكون هذا تبرعاً وإحساناً وتفضلاً منك بلا إلزام وتكليف وإبرام مني. ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَ﴾ بإلزام إتمام العشر والمناقشة في مراعاته واستيفاء الأعمال الشاقَة وقال شُعيب تسلية لموسى وتطييباً لقلبه. ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ في حسن المعاملة، ووطاء الخلق، ولين الجانب ، ويجوز أن يكون المراد الصلاح على العموم ويندرج تحته حسن معاملة وغيره والمراد بإشتراط مشيئة الله فيما وعد من الصلاح والإتكال على توفيق الله ومعونته لأنَه يستعمل إن شاءالله وإن

---

٨٦ تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، وهو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، ويلقب بالإمام الكبير في التفسير، والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، ولد يوم الأربعاء من شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة في زمخشر الموافق ١٠٧٤ميلادية، وتوفي سنة ٥٣٨ هجرية الموافق ١١٤٣ ميلادية .

استعمل خلافه قال شعيب أو موسى ذلك الذي عاهدتك وعاهدتني وشارطتك وشارطتني لديه قائمٌ بيننا جميعاً لا نخرج كلانا عنه لا أنا ولا أنت.

﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾ أطولها وأقصرها قضيت ووفيت إياه بإستطابة القلب ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾ ولا ظلم ولا إجبار ﴿عَلَيَّ﴾ لا في الزيادة على الثمانية ولا على العشرة بل الأمر على الخيار والسواء إما هذا وإما ذاك من غير تفاوت بينهما في القضاء وأما التتمة والإتمام فموكول على رأيك: إن شئتَ أتيت بها وإلا لم أَجْبِرْ عليها وما في أيما صلة لتأكيد الفعل أي: أيُّ الأجلين فأيُما جردت عزمي وقيَدت جرمي لقضائه؟ .

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ شاهد حفيظ وكفيل .

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ الموعود واستوفى الأمل المعهود. ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ مع امرأته،

روي: أنه قضى أقصى الأجلين ثم توجه إلى الوطن المألوف والمحبذ المعروف.[٨٧]

﴿ءَانَسَ﴾ وأبصر ورأى ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ يلي جبل ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ﴾ وامرأته: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ وأبصرتها ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بخبر﴾ الطريق ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ عود غليظ كانت في رأسه ناراً ولم يكن من جنس هذه النار . ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ روي: أنَّ شعيباً كانت عنده عصى الأنبياء فقال شعيب ع م: باللّيل أدخل ذلك البيت فوجد عصا من تلك العصى فأخذ عصاء هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الأنبياء يتوارثون تلك العصا حتى وقعت إلى شعيب فمسَّها فأدركها وأحسَّ أنَها هي العصاء التي هبط بها آدم وكان مكفوفاً ممنوعاً البصر فضنَّ بها وبخل فقال غيرها فما وقع في يد موسى أو شعيب إلا هي سبع مراتٍ فعلم أن له شأناً.[٨٨] .

---

٨٧ الزحيلي، وهبة بن مصطفى ، *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط : الثانية، ١٤١٨ هـ، ٢٠ ، ٩٤ .

٨٨ *الزمخشري ، الكشّاف*، ٣ ،٤٠١.

وقيل: أخذها جبرائيل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلاً.[٨٩]

وقيل: أودعها شعيباً ملك في صورة رجل فأمر بنته التي أرسلها إلى موسى أن يأتيه بعضاً فأتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعتها إليه ثم ندم لأنَّها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فأتاهما الملك فقال: ألقياها فمن دفعها فهي له، فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى ولما أصبح قال له شعيب: إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن الكلأ وإن كان لها أكثر إلا أن فيها تنيناً أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كسبها فمشى على أثرها فإذا غشيت وزين لم ير مثله فنام فإذا بالتنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى دامية فلمّا أبصرها دامية والتنين مقتولاً ارتاح وتنشط ولما رجع إلى شعيب مسّ الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللَّبن فأخبره موسى ففرح وعلم أنَّ لموسى والعصى شأناً رفيعاً وأمراً عظيماً بليغاً وقال له إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاء فأوحى الله إليه في المقام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة إلّا وضعت أدرع ودرعاء فوفى له شرطه[٩٠].

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ أي: قبل الشجرة يدل من قوله من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لأنَّ الشَّجر كانت نابتة على الفساط وطرف الوادي.

﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هذا وإن خالف ما في {طه،والنمل} لفظاً فهو طبقه في المخصوص معنى.

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ أي: ألقاها فصارت ثعباناً واهتزت وتحركت ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ وجنٌّ في الهيئة والجثة أو في السرعة ﴿وَلَّىٰ﴾ أعرض موسى ﴿مُدْبِرًا﴾ أي: تحرك

---

٨٩ أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، *اللباب في علوم الكتاب* ،المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض،دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان،ط: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م، ١٥،٢٤٦ .

٩٠ الألوسي، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، ١٠،٢٧٩ .

على الأدبار فهو مأمن الخوف، ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولم يرجع ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾ أقبِل وتوجَّه إليها واصرف وجهك لديها .

﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْأَٰمِنِينَ﴾ من المخاوف.

﴿ٱسْلُكْ﴾ وأدخل ﴿يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ بريقاً ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ أي: يدك اليمنى واليسرى المبسوطتين كالخائف الفزع بإدخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس أو بإدخالهما في الجيب تكرير الغرض آخر وهو أن يكون ذلك في وجه الغدر إظهار الجزاية ومبدأ لظهور عجزٍ، ويجوز أن يكون المراد بالضَّم التخلُّد والثَّبات عند انقلاب العصى حية استعارة من فعل الطائر إذا خاف نشر جناحيه وإذا أمن واطمأن ضمهما من الرَّسب من أجل الرَّهب والخوف واضرب، أي إذا عراك وعرض الخوف فاجعل ذلك تجلدا وطيباً لنفسك. ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ يدلان على حقيقة دعواك ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ بغير نفسٍ. ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ بها اقتصاصاً وقد تقدَّم منهم قصدي.

والحال إن ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا﴾ ظهراً ومعيناً وهو في الأصل إسم كالدفء أن ﴿يُصَدِّقُنِىٓ﴾ ويعنيني في تصديقي، ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ﴾أي: لأني أخاف، ﴿أَن يُكَذِّبُونِ﴾ قال الله تبارك وتعالى تحقيقاً لمأموله وتصديقاً لمحصوله.

﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ ونقوِّي ظهرك، ﴿بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾ إستعلاءً من لدنا . ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بسوء واستيلاء وبؤس واستعلاء وسوء أو باحتجاج الحجة وبرهان

ومعاندة ولجاج[٩١] فاذهبا أنتما يا موسى وهارون مستصحبين، ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ وسطوح بيناتنا ومعجزاتنا فإذا ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا﴾ من المؤمنين والموافقين الموحدين، ﴿ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ بإظهار المعجزات وكلمة الصدق فاللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ الواضحة والمعجزات اللائحة وخرق العادات الصالحة، ﴿قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ ومختلق وأمر غير معتمد، ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا﴾ الذي جاء به من الدلالات الساطعة، ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وقدمائنا المعولين يعنون السحر.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ في كل زمانٍ وعصرٍ، ﴿مِنْ عِندِهِۦ﴾ لا من غيره فتعلم إليَّ في هذه الدعوة محق في إظهار الحق واشتهار الصدق مدعٍ ومحققٍ وأنَّ من خاصمنا فيها وخالفنا لديها زاهق ومبطل شاهق.

﴿وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ العاقبة المحمودة والعافية المعهودة المحدودة إذ المعنى بالدار والمنتقى من هذه الدار التي هي الدنيا وعاقبتها الأصلية هي الجنة التي خلقت مجازاً إلى الآخرة والمقصود منها بالذات هي الجنة وبالفرض هي النار، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ لا يفوزون في الدنيا بالهدى وحسن العاقبة في الآخرة والعقبى.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ وإنَّما علَّق الشرك والإشراك بعلمه الذي هو في الواقع هو الجهلُ أو هو تورية وتسويس الإغلال وتلبيس الإضلال فعلم من هذا أنَّه لا يجزيه بالشرك. ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ﴾ أي ولأن يبني لي، ﴿عَلَى ٱلطِّينِ

---

٩١ ولِجَاجٌ: بالكسر في الأخير،أنشد ابن الأعرابيّ :وكيفَ بِكُمْ يا عَلْوُ أَهْلاً ودُونَكُمْ لِجَاجٌ يُقَمِّسْنَ السَّفِينَ وبِيدُ، ، أبو الفيض، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، *تاج العروس من جواهر القاموس*، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ٦،١٨٠ .

صَرۡحًا﴾ قصراً عالياً مشيداً ومحكماً مشدداً. ﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ وذلك، ﴿وَإِنِّي﴾

أي: لأني، ﴿لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾

روي: أنَّه لمّا أمر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون ألف بنَّاء سوى الأتباع والأجراء وأمر بطبخ الأجر والجص وجمع الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ مالم يبلغه بنيان أحد من الخلق فكان الباني لا يقدر أن يقوم على رأسه فبعث له الله جبرئيل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجلٍ وقطعة وقعت في البحر وقطعة في الغرب ولم يبق أحد من عمله إلاّ وقد هلك[٩٢] .

وروي: في هذه القصة أنَّ فرعون ارتقى فوقه فرمى نحو السَّماء فأراد الله أن يفتنهم فردَّت السِّهام وهي ملطخة بدم فقال فرعون: قد قتلت إله موسى (فعندها بعث الله جبرئيل بهدمه)[٩٣] والله أعلم بصحته.

قال صاحب الكشاف: قصد بنفي علمه بإله غيره: نفي وجوده معناه ﴿مالكم من إله غيري﴾[٩٤] كما قال عزوجل ﴿قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض﴾[٩٥] أي: بما ليس فيهن وذلك لأنَّ العلم تابع للمعلوم لا متعلق به إلا على ما هو عليه فإذا كان الشيء معدوماً لم يتعلق به موجود فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده لا انتفاء وجوده في نفسه[٩٦]، ويجوز أن يكون محمولاً على ظاهره وأنَّ إلهاً غيره غير معلوم عنده لكنه مظنون بدليل قوله: ﴿وإني لأظُنه من الكاذبين﴾ وإذا ظنَّ أنَّ في الوجود إلهاً غيره ولم يكن المخذول ظانّاً ظناً كاليقين بل عالماً بصحة قول موسى عليه السلام: ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض

---

٩٢ محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط : الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ٢٠٩،٦ .

٩٣ *الزمخشري*، *الكشّاف*، ٣ ،٤١٧ .

٩٤ القصص، ٣٨/٢٨ .

٩٥ يونس: ١٨/١٠.

٩٦ جلال الدين المحلي (محمد بن أحمد) (المتوفى: ٨٦٤هـ)، وجلال الدين السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر) (المتوفى: ٩١١هـ) الشافعيان، *التعليق على تفسير الجلالين*،الشارح:عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، ٢٠،١٩. *الزمخشري*، *الكشّاف*، ٤١٣،٣ .

بصائر﴾[٩٧] وإن كان جاهلاً فرط الجهل به بصفاته الحسنى حيث حسب أنَّه في مكان كما كان هو في مكان وأنَّه يطلع كما كان يطلع اليه وأنَّه ملك الأرض كما هو ملك السماء ﴿لعلي أطلع إلى إله موسى﴾ .

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ الاستحقاق أو من غير أن ينبني على دليل عقلي وبرهان نقلي . ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ هذا دليل على أنَّه متقول وكمال ربوبيته إلّا أنَّه أنكر الحشر والنشر فالأوجه هو ما قدَّمناه من أنَّه هو إخفاء وتورية.

﴿فَأَخَذْنَٰهُ﴾ هو؛ ﴿وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ كما مرّ ؛ ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ واعتبر بحالهم وسوء مآلهم تعفوا في ابتلاء أشد من ابتلائهم. ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ فرعون وملائه ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ طرداً عن الرَّحمة وإبعاداً عن المكرمة وحقيقة النِّعمة.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ المطرودين المبعدين أو ممن تصبح وجوههم قبحاً يكون جارياً من قبح أعمالهم وفساد عقائدهم وكساد معاقدهم إلى أنَّها قبحت وجوه قلوبهم ويسري القبح من قلوبهم إلى أعضائهم وجوارحهم كما ورد من أن الظاهر عيون الباطن؛ (إن لفي جسد آدم لمضغة إذا صلحت صلحت سائر الجسد وإذا فسدت فسدت سائر الجسد ألا وهي القلب).[٩٨]

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي أعطينا التوراة له بعد إهلاك أهل القرون الأُولى من قوم نوح وعاد وثمود وصالح وقوم لوط وآل نمرود. وبعد إهلاك من يعانده من قوم فرعون وجنوده حال كون الكتاب ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾

---

٩٧ الإسراء، ١٠٢/١٧ .

٩٨ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان رقم الحديث: ٥٠ .

يستبصرون بها حقائق الرشد والإرشاد من المطل والمحق من المبطل والمباطل. ﴿وَهُدَى وَرَحْمَةً﴾ في الاسترشاد وطلب الرشد والرَّشاد والتجنُّب عن الفساد والإفساد ورحمة واسعة ونعمة ساطعة وقوة شائعة فائدة للنفس إلى الأعمال كلِّها والأفعال جلِّها ولو علموا بها وعملوا لديها وصلوا إلى نيل كمال رحمته وميل إلى هجوم نعمته الظاهرة والباطنة. ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ إرادة تذكرهم شبهت الأزلف بالترقي فاستعير لها ويجوز أن يراد به ترجي موسى لتذكرهم كقوله ﴿لعله يتذكر﴾[٩٩].

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ﴾ المكان ﴿ٱلْغَرْبِيِّ﴾ الواقع في شق جانب الغرب وهو المكان الذي وقع فيه الميقات من الطور[١٠٠] وكتب الله له في الألواح المراد الوادي أو الطور أي وادي النفس أو طور الطور القلبي الذي هو مجمع الأخلاق ومرفع أوصاف الخلاق ومبلغ القوة النظرية والعملية والخطاب إنَّما هو للحقيقة المحمدية المتعينة بالحقائق الإلهية والشقايق الكونية والدقائق الغيبية والشهادية أو ما كنت في ذلك المكان حاضراً. ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ أي: الوقت الذي أوحينا إليه الأمر الذي أردنا تعريفه.

﴿وَمَا كُنتَ﴾ في جملة. ﴿ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ للوحي إليه وهم السبعون من النقباء الذين اختارهم للميقات والوحي إليه أوعلى الوحي حتى نفعت من جهة المشاهدة قروناً مختلفة بعد موسى أو لكنا إنساناً بعد بُعد عهد الوحي إلى عهدك قروناً كثيرة.

---

٩٩ طه،٢٠/٤٤ .

١٠٠ جبل الطور: هو جبل له مكانة متميزة كما انه يمتلك أكثر من أسم حيث تم ذكره في القران الكريم بأكثر من أسم مثل " طور سيناء ...جبل موسى " ، أما بالنسبة لموقع هذا الجبل العظيم فهو يقع بداخل شبه جزيرة سيناء في مصر كما انه يوجد بالقرب منه العديد من المناطق المقدسة كمثل " دير سانت كاترين ، جبل كاترين " ، يبلغ ارتفاع جبل الطور عن سطح البحر بحوالي ٢٢٩٠ متر .. بالنسبة لمكانة جبل الطور العظيمة فهو إكتسابها لا رسول الله موسى عليه السلام مر عليه كما أن الرسول عليه السلام " موسى " صعد عليه وكلم الله سبحانه وتعالى . أمجد الخليل، *مصر الفراعنة* ،مطبعة، القاهرة ص،٦٧.

﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ﴾ أي تطاولت المدد على آخرهم وهو الفراق الذي أنت فيهم . ﴿ٱلۡعُمُرُ﴾

هو الأمد والزمان الغير المنقطع أي امتدَّ زمان العمر والحياة وكرر فيهم الجهل والغفلة واندرست العلوم الدينية والمعارف الإلهية وانعمت النواميس الرَّبانية فاقتضت الحكمة الإلهية واستدعيت العناية الأزلية[١٠١] التي يرتضي الكفاية الأبدية إرسالك إليهم وإنزال الكتاب الكريم لديهم فأرسلناك إليهم وأنزلنا بك الفرقان لديهم وأنزلنا القرآن القديم[١٠٢] عليهم بعد فترة الوحي وكثرة البغي بين يديهم فإذن هذا الاستدراك إليهم يتضمن الاستدراكين فحذف المستدرك وأقام سببه مقامه.

---

١٠١ الأَزَلُ: القِدَم خَلقَ اللهُ العَالَمَ مُنْذُ الأزَلِ: أَيْ مُنْذُ القِدَمِ،أَيْ: مَا لاَ نِهَايَةَ لَهُ فِي أَوَّلِهِ أَزَلِيُّ: إسم الأَزَلِيُّ: القديم العريق الأَزَلِيُّ ما لا أَوّل له منسُوبٌ إِلَى الأزَلِ اللَّهُ أَزَلِيٌّ فِي مَلَكُوتِهِ: الخَالِدُ الدَّائِمُ الوُجُودِ لاَ بَدْءَ لَهُ . ابراهيم مصطفى، معجم *الوسيط* ، ص ،١٢٤ .

١٠٢ القديم: قد أدخل المتكلمون في أسماء الله تعالى القديم، وليس هو من الأسماء الحسنى، فإن القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن: هو المتقدم على غيره، فيقال: هذا قديم، للعتيق، وهذا حديث، للجديد، ولم يستعملوا هذا الإسم إلا في المتقدم على غيره، لا فيما لم يسبقه عدم، كما قال تعالى :{حتى عاد كالعرجون القديم} (يس : ٣٩). والعرجون القديم: الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني ، فإذا وجد الجديد قيل للأول: قديم، وقال تعالى: {وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم} (الأحقاف: ١١) ، أي متقدم في الزمان. وقال تعالى :{أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون} (الشعراء: ٧٥ -٧٦) . فالأقدم مبالغة في القديم، ومنه: القول القديم والجديد للشافعي رحمه الله تعالى . وقال تعالى :{يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار} (هود:٩٨) ، أي يتقدمهم. ويستعمل منه الفعل لازما ومتعديا، كما يقال: أخذني ما قدم وما حدث، ويقال: هذا قدم هذا [ص: ٧٨] وهو يقدمه. ومنه سميت القدم قدما، لأنها تقدم بقية بدن الإنسان وأما إدخال القديم في أسماء الله تعالى، فهو مشهور عند أكثر أهل الكلام. وقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلف، منهم إبن حزم. ولا ريب أنه إذا كان مستعملا في نفس التقدم، فإن ما تقدم على الحوادث كلها فهو أحق بالتقدم من غيره. لكن أسماء الله تعالى هي الأسماء الحسنى التي تدل على خصوص ما يمدح به، والتقدم في اللغة مطلق لا يختص بالتقدم على الحوادث كلها، فلا يكون من الأسماء الحسنى. وجاء الشرع باسمه الأول. وهو أحسن من القديم، لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه وتابع له، بخلاف القديم. والله تعالى له الأسماء الحسنى لا الحسنة. إبن حزم، أبو محمد علي بن حزم الأندلسي، *شرح العقيدة الطحاوية* ، ٦٧،١ .

﴿وَمَاكُنتَ ثَاوِيًا﴾ ومقيماً ناوياً . ﴿فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ﴾ شعيب والمؤمنين به. ﴿تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾ إياك مخبرين لك مما جرى في الأزمنة المتطاولة والأمكنة المتعاطلة .

﴿وَمَاكُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ سائر إلى تلقاء مدين دائراً لتشاهد ما أُلقي إلى موسى وأوحي إليه.

﴿إِذۡ نَادَيۡنَا﴾ إياه. ﴿وَلَٰكِن﴾ علمنا حكمة نافعة وكرمناك وأعطيناك ﴿رَّحۡمَةً﴾ واسعةً ونعمةً سابغةً نازلةً. ﴿مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمًا مَّآ أَتَىٰهُم﴾ وما جاءهم وصل إليهم. ﴿مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ ليبين فترة النبوة وانقطاع الوحي والحكمة الإلهية وهي الحكمة العملية . ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون ويترجون الهداية.

﴿وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي:بسبب تقديم أيديهم واكتسابهم.

﴿فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا﴾ لولا الأُولى: امتناعية، والثانية: تخصيصية، وقعت في سياقها لأنَّها مما أُجيبت بها بالفاء تشبيهاً لها بالأمر مفعول القول المعطوف على تصيبهم بالفاء المقتضية معنى السببية المسببة على أنَّ القول هو المقصود بأن يكون سبباً لانتفاء ما يجاب به وأنَّه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة، والجواب محذوف فالمعنى لولا قولهم إذا أصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلاّ أرسلت إلينا رسولاً محتجين علينا ؟ هو بذلك لما أرسلنا إليهم يعني أنَّ إرسال الرُّسل إليهم إنَّما هو ليلزموا الحُجة ولا يلزموها لقوله تعالى: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرُّسل أن تقولوا ما جاءنا من بشيرٍ ولا نذيرٍ لولا أرسلت إلينا رسولاً﴾.[١٠٣] ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وليس تعليل أن يقول كيف استقام

---

١٠٣ البقرة، ١٥٠/٢ .

هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هو السبب في الإرسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه لأنا نقول القول هو بأن يكون سبباً للإرسال ولكن العقوبة لما كانت هي القول وكان وجوده بوجوده جعلت العقوبة كأنَّها سبب للإرسال بواسطة القول فأُدخلت عليها لولا وجيء القول عطفاً عليها بالفاء المقتضية إلى معنى السببية ويؤل معناه إلى قولك ولولا قولهم هذا إذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا وليكن أُختيرت هذه الطريقة لنكتة: وهي أنهم لولم يعاقبوا مثلاً على كفرهم وقد عاينوا ما ألجئوا به إلى العلم اليقين ثم يقولوا ﴿لولا أرسلت إلينا رسولاً﴾[١٠٤] وإنَّما السَّبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الإيمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسخوه فيهم ما لا يخفى كقوله تعالى ﴿ولو ردوا لعادوا لما نُهوا عنه﴾[١٠٥] ، ولما كانت أكثر الأعمال وأكبر الأفعال تباشر وتزاول بالأيدي جعل كل عمل معبراً عنه باجتراح الأيدي ومتراح ظاهر الميادي وإن كان من أعمال القلوب وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير الأقل تابعاً للأكثر وتغليب الأكثر على الأقل .

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ من الرَّسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات. ﴿مِنْ عِندِنَا﴾ وهو محمد وما أنزل عليه وقطعت معاذيرهم وسدّ طريق احتجاجهم ومد سبيل اعوجاجهم. ﴿قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ وهو الكتاب المنزَّل جملةً واحدةً وقلب العصا حية وفلق البحر وغيرهما من الآيات فجاؤا بالاقتراحات المبنية على التعنت والعناد كما قالوا ﴿لولا أُنزل عليه كنز أو جاء معه ملك﴾[١٠٦] وما أشبه ذلك.

﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ﴾ عليه. ﴿مُوسَىٰ﴾ يعني أبناء جنسهم ومن مذهبهم وعنادهم وهم الكفرة في زمن موسى عليه السلام وجيء موسى وكان فرعون عن ثامن أولاد عاد وكان

---

١٠٤ طه،٢٠/١٣٤ .

١٠٥ الأنعام، ٦/ ٢٦

١٠٦ هود، ١٢/١١ .

للعرب[١٠٧] وهي أولاد إسماعيل أصل في زمن موسى فمعناه على هذا أو لم يكفروا إياهم في موسى وهارون حيث.

﴿قَالُوٓاْ﴾ ما هذان موسى وهارون أو محمد وموسى؟ ﴿سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا﴾ وتعاوناً وتناصراً بإظهار تلك الخوارق والمعجزات واشتهار ما اختصا به من أنواع خرق العادات وإفشاء الكرامات. ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ﴾ أي بجميع ما ظهر منهما أو بجميع الأنبياء وما ظهر منهم من الإرهاصات والمعجزات الباهرة كافرون.

﴿قُلۡ﴾ يا محمد وإنما غير أسلوب الكلام تنشيطاً للسامع وتثبيتاً للنفس الجاهي.

﴿فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ﴾ أي من كتاب موسى ومحمد. ﴿هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ﴾ أولاً ولا نختلق أبداً مجزوم لوقوعه جواباً للأمر وهو فاء فأتوا. ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في كل ما تشتمونا إليه من السحر والتَّظاهر والتَّعاضد والتنا.

﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ﴾ ولا يقبلوا دُعاءك إلى الإتيان بالكتاب إلاهُدى، فحُذف المفعول به ولأنَّ فعل الاستجابة يتعدّى بنفسه إلى الدُّعاء وباللاّم إلى الداعي فإذا عُدي إليه حذف الدعاء غالباً كقولنا: استجاب الله دُعاءه أو إستجابَ له ولا يكاد يقال: استجاب له دعاءه هجياً براءةً.

---

١٠٧ تقسيم العرب – من حيثُ القِدَمُ - إلى طبقات ثلاثة : عربٌ بائدة ، وعربٌ عاربة ، وعربٌ مستعربة . أما العرب البائدة : فهم مثل أقوام عاد، وثمود، وجديس، وعبيل، وجُرهُم، أطلق عليهم إسم " البائدة " لقدمهم النسبي، ولإندثارهم قبل الإسلام . وأما العرب العاربة فهم القحطانيون، أبناء قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، كما يذكر ذلك أكثر النسابين. وأما العرب المستعربة أو المتعربة: ويقال لهم " العدنانيون "، أو " النزاريون "، أو " المعديون "، وهم من صلب سيدنا إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، الذي تزوج من رعلة الجرهمية، فتعلم منهم العربية، فسموا المستعربة، وصار نسلهم من العرب، واندمجوا فيهم، وهم ينتسبون إلى عدنان من نسل سيدنا إسماعيل عليه السلام، غير أن ثمة خلافا كبيرا بين النسابين في عدد الآباء بينهما وكل من لم يرجع نسبه إلى عدنان أو قحطان فهو ليس بعربي العربي يجب أن يرجع أصله إلى عدنان أم قحطان. محمد محمد القحطاني ، *أصل العرب*، مطبعة اجيال ، ص،٦٥ .

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡ وَمَنۡ أَضَلُّ﴾ أكثر ضلالة وأكبر جهالة. ﴿مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ ويتبع آراءه. ﴿بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وتوفيق منه من الحال المؤكَّدة والهيئة المقيَّدة حال من الدراية ونعت الرِّواية ولا نهدي إلى أصل موصل أصلاً بخلاف ؛ فأصل الضَّلالة فإنَّه عما يوافق الحق كما قيل أن الكذوب قد يصدق.[١٠٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إلى معين للوصفين المذكورين وهم الذين ظلموا أنفسهم وغيرهم بالإضلال والإغواء الإزلال.

﴿وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ﴾ وأنزلنا عليهم الكتاب بالطول والقول وأتبعنا بعضه بعضاً في الإنزال وقيماً به الإرسال أي أتاهم متتابعاً متواصلاً بالوعد والوعيد أو حكماً وغير حكم أو مواعظ ونصائح إرادة أن يتذكروا فيفلحوا وفي النظم لتقرر الدعاوي ويتحرر الدواعي والمفاصل بالبراهين في بحور الإنكار والأنظار ودفع اللجاج والإنكار فهو مقول به ويطيعون.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ نزلت في مؤمني أهل الكتاب. وقيل في أربعين من مؤمني أهل الإنجيل إثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر[١٠٩] من أرض الحبشة وثمانية من أهل الشام[١١٠] عن رفاعة

---

١٠٨ أبو حيان الأندلسي، *تفسير البحر المحيط*، ٤٨٨،٤.

١٠٩ جعفر بن أبي طالب واسم أبي طالب: عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وكان لجعفر من الولد عبد الله وبه كان يكنى، وله العقب من ولد جعفر، ومحمد وعون لا عقب لهما، ولدوا جميعا لجعفر بأرض الحبشة في المهاجر إليها. إبن سعد أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (ت: ٢٣٠هـ)، *الطبقات الكبرى*، تح: إحسان عباس، دار صادر– بيروت، ط: الأولى، ١٩٦٨ م ، ٤ ،٣٤ .

١١٠ أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، سنة الوفاة ١٥٠هـ ، *تفسير مقاتل بن سليمان*، تح: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، مكان النشر لبنان - بيروت، ٣١٦،١ .

بن قرظة:[111] نزلت في عشرة أنا أحدهم.[112] ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ أي من قبل القرآن. ﴿هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقوك به وبأحكامه، وبكل ما فيه من الأحكام، والتوحيد والنصائح وغير ذلك.

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على مؤمني أهل الكتاب الذين ليسوا من هواء النفس وآرائها الفاسدة وإعراضها المفسدة الكاسدة آياتنا بينات.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾ وتذكير الضمير باعتبار الكتاب أي آمنا بالكتاب؛ ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن﴾ الله، ﴿رَّبِّنَآ﴾ إستئنافاً وتعليلاً للإيمان به، ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ أي: قبل وجود محمد – صلى الله عليه وسلم-

وقيل: ما أنزل عليه من الكتاب منقادين ومطاوعين له إشعاراً باتحاد الإيمان والإسلام لما سمعوا من الآباء والعلماء والأنبياء ووجدوا في الكتب المقدمة والصحف السالفة والإسلام صفة لكل موحد ونعت لكل مصدق للوحي[113].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المؤمنون بمحمدٍ وبكتابه. ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم﴾ ثوابهم وفضلهم في الدنيا والآخرة والعقبى .

﴿مَّرَّتَيْنِ﴾ مرة على إيمانهم بكتابهم وأنبيائهم؛ ومرة أُخرى على إيمانهم بمحمد وبكتابه.

---

١١١ رفاعة بن قَرظة: القرظيّ، قال أَبُو حَاتِمٍ: له رؤية. وروى الباوَرْدِي والطّبراني مِنْ طريق عَمْرو بن دينار، عن يحيى بن جَعدة أن رفاعة بن قرظة قال: نزلت هذه الآية في عشرة أنا أحدهم : {وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} القصص: ٥١١.. الحديث. وأخرجه البَغَوِيُّ، لكن وقع عنده ورفاعة الجهنيّ، وقال: لاأعلم غير هذا الحديث وقيل: هو رفاعة بن سِمْوال، وبه جزم ابن منده؛ ولكن قال الباوَرْدي وابن السّكن: إنه كان من سَبْيِ قريظة، وإنه كان هو وعطية صبيين، وعلى هذا فهو غَيْرُ ابنِ سِمْوال والله أعلم. إبن حجر ،أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني(المتوفى:٨٥٢هـ) ،*الإصابة في تمييز الصحابة*، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية– بيروت، ط: الأولى-١٤١٥هـ،٢ ،٤١١ .

١١٢ سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)، *الأساس في السنة وفقهها-العقائد الإسلامية*، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ٤٠٩٤،٧

١١٣ أبو حيان، *تفسير البحر المحيط*، ١٢٠،٧.

﴿بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ أي: بسبب صبرهم على إيذاء المشركين وطعن الطاعنين أوعلى مرارة الطاعة وعلى الأعمال الشاقة وعلى الأفعال الداقة للأتربة الحاقة أو من قبله ومن بعده أو قبل الهجرة وبعده كما علمت في المائدة أنهم هاجروا إلى الحبشة[١١٤] مع جعفر الطيار وجماعة كانوا أول المهاجرين من مكة إلى الحبشة. ﴿وَيَدۡرَءُونَ﴾ ويدفعون ﴿بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ وبالطاعة المعصية أو بالحكم الأذية وبالتوبة الذَّنب أو بالكلمة الطيبة الكلمة الخبيثة وغير ذلك من الدافعات ﴿إِنَّ الحسنات يُذهبن السيئات﴾[١١٥].

قال النبي عليه السلام: (أتبع السيئة الحسنة تمحها).[١١٦]

﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ في طريق الخير ولو صدرت السيئات عنهم وظهرت المعاصي والذنوب منهم بالكرات تمحها.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ﴾ أي: الكلام الذي لا طائل تحته لاسيّما إذا كان خبيثاً. ﴿أَعۡرَضُواْ﴾ وانصرفوا.

﴿عَنۡهُ﴾ وتركوه منكرين له. ﴿وَقَالُواْ﴾ اللاغون بقرينة اللَّغو. ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا﴾ أية أعمال كانت.

﴿وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ إذا كل أحد يجزى بعلمه أي: إذا سمعوا الأقوال الخالية عن الفائدة ورأوا الأعمال البالية عن الفائدة والثمرات العائدة أعرضوا عنها وقالوا: لنا ما لنا ولكم ما لكم وإنما

---

١١٤ الحبشة: إثيوبيا حالياً، هي الموطن الأصلي لأكسوم وهي إحدى الممالك القديمة، وإثيوبيا هي المنطقة التي عُثر فيها على الهيكل البشري الأقدم والذي يعود عمره إلى حوالي ٤,٤ مليون عام. تتميّز إثيوبيا تأريخياً بأنّها الدولة الإفريقيّة التي تم إحتلالها لأقصر فترة ممكنة وكان ذلك في الفترة ما بين ١٩٣٦و١٩٤١ ميلاديّة، حيث كانت إيطاليا هي الدولة المحتلة. تقع المساحة الأكبر من إثيوبيا في منطقة القرن الإفريقي، والقرن الإفريقي يقع في شرق القارّة الإفريقيّة، حيث تقع على حدود كل من جنوب السودان والسودان، وهما من الدول التي تحدّها من الغرب، أمّا من الجهة الشمالّية لأثيوبيا فهناك إريتيريا وجيبوتي، في الوقت الذي تقع فيه الصومال إلى الشرق منها، أمّا من الجهة الجنوبيّة فتحدّها كينيا. طبارعلي، *لمحة تاريخية*، مطبعة، القاهرة ، ص،٧٦ .

١١٥ هود: ١١٤/١١ .

١١٦ إبن أبي شيبة، أبو بكر، عبد الله بن محمد بن إبراهيم خواستي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، *الكتاب المصّنف في الأحاديث والآثار*، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط: الأولى، ١٤٠٩، ٢١١،٥.

ترك الأقوال إكتفاء بالأعمال لدلالتها عليها لعمومها تنبيهاً على أن لا تعويل على الأقوال والمعول عليه هو العمل كما ورد في الحديث:(إن العلم بلا عمل وبال والعمل بلا علم ضلال)[١١٧] .

﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ كما قال، ﴿وإذاخاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾[١١٨] إشعار بأنَّ حق العباد وظائف أرباب الحب والوداد الاستعطاف والشفقة على خلق الله بالنصيحة ودعاء الخير بالسَّلامة على الآفات الجسمانية والعاهات النفسانية، قال النبي عليه السلام: (التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله)[١١٩].

﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ أي: إنَّك لا تقدر على إدخال من تحب في الإسلام من قومك وغيرهم لأنَّك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه والمصنوع على نفسه وغيبته والإلطاف ينفع فيه فيقرن به الطافه حتى يدعوه إلى القبول. ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ أي القائلين بالهداية والقابلين لها بالعناية الأزلية التي تستصحبها الكفاية الأبدية.

أجمع المسلمون من أهل السنة والجماعة[١٢٠]على أنها نزلت في أبي طالب؛ لأنَّ أبا طالب قال في موته: يا معشر بني هاشم أطيعوا محمداً وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي عليه السلام: يا عم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك ؟ فقال: ما تريد يا ابن أخي؟ قال: أُريد منك كلمة واحدة فإنك في آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول لا إله إلا الله أُشهدك عند الله.

---

١١٧ ليس بحديث، وإنما نسب القول إلى علي بن أبي طالب، محمدي الريشهري، *ميزان الحكمة*، ٣،٢٠٩٥ .

١١٨ الفرقان: ٦٣/٢٥.

١١٩الرازي، *تفسير الرازي*، ٢٧،٤٨٩ .

١٢٠ أهل السنة والجماعة: هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة الذين أخبر النبي صلى الله عنهم بأنهم يسيرون على طريقته وأصحابه الكرام دون انحراف؛ فهم أهل الإسلام المتبعون للكتاب والسنة، المجانبون لطرق أهل الضلال. كما قال صلى الله عليه وسلم: " إن بني إسرائيل إفترقوا على إحدى وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة " فقيل له : ما الواحدة ؟ قال: " ما أنا عليه اليوم وأصحابي ". أبو عبد الله، محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي، *الأحاديث المختارة*، سنة الولادة ٥٦٧، سنة الوفاة ٦٤٣، تح: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، سنة النشر ١٤١٠، مكان النشر مكة المكرمة، ٧،٢٨٧ .

قال: ابن أخي إني قد علمت أنك على حق ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت، ولولا أن يكون عليّ وعليك وإليك غضاضة ومسبية بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة شفقتك وحبك ونصيحتك ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبدالمطلب وهاشم وعبد مناف[١٢١] .

﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآ﴾ والقائلون الحارث بن عفان بن نوفل بن عبد مناف وغيره من أعيان قريش فإنَّهم قالوا: نحنُ نعلم أنَّك يا محمد على الحق لكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وإنَّما نحن أكلة رأس قليلون أن يتخطفونا من أرضنا ويسلبونا ويختلسونا من ديارنا ويلتقموننا إلتقام الحوت أكلة رأس فردَّ الله عليهم[١٢٢].

﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا﴾ أي: ما جعلت الحرم مجاباً لهم يتمكنون فيه ويتحصنون بحرمة البيت الذي يتحول الأعراب حوله ويتعظمون ويتناحرون له وهم آمنون فيه ولا يخافون وبحرم البيت يطوفون ويطافون وبحرمة حرمه صافون وقارون بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم. ﴿يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ﴾ يجلب من مكان لديه. ﴿ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا﴾ فإذا كان حالهم هذا وهم عبدة الأصنام مجمع الأوثان فكيف نعرضهم للخوف ويطرى عليهم الخوف والتخويف إذا ضموا إليه النواجيد وينموا له التمجيد والتحميد لله.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ لأنَّ أغلبهم كفرة وأكثرهم جهلة رزقاً منصوب بعامل يرزقون رزقاً أو مفعولاً له إن كان بمعنى مرزوق يكون حالاً من الثمرات لتخصيصها بالإضافة كما ينصب عن النكرة المخصصة.

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَا﴾ تخويف لأهل مكة من عاقبة قوم كانوا في مثال حالهم من إنعام الله عليهم بالرقود في ظلال الأمن وظلال الأمان وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالأشر وعاملوها بالترفه وفرط النظر فدمَّرهم الله وخرب ديارهم وغرب آثارهم نصب معيشة إمّا بنزع الخافض وإمّا على الظَّرف بنفسه، نحو: زيد ظني مقيم ، أو بتقدير حذف الزمان المضاف أي بطرت أيام معيشتها، كخفوق النجم ومقدم الحاج ،وإمّا بتضمين بطرت

---

١٢١ هذا الحديث غريب بهذا اللفظ وهو في الصحيحين عن سعيد بن المسيب عن أبيه المسيب بن حزن المخزومي مختصرا. *الزمخشري*، *الكشّاف*، ٣٢،٣ .

١٢٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٠،١٤٨.

معنى كفرت وغمطت. قيل: البطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه[١٢٣]. ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ﴾ من السكنى. ﴿لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: إلا المسافر ومارّ الطريق يوماً أو ساعة ويحتمل أن يكون شؤم معاصي المهلكين بقي أثره في ديارهم فكل من سكنها من أعقابهم لم يبق فيها إلاّ قليلاً. ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ فيها لتلك المساكن من ساكنيها أي: تركناها على حال لا يسكنها أحد أو خربناها وسويناها بالأرض.

تتخلف الآثار عن أصحابها حيناً ويدركها الفناء فتتبع[١٢٤].

﴿وَمَا كَانَ﴾ عادة. ﴿رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ في كل وقت. ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا﴾ وأصلها وقصبتها التي هي أعمالها وتوابعها. ﴿رَسُولًا﴾ لإلزام الحُجة. ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ بتكذيب الرُّسل وتقليب الخيرات والصَّلاح إلى الشرور والفساد والتراح.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ﴾ أي: شيء أصبتموه من أسباب الدنيا وحطامها. ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ وزخرفها. ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب والأجر وحسن الثَّبات ولطف الخطاب وحسن المآرب والمآب. ﴿خَيْرٌ﴾ في نفسه ومعارج قدسه. ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ في ذاته وأسمائه وصفاته

---

١٢٣ الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي، *التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب*، دار الكتب العلمية، سنة النشر -١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، بيروت ، ٢٥،٥ .

١٢٤ الكندي، أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، (المتوفى:٧٤٩هـ)، *تاريخ ابن الوردي*، دار الكتب العلمية - لبنان ، بيروت،ط: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ١،٢٧٩. محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : ١٤٠٣هـ)، *إعراب القرآن وبيانه*، دار الإرشاد للشئون الجامعية -حمص-سورية، دار اليمامة- دمشق-بيروت، دار ابن كثير- دمشق-بيروت، ط: الرابعة ، ١٤١٥ هـ، ١،٣٩٤ .

لأنَّ بقاءه دائم أزلي أبدي سرمدي. ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ وبالياء أبلغ في الموعظة وأوقع في التعريض يستدلون على ديمومته وسرمديته.

﴿أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا﴾ وهو الوعد بالجنة وشهود اللقاء فإنَّ حسن الوعد بحسن الموعود تقرير وإيضاح لما تقدم إذ حسن الموعود إمّا بلزامة أو بما يلزم من الدَّوام والبقاء أو بكثرة المنافع وبهائها وشرفها إذ بحسن الوفاء به وعدم التخلف عنه وما عند الله شامل للكل. ﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ وواصل إليه ومن هذا سميت الجنة بالجنة نزلت في رسول الله عليه السلام وأبي جهل عليه ما يستحق من الحق.

وقيل في علي وحمزة وأبي جهل أو في عمّار بن ياسر والوليد بن المغيرة لما ذكر متاع الدنيا وما عندالله والتفاوت بينهما فالفاء الأُولى تدل على هذا، والثانية فللنسب لأنَّ لقاء الموعود مسبب على الوعد الذي هو الفاني في الخير[١٢٥].

﴿كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾ فثُم للتراخي حال الإحضار عن حال التمتع لا للتراخي وقته عن وقته وهو راجع إلى الممتنع فحضوره وإحضاره إما للحساب أو للعذاب.

﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ﴾ عطف على يوم القيامة أو منصوب بالذكر والمنادي هو إليه والملك.

﴿فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ حذف مفعولها، أي: تزعمونهم شركائي يجوز حذف المفعولين معاً في باب ظننتُ ، ولا يجوز الاختصار على أحدهما. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ الحق هو الأمر المطلق الذي ثبت مقتضاه وتحقق مرتضاه وهو قوله تعالى ﴿ولكن حق القول مني لأملأنَّ جهنَّم من الجِّنة والناس أجمعين﴾[١٢٦]، ونطيق ﴿وإذا أردنا أن نُهلك قريةً أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقَّ عليها القول﴾[١٢٧] الآية.

---

١٢٥ الزمخشري، *الكشّاف*، ٣،٤٣٠. أحمد مصطفى درويش، *إعراب القرآن وبيانه*، ٧،٣٦٠.

١٢٦ السجدة، ٢٢/ ١٣.

١٢٧ الإسراء، ١٧/١٦ .

﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ﴾ هؤلاء مبتدأ، والموصول صفته ، والعائد محذوف، وأغويناهم الخبر، والكاف صفة مصدر محذوف تقديره أغويناهم، فغووا غياً مثل ما غوينا يعنون: إنا لم نغو إلا بإختيارنا لا أنَّ فوقنا مغوين أغرونا بقسر منهم وإلجاء أو دعونا إلى الغي وسوّلوه لنا فهؤلاء داعياً لهم إلى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم إلى الإيمان بما وضع فيهم من العقل[١٢٨] وأدلَّته ومن بعث إليهم من الرُّسل وما أُنزل عليهم من الكتاب.

﴿تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ منهم وما إختاروه من الكفر وتقرير للجملة المقدمة ولذلك خلت عن العاطف.

﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ﴾ أي: ما كانوا يعبدوننا بل يعبدون أهواءهم ، قيل: ما مصدرية متصلة بتبرأنا[١٢٩].

﴿وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ﴾ من غير استفتاح من فرط الحين الذي انتفى التميُّز بين الحق والباطل والواقع في نفس الأمر وغير الواقع. ﴿فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ﴾ لعجزهم عن الإصابة والنُّصرة وعلمهم بعدم النَّفع في هذا اليوم بل نصرهم ولهذا قد تميز منهم. ﴿وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ﴾ يحتمل التمني وإن جوابه محذوف أي: تهتدوا يعني لو كان في استعدادهم الاهتداء في دفع العذاب لدفعوه.

---

١٢٨ العَقْلُ: الحِجْر والنُّهى ضِدُّ الحُمْق، والمَعْقُول: ما تَعْقِله وتدركه بقلبك، والعَقْلُ: التَّثَبُّت في الأُمور، وسُمِّي العَقْلُ عَقْلاً لأَنه يَعْقِل صاحبَه عن التَّوَرُّط في المَهالِك أَي يَحْبِسه، فالعاقِلُ هو الذي يَحْبِس نفسه ويَرُدُّها عن هواها، وعَقَلَ الشيءَ يَعْقِلُه عَقْلاً: فَهِمه، والعقل: المنع، لمنعه صاحبه من العدول عن سواء السبيل يفهم من هذه المعاني للعقل أنه به تدرك الأمور وتفهم، وبه تميز الأمور، فيُعرَف به ما فيه مصلحة الإنسان وما فيه مفسدته، فيكون سبباً في البعد عن المهالك وسبباً في البحث عن المنافع، إصطلاحاً: العقل هو الروح، لأن العقل لا إدراك له بلا روح، وبعضها يجعله هو القلب، لأن محل العقل القلب، وبعضها يجعله هو الإنسان لأن ما يميز الإنسان عن غيره العقل، وبعضها يجعله غريزة تعرف بها العلوم، وبعضهم يجعله ذات العلوم. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، *لسان العرب* ، ١١، ٤٥٨-٤٦٢ .

١٢٩ المظهري، محمد ثناء الله، *التفسير المظهري*، ،المحقق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية-الباكستان، ط: ١٤١٢ هـ، ٧،١٧٦ .

﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ﴾ الله. ﴿فَيَقُولُ﴾ لهم. ﴿مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ عطف على الأوَّل فإنَّ الله تبارك وتعالى يسأل أولاً عن إشراكهم وتكذيبهم الأنبياء.

﴿فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ﴾ أي: أسرب الأخبار وأختفت عليهم إختفاء المبصرات على الرَّجل الأعمى من النبأ وهو الخبر[١٣٠]. ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ أي: في ذلك اليوم الذي يتحيَّر العُقلاء في ذلك اليوم لشدة أهواله وحدة أقواله وكثرة أغواله. ﴿لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ لا يسأل بعضهم بعضاً ومحيرهم عن الجواب لفرط الدهشة ووفور الخوف واستيلاء الهول.

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ من الشرك وأناب إلى الله من الافتراء والبُهتان والإفك. ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ أي: ما يصلح لأنْ يرفع إلى حضرة قدسه ويحرى لأن يعرض على عرضة أُنسه والجمع بينهما يشعر بتلاقيهما.

﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ﴾ عند الله وعسى من الكرام تحقيق ويجوز أن يراد ترجي التائب وطمعه وتوقعه الفلاح ومن المذنب النادم، العفو والاستغفار والمغفرة ومن الفقير الصابر الاستغناء ومن الغني الشاكر الصدقة والنفقة في سبيل الله الواقعة في حيز القبول إلى أن يرتقي إلى الأضعاف وأُلوف الآلاف وغير ذلك من أرباب لعل وعسى.

---

١٣٠ يختلف النبأ عن الخبر في أن الخبر يتناول أي موضوع، ولو كان تافهاً ، لكن النبأ يتناول الموضوعات الخطيرة، أو بتعبير آخر؛ المصيرية (لِكُلِّ نَبَإٍ) الخبر العظيم الموضوع الخطير، الحدث المصيري، (لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ) هذا الحدث المصيري، النبأ العظيم، الخبر الخطير لا بد من أن يستقر في مكان ولا بد من أن يضله زمان، هو مستقر في زمان مستقر، وفي مكان مستقر، الخبر يصبح واقعاً، النبأ يصبح حقيقة، الشيء الواقع الذي له زمان، والذي له مكان، كان خبراً فأصبح حقيقة، (لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ) . خليل الزاد ، *المناهج العلمية* ، دار التراث، سنة الطبع، ٢٠٠٥، ص ٧٤.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ﴾ يوجد ويبدىء. ﴿مَا يَشَآءُ﴾ ويريد. ﴿وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ بمعنى التخير كالطيرة[١٣١] بمعنى التطير والظاهر يعني الخيار عنهم رأساً، والأمر كذلك وعند التحقيق لها اختيار العبد باعتباراته ممكن مخلوق لله باختياره وإرادته بدواع لا اختيار لهم فيها.

وقيل: المراد أنه ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه مشيئته[١٣٢] وإرادته[١٣٣] أحداً ولا أمراً من الأُمور ولذا خلا من العاطف ويؤيد ما روي أنه نزلت ﴿لولا أُنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾[١٣٤]، يعني لا يبعث الرُّسل باختيار المرسل إليهم.

وقيل: معناه ويختار الذي ليس فيه الخيرة أي يختار للعباد ما ليس خيرا لهم وأصلح وهو أعلم بمصالحهم من أنفسهم من قولهم في الأمرين ليس فيهما خيرة لمختار.

﴿سُبْحَانَ ٱللَّهِ﴾ تنزيهاً له أن ينازعه أحد في أفعاله ويزاحم إختياره. ﴿وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ عن إشراكهم أوعما أشركوا به لله.

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ﴾ ويخفي ويستر. ﴿صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ من عداوة الرَّسول وحقدهم عليه والطَّعن فيه وإهانته.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ المُستحق للعبادة والمستأثر بالأُلوهية المختصَّة به. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة إلا هي . ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ﴾ لأنَّ المولى المُنعم كلها عاجلها وآجلها بحمده المنون في الآخرة كما حمدوه في الأُولى ومدحوه في الدنيا بكل

---

١٣١ الطيرة: مثال العنبة،وهو ما يتشاءم به من الفأل الردئ. الجوهري،أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (المتوفى:٣٩٣هـ)، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، تح: أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين– بيروت،ط :الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م، ٢ ،٧٢٨ .

١٣٢ المشيئة: من الله تقتضي وجود الشئ، بما ورد من قوله صلى الله عليه وآله: " ما شاء الله كان ". العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، معجم *الفروق اللغوية*، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» ط: الأولى، ١٤١٢هـ، ص،٤٠.

١٣٣ الإرادة: منه سبحانه لا تقتضي وجود المراد لا محالة بقوله تعالى: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) البقرة(١٨٥). العسكري، معجم *الفروق اللغوية*، ص،٤٠.

١٣٤ الزخرف: ٣١/٤٣ .

المدائح والمحامد بقوله: ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾[١٣٥] ، ابتهاجاً بفضله واستخراجاً بمزيد كرمه ومزيد لطفه ونعمه.

﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ في كل شيء. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أنتم ذاتاً وصفةً وفعلاً وأثراً ووجوداً.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ دائماً متصلاً من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الأشهر الحُرُم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ونظيره من الدلاص. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ بإسكان الشمس تحت الأرض. ﴿مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾ حين سكون الشمس تحت الأرض.

﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ إنَّ استفادة السَّمع أكثر من استفادة البصر إذ استفادة الوحي وجميعُ الأحكام الشرعية والأعلام العرفية أكثر من استفادة البصر، ولذا قد قدّم في الكتاب السمع على البصر، وإن كانت المبصرات أكثر من المسموعات ولذا جمع البصر دون السمع في قوله: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾[١٣٦]، فإن قيل حديث التقابل يقتضي أن يقال: بنهار يبصرون كما قيل بليل يسكنون فيه ويلزمه على الأبصار. أقول: ذكر الضياء وهو ضوء الشمس أكثر فائدة من الظلام الذي يذكر بالليل لأنَّ المنافع التي يتعلق به متكاثرة، اذ المعاش والتَّدبير والحركة للانتعاش إنَّما يتأتى بالضَّوء لا بالسُّكون الذي هو لازم اللَّيل الذي هو لاستراحة النفس والبدن وقواهما، وأيضاً قرن السماع باللَّيل والأبصار بالنهار إشعاراً بأنَّ الحاكم في اللَّيل هو السمع، وفي النهار البصر، وذكر السرمد فيهما يشعر بتلاقيهما في الوجود والظهور وبإتحادهما في الحقيقة وباختلافهما بالوصف وبأنَّ أحدهُما يتضمَّن الآخر ويندرج في الآخر اندراج الدُنيا في الآخرة والآخرة في الدنيا، فإن أبصر أحدهما يكون الآخر مفعولاً متوهماً.

---

١٣٥ الزمر: ٣٩/٧٤.

١٣٦ البقرة : ٧/٢ .

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ أي: خلق لأجلكم كلاً منهما لفائدة وغرض أصلي: أما اللَّيل ف﴿لِتَسْكُنُواْ﴾ للاستراحة وإزالة الأعباء والإراحة والنهار ﴿وَلِتَبْتَغُواْ﴾ وتطلبوا وتبتغوا

﴿فَضْلِهِۦ﴾ وكمال إحسانه وإفضاله وإنعامه أُمور المعاش وظهور الانتعاش. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ كي تعرفون نعم الله وتعلمون أنواع وإنصاف مواهبه وألطاف كرمه وهو حقيقة الشكر.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي أُذكر يوم نداء الحق للخلق. ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ﴾ في الدنيا .

﴿تَزْعُمُونَ﴾ ويقولون هم إلهُنا ومعبودنا. ﴿وَنَزَعْنَا﴾ وأخرجنا. ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي من عملهم وواحداً منهم يكون. ﴿شَهِيدًا﴾ وهو نبي كل أُمّة فإنَّ أنبياء الأُمم هم شهداء عليهم. ﴿فَقُلْنَا هَاتُواْ﴾ وجيئوا وأتوا.

﴿بُرْهَٰنَكُمْ﴾ دليلكم وحجتكم فيما كنتم عليه من الشرك والإشراك ومخالفة الرَّسول وكتابه الذي جاء به. ﴿فَعَلِمُوٓاْ﴾ وتحققوا يومئذ. ﴿أَنَّ ٱلْحَقَّ﴾ والأمر الثابت المقطوع به إنما هو. ﴿لله﴾ ولرسوله لا لهم ولشياطينهم. ﴿وَضَلَّ﴾ وبعد وغاب. ﴿عَنْهُم﴾ فقدان الشيء الضائع وغيبته. ﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ من الباطل والكذب والفرية الباطل.

﴿إِنَّ قَٰرُونَ﴾ اسم عجمي مثل هارون وهاروت. ﴿كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ من بني إسرائيل حسَن الصورة وكان موافقاً في الأوَّل لموسى ثم ضلَّ وأصبح منافقاً لموسى كالسامري.

﴿فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ وطال يد التطاول إليه وأفشى الخلاف والمعاندة لديه وذلك عند غلبة الدنيا عليه.

قيل: جعل فرعون قارون حاكماً على بني اسرائيل. ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ﴾ وأعطيناه.

﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ﴾ وترفع المفاتح، ﴿بِٱلۡعُصۡبَةِ﴾ أي بالجماعة الكثيرة. ﴿أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾ صاحب القوة الشديدة هذه الجملة صلة ما وهو مع الصلة مفعول ما إن.

قيل:[١٣٧] إذا كانت النبوة والمذبح والقربان إلى هارون. لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة لهارون يقرب القربان وكان رأساً فيهم وكان القربان إلى موسى فجعله موسى إلى أخيه فوجد قارون في نفسه وحسدهما، وقال لموسى: الأمر لكُما ولست على شيء إلى متى أصبر؟ قال موسى عليه السلام: (هذا صنع الله وأمره. قال: والله لا أُصدقك حتى تأتي بآية فأمر رؤساء بني إسرائيل أن يجيء كل واحدِ بعصاه فحزمها وجمعها وألقاها في القُبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم بالَّليل فلَّما أصبحوا كانت عصا هارون تهتز ولها ورق أخضر وكانت من شجر اللَّوز ، فقال هارون ما هو بأعجب مما تصنع من السحر فبغى عليهم وظلمهم)[١٣٨].

﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ﴾ منصوب بتنوء، ﴿لَا تَفۡرَحۡ﴾ بكنوز الدنيا وزخرفها لأنَّه نتيجة حُبِّها وثمرة التكالب عليها والاغترار بها والرِّضا بلذاتها والانكباب على شهواتها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ بالدنيا وزخارفها لأنَّه يبعد العبد من حب الله وعبادته ومعرفته وحكمته.

ولستُ بمفراحٍ إذا الدهرُ سرّني ولا جازع من صرفه المتقلب[١٣٩]

١٣٧الآلوسي ، *روح المعاني*، ١١٠،٢٠ .

١٣٨ القرطبي ، *الجامع لأحكام القرآن*، ١٣،٣١٠ .

١٣٩ بالسمين الحلبي ،أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (المتوفى: ٧٥٦ هـ)، *عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ* ، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ٢١١،٣.

أشدُّ الغم عندي في سرور تيقّن عنه صاحبهُ إنتقالاً .

﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كلَّ مختالٍ فخور﴾[١٤٠].

﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ أي: اصرف وابتغي ما أعطاك الله من الدنيا وحطامها واطلب في الدنيا ونعيمها الدار الآخرة فإنَّ نعيمها باقية ،دائمة ،سرمدية، لازمة والابتهاج بها آناً فآناً متزايدة والاستسرار بها متعاضدة.

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: لا تترك الدنيا ترك المنسي لأنَّها مطيَّة الآخرة ومزرعتها وهو مذموم شرعاً وعرفاً وحكمة لأُمور ساسه ولاهياً في الإسلام أي: قدر ما يتقوم به ويحتاج في ذلك في قوام إليه. ﴿وَأَحۡسِن﴾ بنفسك وبقربك وبالله، ﴿كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ فيما أنعم الله عليك ظاهراً وباطناً.

قيل: أحسن بالشُّكر والطاعة كما أحسن الله إليك بالإنعام والإفضال والكرامة بك.

﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ولا تطلب الإفساد في نفسك بأن يقطع نصيبك وما يتقوم به وتقوم نفسك به فح نعمي نفسك.

قال علي كرم الله وجهه: كان ذلك مبنياً على علم وإستحقاق وذلك أنه كان أعلم بني إسرائيل بالتوراة وبأحكامها نون ثلثه وثلثاً آخر لكالب بن يوفنا[١٤١] والثلث الباقي لقارون فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه وأخناس علمهما وإشتغل بالعمل دونهما وظنَّ أنَّه بهذا العلم والعمل وما يحصل منهما من الأثاث والآلات والأدوات وغيرهما مما يتوقف عليه

---

١٤٠ الحديد: ٢٣/٥٧ .

١٤١ كالب بن يوفنا: أحد أصحاب موسى، عليه السلام، وهو زوج أخته مريم، وهو أحد الرجلين اللذين ممن يخافون الله، وهما يوشع، وكالب وهما القائلان لبني إسرائيل حين نكلوا عن الجهاد{ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين}[المائدة: ٢٣]. قال إبن جرير ثم من بعده كان القائم بأمور بني إسرائيل حزقيل بن بوذى. وهو الذي دعا الله فأحيا الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت.، بن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، *البداية والنهاية*، تح : عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م،١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م، ٢ ،٢٧٩ .

العمل فاشتغله بالضيعة والعمل إلى حد كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلاً لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على أصبع[١٤٢].

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾ قارون، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ أي: أهل القرون الماضية كقوم نوح ،وعاد، وثمود ،وقوم إبراهيم ،ونمرود وغيرهم . ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ﴾ أي من قارون، ﴿قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ تهديد وإنذار وتخويف بأنَّ الله تعالى مطَّلع على ذنوبُ المجرمين وأحوال الموافقين وغيرهم من فِرق المنافقين ولا يحتاج إلى سؤالهم على قومه في زينته وأمواله النفيسة والجواهر الشريعة والفواهر اللَّطيفة والحلي البهية.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ ويرجون زخارفها على ما هو عادة الناس من الرَّغبة وما يوجد فيهم من الرَّغبة إلى الأموال وتضاعفها. ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا﴾ أموالاً وجهازاً ومنالاً يكون، ﴿مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾ لاغيبة ليكون حسداً وحقداً لا غبطةً كما هو شأن الأنبياء وأهل الله فإن لهم غبطة لا حسد. ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ﴾ فاضل ونصيب كامل وسهم تام عام شامل من الدنيا وحطامها.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ بالله وبأسمائه وصفاته[١٤٣] وبأحوال إيابه واطمأن آخرته وبقائها ودوام لذاتها وصفاء نعيمها من الكدورات الدنية والظُّلمات الردية وبأطوار الدنيا وحطامها وعدم بقائها وشوب لذاتها الكدورة العصص والآلام وخلط نعيمها بالآثام.

---

١٤٢ الزمخشري، *الكشاف*، ٣ ،٤٣٤ .

١٤٣ توحيد الأسماء والصفات: هو الإقرار بأن الله بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير، وأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، له المشيئة النافذة، والحكمة البالغة، وأنه سميع بصير، رؤوف رحيم، على العرش استوى، وعلى الملك احتوى ،وأنه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، سبحان الله عما يشركون ،إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى والصفات العلى . سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبدالوهاب، سنة

﴿وَيْلَكُمْ﴾ دعاء بالهلاك، ثم أُستعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما يرتضى، كما أُستعمل لا أبا لك؛ وأصله الدُعاء على الرَّجل بالافتراق في الحث على الفعل. ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ﴾ قد آمن وأذعن وصدق بالله بما جاءته من الأنبياء والكتب. ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ الضمير عائدٌ إلى الكلمة التي تكلَّم به العلماء، وإلى الثواب باعتبار دار المثوبة، وإلى الجنة أو إلى السيرة والطريقة والحقيقة وهي الشريعة، والأحكام الإلهية والأفعال النبوية وهي الحقيقة التشريعية أقوالي ، والطريقة أفعالي ، والحقيقة أحوالي ، أي لا يصل إلى هذه الحقائق الإلهية والدقائق الرُّبوبية واللَّواحق النبوية .

﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِۦ﴾ أي: أغرقنا قارون وداره وماله وما تحرك عليه من مداره وذلك أنه كان يؤذي نبي الله موسى عليه السلام في كل وقت، وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة وصالحه من كل ألف دينار دينار على دينار، وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت نفسه به وبخلت فجمع بني اسرائيل وقال: إن موسى أرادكم على كل شيء وهو يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت قال: نبرطل فلانة البغيّ حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو إسرائيل فجعل لها ألف دينار .

وقيل: طستاً من ذهب مملوءة من ذهب فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني إسرائيل من سرق قطعناه ومن إفترى جلدناه ومن زنا وهو غير محصن جلدناه وإذا كان محصناً رجمناه فقال قارون: وإن كنت أنت ؟ قال: وإن كنت أنا قال: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وأنزل التوراة أن تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسي فخرّ موسى ساجداً يبكي وقال: يا ربي إن كنت رسولك فاغضب لي. فأوحى الله إليه: مُر الأرض بما شئت فإنها مطيعة لك فقال: يا بني إسرائيل إنَّ الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه، ومن كان معي فليعتزل. فاعتزلوا جميعاً غير رجلين ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركبة؛ ثم قال: خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط؛ ثم قال: خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق؛ وقارون وأصحابه يتضرعون ويناشدون بالله والرحم وموسى لا يلتفت إليهم لشدة غضبه؛ ثم قال: خذيهم فانطبقت عليهم.

الوفاة ١٢٣٣هـ ، *تيسير العزيزالحميد في شرح كتاب التوحيد* ، ،تح: محمد أيمن الشبراوي، عالم الكتب،سنة النشر ١٩٩٩م، بيروت، ص، ٢٧ .

أوحى الله إلى موسى ما أفظَّك استغاثوا بك مراراً فلم ترحمهم أما وعزتي وجلالي لو إياي دعوا مرة لوجدوني قريباً مجيباً. فأصبحت بنو إسرائيل يتناجون بينهم إنما دعاء موسى على قارون ليستبدَّ بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله[١٤٤].

﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فيدفعون عنه عذابه ﴿وَمَا كَانَ﴾ قارون في أمره هذا، ﴿مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ للمنتقمين من عذابه من قولهم نصره من عدوه واستنصره إذا منعه منه فامتنع.

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾ ليلة اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريقة الإستعارة مكانه منزلته من الدنيا. ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ (وي) أصلها مقطوعة عن كأن، وهي كلمة تنبه على الخطأ المتقدم، يعني أنَّ القوم قد تنبَّهوا على خطئهم في تمنيهم وقولهم: ﴿يا ليت لنامثل ما أُوتي قارون﴾[١٤٥] وتندَّموا.

﴿لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ﴾ وأفضل وأنعم، ﴿عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: لا ينالون الفلاح.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ إشارة تعظيم كأنَّه قال تلك الدار التي سمعت خبرها وبلغك وصفها مبتدأ، ﴿نَجْعَلُهَا﴾ خبرها، ﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ﴾ ولا يطلبون، ﴿عُلُوًّا﴾ وغلبةً وتفوقاً على غيره إذ هذا الوصف كالكبرياء والعظمة لا يكون إلا لله فمن نازعه فيه فيستحق النار كما قال: (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما أحد أدخلته النار)[١٤٦].

---

١٤٤ النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (المتوفى:٧١٠هـ)، *تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)*،حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت،ط: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ٢،٦٦٠ .

١٤٥ القصص: ٧٩/٢٨ .

١٤٦ النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، *المستدرك على الصحيحين* ، تح: مصطفى عبد القادر عطا ،دار الكتب

﴿وَلَا فَسَادًا﴾ وظلماً، وإفساداً، وطغياناً، وبغياً، وعدواناً، ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ المحمودة، ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾

الذين يتَّقون اتقاءً مستمراً واتَّقوا أنفسهم وحفظوهم من الاستغلاب والتكبر والتفوق.

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: إنَّ الرَّجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها[١٤٧].

وعن الفضيل[١٤٨] أنه قرأها ثم قال: ذهبت الأماني ههنا[١٤٩] وعن عمر بن عبد العزيز أنَّه كان يردد هذه الآية ويواظب حتى قبض.

قال بعضهم: من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلق بقوله[١٥٠]: ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾[١٥١] ولا يقع الفساد في الأرض؛ ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ ثواباً وجزاءً وهو عشرة أو سبعمائة أو الضعف الذي لا يعلمها إلا الله. ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾[١٥٢]، أو الحسنة من حقية الله وصفته. ومن جاء بالسيئة فلو كان جزاؤه مثلها واحدة لكان معاملة المخلوق بالمخلوق كما أنَّ السَّيئة من صفته فلا يُجزى إلّا مثلها يدلُّ عليه قوله: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟

العلمية – بيروت، ط: الأُولى، ١٤١١ – ١٩٩٠، ١٢٩،١ . الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي المكي (المتوفى: ٢١٩هـ)، *مسند الحميدي* ،حقق نصوصه وخرج أحاديثه: حسن سليم أسد الدَّارَانيّ ،دار السقا، دمشق – سوريا، ط: الأُولى، ١٩٩٦ م، ٢٨٥،٢ .

١٤٧ الترمذي، أبو عبد الله، محمد بن علي بن الحسن بن بشر (المتوفى: ٣٢٠هـ)، *نوادر الأُصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم*، دار الجيل، مكان النشر: بيروت، سنة النشر: ١٩٩٢م، ٤ ،١٨٧ .

١٤٨ فضيل بن عياض: محمد بن عبد الله بن مسعود التيمي أبو علي أصله من خراسان، وسكن مكة. ثقة عابد إمام. توفي سنة ١٨٧هـ - التقريب ٢٧٧. *الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار*، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ)،المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف،أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط:الأولى، ١٤١٩هـ،١٩٩٩م ، ٧٦٠،٣ .

١٤٩ الخطيب الشربيني ، ٣ ،١٢١.

١٥٠ القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (المتوفى: ١٣٣٢هـ) *محاسن التأويل*، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت- ط: الأولى - ١٤١٨ هـ ، ٥٤٠،٧ .

١٥١ القصص: ٤/٢٨ .

١٥٢ الأنعام: ١٦٠/٦.

ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ صريحاً، ﴿إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي: بمثل ما كانوا يعملون أي: واحد بواحد ويعاضده وضع المظهر موضع المضمر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ أي: أنزله عليك على وجه مقدر ووصف مقدر وأوجب وألزم عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه ليثيبك عليها ثواباً لا يحيط به الوصف ولا ينال إليه الإدراك. ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أي: مقام وعده أن يبلغه إليه وهو المقام المحمود[١٥٣] ، والمرام الموعود المعهود هي مكة ، أو مقام ومنزلة يصل بعد الموت إليه ولا يمكن لغيره أن يصل إلى هذا المقام بعد الموت ، وتنوين معاد للتعظيم، وذلك أنَّه تشوَّق إلى ذلك المقام حسياً كان وهو مكة أو عقلياً ونفسياً وهو المقام المحمود وكان يزداد شوقه كل يوم فللمعاد في ذلك القوم شأن رفيع وبرهان منيع لا يبلغ إليه إلّا بكد بليغ وسعي وسيع وذلك أنَّ هذة السورة[١٥٤] مكية .

وقيل: نزلت حين بلغ في الهجرة إلى الجحفة وقد إشتاق إلى مولده ومولد آبائه وحرم إبراهيم وإسماعيل إلى أن بلغ عبد الله بن عبد المطلب فنزل جبرئيل وقال له: أتشتاق إلى مكة ؟ قال: نعم فأوحى الله إليه[١٥٥] وبشره بالرَّد إليه بعد عزِّ الإسلام وعز أُمته واستيلاء أهله بعد الشَّدائد الكثيرة والمحن الكبيرة. ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ كما كنت ترجو وتتوقع ردك إلى معادك، فكما كان الله قادراً أن بلغ إليك الكتاب وأنزله كذلك قادر على رديه إلى ذلك المعاد. فكن واثقاً بالله في إنجاح هذا المراد كما أنجح مرام إنزال الكتاب بدون الإلحاح والمبالغة والإبرام وكذلك ما كنت ترجو من الله.

﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ﴾ أي: لأجل الرَّحمة وإفضال النعمة أو الترحُّم ويجوز أن يكون إلّا بمعنى لكن الإستدراك أي لكن أنزال الكتاب وهو رحمة.

---

١٥٣ المقام المحمود: هو الشَّفاعة لفصل الخطاب ثمَّ الشفاعة لعبور الصراط، ثمَّ الشفاعة لدخول الجنَّة. سعيد حوّى، *الأساس في السنة* ١٠٧٢،٢.

١٥٤ المراد بالسورة سورة طه.

١٥٥ *الزمخشري*، *الكشّاف*، ٤٤٠،٣ .

﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ ألقى إليك، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ بمداراتهم والتحُّمل عنهم والمساهلة بهم والمشايعة برأيهم إلى مطلبهم.

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ولا يمنعك عن قرآءتها والعمل بما فيها من الأحكام التعيين بما هي دلالة عليها من التوحيد والنصائح والموعظة والحِكمة الإلهية النظرية والعملية. ﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وعبادته وطاعته والاعتقاد بذاته وبكمال صفاته الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بمساعدتهم وتقويتهم والاتفاق بآرائهم.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ﴾ هذا تقرير لما قبله، وتحقيق لما نهى عنهم. ﴿إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ﴾ من المجردات والبسائط والمركبات العلويات والسُّفليات ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ إلّا الذات السارية في جميع الممكّنات العلية الملكية والسافلة الفلكية والعنصرية إلى النّهاية الصورة البشرية.

﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ والقضاء النافذ أوّلاً وآخراً باطناً وظاهراً. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء والثواب والأجزاء. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ سورة القصص كان له أجر بعدد من صدّق وكذّب ولم يبق ملك في السماوات والأرض إلّا شهد له يوم القيامة أنَّه كان صادقاً ﴿ كلُ شيءٍ هالكٌ إلا وجهه له الحُكم وإليه ترجعون﴾[١٥٦].

---

١٥٦ أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل الهذلي المغربي ، *الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها*، ١،٢٧ .

٢ . سورة العنكبوت

سورة العنكبوت مكّية.

سورة العنكبوت مكّية وهي تسع وستون آية.

﴿**بسم الله**﴾ المتجلى لقلوب العارفين بعد الابتلاء بصنوف الشدائد والاختبار لصفوف المِحَن والفوائد بحقائق كمال الإيمان وبدقات إتقان الإيقان. ﴿**الرحمن**﴾ المعطي المصابر على شدائد الحوادث وسدائد الحوادث الزمان والمكان. ﴿**الرحيم**﴾ بعباده المجاهدين وأحبائه المخلصين المهاجرين من الخلق فكره ومبناء نظره وطوره هناء كالعنكبوت إلى الحق الذي له الخلق والكون والثبوت.

﴿الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ ليس المرام في هذا المقام ما تقدَّم في مفتح الكلام وبعض السور الألف والميم واللام ، والإلزام العبث والتكرار وقد قارن هُنا الاستفهام للإنكار كيف؟ وقد صرَّح الإمام الأعظم جعفر الصادق[١٥٧]: بأنَّ كلَّ ألفٍ وقعت في كلام الله له معنى يغاير المعنى الآخر فلا قسم ههنا بل المراد بهذه الحروف الخطاب بمحمد وأحمد وجبرئيل، وأنَّ الحُسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات بل بالمركبات ألا ترى أنَّك لو قلت: ظننتُ وحسبتُ زيداً عمرواً لم يُفد حتى تقول عالماً وكاتباً وغير ذلك.

﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ﴾ تأويل المصدر المنصوب، مفعول أحسب، أي أحسب الناس تركهم غير مفتونين وممتحنين عجز. وقوله ﴿ءَامَنَّا﴾ أي: احسبوا أن تعبدوا متروكين غير قابلين المفتنين بمجرد القول بأنا آمنا. ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ أي: والحال أنهم لا يُفتنون ولا يمتحنون فإنَّ الفتنة في الأصل: هي الابتلاء والامتحان بشدة التكليف بالأُمور الشاقة من العبادات وصنوف الطاعات والارتكاب بالخيرات والحسنات ومنَ الهجران وترك الأوطان ومفارقة الإخوان والمعصية والعصيان ومن الفقر والفاقة وحلول النَّوائب ونزول المصائب وغير ذلك.

---

١٥٧ ابن الشهيد، أبي عبد الله ريحانة النبي -صلى الله عليه وسلم- وسبطه ومحبوبه الحسين بن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب ،أحد الأعلام . الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ، *سير أعلام النبلاء*، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف، الشيخ شعيب الأرناؤط، مؤسسة الرسالة ، ط: الثالثة ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م ، ٦ ،٢٥٥.

﴿ولنبلونكم بشيءٍ منَ الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثَّمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة﴾ الآية[١٥٨].

﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خيرٌ إطمأن به وإن أصابته فتنة إنقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة﴾[١٥٩].

قال صاحب الكشاف[١٦٠]: فالترك أول مفعولي (حسب) ولقولهم: آمنا هو الخبر وأمّا غير مفتونين فتتمة التَّرك لأنَّه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله:

فتركته جزر السباع يَنُشْنَهُ[١٦١].

وأنت تعلم أنَّ هذا النوع من التوجيه يقتضي أن يكون وهم لغوا والذي ورد في خلدي وتردد في قلبي وفؤادي بإلهام الله تعالى وإعلامه ، أنَّ المفعول الأولى المتصير الذي يفتنه أن يتركوا محذوف ، والمفعول الثاني أن يتركوا أي أحسب الناس أنَّ الله يصيرهم متروكين مماتين بمجرد أن يقولوا والحال أنَّهم لا يفتنون بالاستكشاف على ظهور النِّعمة ودرور المحبة.

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ أي: ليظهر علم الله بأحوال المؤمنين. ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في المحبة وتحمُّل الشَّدائد والمحنة.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فيها فلا اعتماد على اعتقادهم ولاعتدادهم في إيمانهم وإمدادهم، وفي الالتفات إشعار بأنَّ المؤمنين الصادقين في الغيبة والحضور وفي الخيرات والسرور ينساؤون وفي إعادة العامل في المعطوف تنبيه على أنَّهم في الغيبة أكبر يقيناً لعلمهم بأنَّ الله حاضر في الغيبة والحضور والشهادة وأنَّ علمه متعلق بأحوال الفريقين.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ﴾ عطف على حسب. ﴿يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الكفر والنِّفاق والمعاصي والشقاق أعمُّ من أفعال القلوب والجوارح.

---

١٥٨ البقرة، ٢/٥٥-٥٦ .

١٥٩ الحج، ٢٢ /١١.

١٦٠ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، ١٥ ، ٨ .

١٦١ *(ينشنه)* أي: يصلن إليه. *الزمخشري، الكشّاف*، ٣ ،٤٣٨.

﴿أَن يَسۡبِقُونَا﴾ وتخفى أعمالهم علينا ومنع أحوالهم لدينا فلا نقدر على أن نجازيهم على مساوئهم وأنَّ عادتهم ظاهراً، وباطناً، صورةً، ومعنىً، وهو ساد مسدَّ المفعولين وإمّا للانقطاع والاضراب لأنَّ هذا الحسبان أفسد الأوَّل وأشد وارد منه ولذا أردف بقوله، ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ أي: بئس الذين يحكمون به أو حكماً يحكمونه حكمهم هذا فالمخصوص بالذَّم محذوف.

قال الفاضل الهندي[١٦٢]: فنا ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾ كيف وقد ظهرت الحكمة فيه. ﴿فليعلمن الله الذين صدقوا﴾ أي: ليَظْهَرَ عِلمُه عند خلقه بصدق إيمان اللذين صدقوا فيه بدلالة ثباتهم عليه عند المصائب.

﴿وليعلمن﴾ وليظهر علمه بكذب دعوى الكاذبين ، ويجوز أن يكون يعلمن مضارع، باب التفعيل والأفعال.

﴿أم حسب الذين يعملون السيئات﴾ ويرونها ويشاهدون لها حسنات بإظهار، ﴿أن يسبقونا﴾ يغلبونا بإشهاد المؤمنين على إيمانهم وأعمالهم الصالحة. ﴿ساء ما يحكمون﴾ من غيبتهم علينا بالحُجة فغاية ما شهد المؤمنون على ظواهرهم لا على بواطنهم لولم أظهر لهم انتفت تلك الشهادة منهم وإن كانوا حاكمين في الدنيا بإيمانهم ويجرون عليهم أحكامهم ولو قيل: الابتلاء إضرار فلا يليق بالمؤمنين، بل ينبغي أن يقتصر على المنافقين لإظهار نفاقهم وإظهار شقاقهم يقال في الجواب لا إضرار على المؤمنين في الحال لأنَّهم يرجون الثَّواب يوم لقاء ربهم ولو في الاستقبال لأنَّه ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ مثل الموصول إلى حسن العاقبة ومحمّدية العافية

---

١٦٢ محمد بن تاج الدين الحسن بن محمد، بهاء الدين أبو الفضل الأصفهاني، المعروف بالفاضل الهندي، أحد أبرز فقهاء الإمامية المجتهدين، ولد سنة اثنتين وستين وألف. نبذة من حياته: درس عند والده، وروى عنه، وسافر معه ـ وهو صغير السن ـ إلى بلاد الهند (ولذلك إشتهر بالفاضل الهندي)، ورجع إلى أصفهان، وواصل دراسته بها، وأكبّ على المطالعة. ونبغ في عهد مبكر، وشرع في البحث والتصنيف قبل أوان البلوغ، وأحرز ملكة الاجتهاد في ذلك الوقت، ولم يزل شأنه في ارتفاع حتى صار عمدة المجتهدين في أصفهان والمعوّل عليه في الفتيا فيها وفي سائر البلدان، وكان إلى جانب براعته في الفقه و الأُ صول، ذا يد باسطة في علم الكلام والحكمة والنحو والمعاني والبيان. وقد درّس، فتتلمذ عليه جمع، وانتفعوا به في الفقه والحديث والتفسير، ومن هؤلاء: السيد محمد علي الكشميري، وأحمد بن الحسين الحلّي. اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، إشراف: الشيخ جعفر السبحاني ،ط : الأُولى ١٤١٨هـ ، *موسوعة طبقات الفقهاء* ، ١٢، ٢٧١-٢٧٣ .

من تلقى ملك الموت[١٦٣] والبعث[١٦٤] والحساب[١٦٥] والجزاء[١٦٦] والثَّواب تعريف مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد بُعد عهد طويل وقد إطَّلع مولاه على ما كان يأتي ويذرُ، فإمّا أن يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من أفعاله أو بضد ذلك لما سخطه منه بمعنى قوله: ﴿من كان يرجو لقاء الله﴾ من كان يأمل تلك الحال وأن يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى، هذا على ما في الكشاف بناء على إنكار الرؤية دون الرؤية وإمّا على طريقة أهل الله من العرفاء فلقاء الله هو مشاهدته ورؤيته إمّا في الدنيا فكما حكى الله بقوله عزوجل عن حال الخليل: ﴿فلما رأى كوكبا قال هذا ربي﴾ الآية[١٦٧] ، وعن حال كليمه بقوله: ﴿إني أنا الله رب العالمين وألق عصاك﴾[١٦٨]، وحكى حبيبه عن حال نفسه بقوله: (رأيت ربي في أحسن صورة شاب فقال لي فيم يختصم الملائكة ؟ قلت: أنت أعلم أي ربي فوضع يديه بين كتفي فوجدت برده بين ثدي فنظرت في ملكوت السَّماء الحديث)[١٦٩].

---

١٦٣ قال إبن كثير: وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه في القرآن، ولا في الأحاديث الصحاح، وقد جاء تسميته في بعض الآثار بعزرائيل، البداية والنهاية، ١، ٤٩. وقال السندي:لم يرد في تسميته حديث مرفوع، فيض القديرللمناوي،٣٢،٣.

١٦٤ البعث: والمعاد والحشر بمعنى واحد، وهو أن يبعث الله تعالى الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ويعيد الأرواح إليها. القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، *دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون*، تح: عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م- بيروت، ١٧٠،١.

١٦٥ قال القرطبي رحمه الله في تعريف الحساب: يوم الحساب ومعناه أن الباري سبحانه يعدد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة ويعدد عليهم نعمه، ثم يقابل البعض بالبعض . القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، *التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة* ،تح: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ص،٥٦٢ .

١٦٦ الجزاء: المكافأة على الشيء،أو هو مكافأة الناس يوم القيامة حسب أعمالهم بالجنة أوبالنار. أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية* ،تح: عدنان درويش - محمد المصري ،مؤسسة الرسالة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، بيروت، ٣٥٦،١ .

١٦٧ الأنعام: ٧٦/٦.

١٦٨ القصص:٣١/٢٨ .

١٦٩ ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني المتوفى: ٢٤١هـ) ، *مسند الإمام أحمد بن حنبل* ،المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط: الأُولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م ، ٤٣٩،٥ .

(وعن علي كرم الله وجهه سئل عنه هل رأيت ربك ؟ قال: لا أعبد رباً لم أره)[١٧٠].

قيل: كيف رأيته ؟ قال: لا تشاهده العيون بمشاهدة العيان بل تشاهده القلوب بحقائق الإيمان ؟

وقال أيضاً: رأيته فعرفته ثم عبدته لم أعبد رباً لم أره[١٧١].

وقد حُكِي عن عموم حال عميان بقوله: ﴿فمن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلُّ سبيلاً﴾[١٧٢].

وطريق الرؤية والمشاهدة إما الجذبة والمجاهدة. ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ والوقت المضروب له وهو الموت الارادي والفوت الاختياري. ﴿لَآتٍ﴾ في القيامة الأنفسية وفي القيامة الآفاقية إن كان الموت اضطرارياً والأوَّل القيامة لا يتأتى ولا يحصل بالرُّشد الكامل المكمَّل إمّا الجذبة ففي البداية وإن حصل بدون الرشد في الظاهر إلّا أنَّه في الاستكمال واستيفاء أقسام التجليات وأنواع الشهودات وفي الاطِّلاع على حقائق أطوار المكاشفات ودقائق أقسام المشاهدات يحتاج إلى المرشد الكامل العارف بأطوار المشاهدات وأنوار المعاينات وأدوار النشأة ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ استدعاء الاستعدادات الذاتية والقابليات الأزلية[١٧٣]. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بتمام ما ذكرنا.

﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ وارتاض بنفسه إرتياضاً جذبة فقط أو جذبة مع السلوك، وأما الثاني: فهو أيضاً قسمان:

إما سلوك وحده، أو سلوك مع الجذبة، والقسمان من هذه الأقسام الأربعة، وهما المجذوب السالك والسالك المجذوب يستكملان في مراتب الشهود وأدوار مآرب الوجود وإما مجذبة وحده والسالك بعده فلا استكمال لهما فلا يُقتدى بهم إما المجذوب فلقوله ع م: (لا يُقتدى بهم ولا يُنكر

---

١٧٠ لا أصل له بل هو من مرويات الشيعة كما جاء في، *كتاب شرح الأسماء الحسنى للسبزواري* :ص،١٨٩، *الأسفار الأربعة للشيرازي* ، ١ ، ١١٧ .

١٧١ إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، *روح البيان*، دار إحياء التراث العربى، ٣٥٣،٢.

١٧٢ الإسراء: ٧٢/١٧ .

١٧٣ الأزل: القدم الذي ليس له إبتداء ويطلق مجازا على من طال عمره والأزل إستمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي كما أن الأبد إستمراره كذلك في الحال والأزلي ما ليس بمسبوق بالعدم. *التعاريف*، ٥٣،١ ، *ودستور العلماء*، ١ ، ٢٤ .

عليهم وأمّا السالك برأسه من غير مرشد)[١٧٤] فلقوله تعالى: ﴿من يهدي الله فهو المهتدي ومن يُضلل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾[١٧٥].

قال النبي ع م: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)[١٧٦] وغير ذلك من الآيات والأحاديث﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في ذاته واسمائه وصفاته وكمالاته الذاتية والاسمائية والأفعالية والآثارية والصورة الجمعية إذ ذاته كافية في كل ما لها من الكمالات الذاتية والاسمائية والأفعالية والآثارية والصور الجمعية. وأما قوله تعالى: (كنت كنزا مخفياً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق لأُعرَف)[١٧٧] لا ينافي ذلك اذ الخلق امّا ظاهر أو باطن وهو عين الحق كما قال: ﴿هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾[١٧٨]، ﴿فأينما تولوا فثَمَّ وجه الله﴾[١٧٩]، ﴿الله نور السماوات والأرض﴾الآية[١٨٠]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مطابقاً لما آمنوا في الفطرة الأولى . ﴿ياأيها الذين آمنوا آمنِوا بالله ورسوله﴾[١٨١]. ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إشارة إلى شرائطه القريبة والبعيدة وإلى أكمل أنواعه وأتمّ فروعه؛ إذ ربَّما يظهر اللقاء والشهود والعيان بدون العمل في الظّاهر كما هو في الجذبة جذبة من جذبات الرحمن توازى عمل

---

١٧٤ لم اقف عليه.

١٧٥ الكهف، ١٧/١٨ .

١٧٦ الشهرستاني ،محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد ، *الملل والنحل*، دار المعرفة - بيروت ، ١٤٠٤، تح: محمد سيد كيلاني، ١ ،١٩٢ .

١٧٧ الزركشي في ،*التذكرة في الأ حاديث المشتهرة* ،ص،١٣٦ . والسخاوي في ، *المقاصد الحسنة* ،ص،٨٣٨،٣٢٧. السيوطي في ،الدرر المنتثرة، ص،٣٣٠،١٦٣. والفتني في " *تذكرة الموضوعات*" (ص ١١)، ومُلا علي القاري في"*الموضوعات الكبرى*" (٣٥٣،٢٧٣)، والشيخ إسماعيل العجلوني في "*كشف الخفاء*" (٢،١٣٢،٢٠١٦) وقال: وهو واقع كثيراً في كلام الصوفية، واعتمدوه، وبنوا عليه أصولاً لهم . *سلسلة الضعيفة*، ١٣، ٥٠ .

١٧٨ الحديد، ٣/٥٧

١٧٩ البقرة، ٢/ ١١٥.

١٨٠ النور، ٣٥/ ٢٤.

١٨١ النساء، ١٣٦/٤

الثقلين[١٨٢] ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ ومَحَوْنا آثار تقصيراتهم. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ في مقام النَّفس والصَّدر وطور القلب وهو اللِّقاء الأعظم والشهود الأعمُّ الأهمّ الذي في مقام الجمعية الكُبرى وهي صورة معينة الصَّدر والقلب والصدر والسرّ ومقتضاها وهو ترتب مبادئ القياسات وشرح مقدماتها والإنتقال منها إلى الأفكار والنتائج وحصول علم اليقين والاستعداد إلى الوصول بعين اليقين والشهود الصريح والبيان الصحيح إلى أن يصل إلى مقام حقِّ اليقين والتحقُّق بالحقائق الإلهيِّة والتجلِّيات الذّاتية الاسمائية.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ وأمرناه أن يُحسِن. ﴿بِوَٰلِدَيْهِ﴾ الصوري والمعنوي والولد هو القلب الذي تولد عن أب الرُّوح وأُمِّ النَّفس وطبعة الإنس وطينة الجنِّ. ﴿حُسْنًا﴾ وإحساناً إذ السّعادة الدينية والدنياوية والسيادة الصورية والمعنوية منوطةٌ بحُسنِ المعاشرة ومضبوطة بلطف المباشرة بأنْ قضى وطرَهما وأقضى حقوقَهما وسعى ورضي بأمرهِما وإن كانا عندالله غير مرضين مالم يأمراه بالشِّرك والكفرِ والإشراك ولم يجراه إلى الأسفل والدرك وعدم العلم ونفي الإدراك.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ وأمراك وعاداك ودعاك. ﴿لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي: بالشِّرك عَلِمَ وإن لم يطَّلع على برهان بطلانه يكفيك الكفُّ عنه أنَّه شركٌ وأنَّ امتثال أمرهما في مقابلة أمر الله يُشبه الشركَ. ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ في ذلك الأمر وإن جاز التكلُّم بكلمة الكفر إكراهاً وعلى سبيل الحكاية فلا إكراه مع إمكان المنعِ والدَّفعِ بالمجاهدة فلو قيل: أنَّ برّ الوالدين معلوم الثُّبُوت للكُلِّ وبطلان الشرك غير معلوم لأهل الإفك فلو إمتدَّ لهما فيه كان مقدوراً. أُجيب بأنَّه أخطرُ وأضرُّ واحضر؛ إذ ﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ لا إلى الأبوين وإنِّي لستُ ممن يلتبس عليه بعض الأُمور ولا كلّها.

---

١٨٢ الثقلين: هم جميع ماخلق في الأرض، وبنو آدم خيرهم، ولو قيل بعموم الخلق حتى يدخل فيه الملائكة فله وجه صحيح، ويحتمل أنه أراد بالخلق بني آدم . بدر الدين البعليّ، محمد بن علي بن أحمد بن عمر بن يعلى، أبو عبدالله،(المتوفى:٧٧٨هـ)، *المنهج القويم في إختصار «اقتضاء الصراط المستقيم لإبن تيمية»* ،تح: علي بن محمد العمران بكر بن عبد الله أبو زيد،دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط : الأولى، ١٤٢٢ هـ، ١ ،٦٩ .

﴿فَأُنَبِّئُكُم﴾ وأُخبركم لإحاطة علمي بالكُلّ القليل والقصير والجُلّ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ظاهراً وباطناً سرّاً وعلانيةً وأخبرتكم. ومنه حقوق الوالدين وخَطَر العقوق كخطر الشّرك.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إيماناً غيبياً وعملاً قلبياً. ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي﴾ زمرة. ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وإن كان عقوق الوالدين بمخالفة أمرهم لهما بالإثم وكيف يأمر بالجهاد وإهماله يُفضي إلى الارتداد؟! وذلك وأنَّ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ المعهود الإنس والمفقود القدسي. ﴿مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ لغرض دُنيوي. ﴿فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ﴾ بالإضرار ومستهمُّ أذاً من الكفار. ﴿جَعَلَ﴾ ذلك الأذى. ﴿فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ أي: صرفهم إلى الكفر كما أنَّ عذاب الله وملاحظته وإدراكه وتصوره[١٨٣] والتَّصديق به صارف للمؤمنين إلى الإيمان به والصبر والشكر، أو كما يجب أن يكون عذاب الله صارفاً فإذا جاء نصر الله وغنمهم اعترضوا وانصرفوا إليهم. ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ متفقين معكم في دينكم ثابتين عليه فأعطونا نصيبنا من المَغنمِ. ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الجاهلين والصالحين؟

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بصميم القلب وخلوص الاعتقاد ووفور التَّوجيه إلى الغيب متجافين عن الشِّرك والرَّيب في يوم التَّناد. ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ المُمليْنَ قلوبَهُم من الشّكوك والرَّيب والنَّقص والعيب.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله وبما جاء من عند الله من الرُّسل والكُتبِ. ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله وبرسوله وبما جاء منه وتحمَّلوا أذى النّاس في طريق الحق. ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ ومسالك ديننا ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ في هذا الاتباع أي: يجب علينا في هذا والمسلك حمل خطاياكم

---

١٨٣ التصور: طلب من الشرع أن يعرفه على الحكم العادي إلا بقدر ما يحتاجه الحكم الشرعي، أو طلب من الشرع أن يعرفه بالحكم العقلي إلا الأحكام العقلية، سعيد حوّى، *الأساس في السنة وفقهها*، ٣، ١٤٥٦.

بطريق الإلزام وسبيل الإلتزام للحمل فأمروا نفوسهم بحمل خطاياهم، وإنَّما قالوا ذلك؛ لإنكارهم كونها خطأً لاعتقادهم كونهم مصيبين في ذلك الطَّريق وأنَّ كلَّما عملوا ويعملون فهو صوابٌ وصدقٌ وثوابٌ. والحال ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ﴾ أصلاً وفضلاً عن خطيئة الكفر والإشراك. ﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ في هذه الدعوى لانتفاء وفائهم بما عهدوا من الأُولى للبيان والتَّبيين مزيدة لتأكيد العموم وتأبيد الابهام والنكارة لدى الفهوم وتمردون الافهام ولكن يجعلون نفوسهم كالموقنين.

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أثقال المعاصي التي يعجِزون عن حملها بعد اقتراف أنفسهم إيّاها. ﴿وَأَثْقَالًا﴾ أُخرى وهي: الإضلالُ والضَّلال. ﴿مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ وهي: الأثقال والمعاصي التي كانت سبباً في ضلالهم وهذا الحمل ليس على سبيل التَّعاقُب والإردان ولعدم انقطاعهما وألاَّ يسقط بذلك أثقال المحمول عنهم. ﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ على الله من نسبة الشَّريك والولد إليه، وكفى بالسّؤال عن ذلك الحملُ ثِقَلاً ولو منع التحمُّل من أخذه المحمول عنه لم يؤاخذ المتأخرين من قوم نوح مع تحمل أوائلهم وتعذيبهم مدة مديدة يمكن جعْلُ بعضها من جهة التَّحمُّل.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ﴾ يدعوهم إلى الله. ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ من سني ذلك الزَّمان شمسياً كانت أو قمرية أو غيرهما من الكواكب السَّيارة؛ فإنَّ لكل منها اقتضاء دورة، ولها سنة تناسبها لكنَّ اليوم في الكل واحد وهو مقدار حركة الفلك الأعظم وتكرار ذكر النوح وغيره منَ الأنبياءِ يشعر بكثرة الأدوار ويكون في كل دورة نوح وآدم وإبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد على بريزة والبروزُ: كما قدَّمنا في صدر الكتاب وأثبتناه في كل موضع يناسبه. ﴿إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ المائي الناقض لما تقرر لدى أرباب التنجيم بأنَّه ما بلغ هذا الطوفان أرضَ الصِّين والفنا وبعضَ بلاد الهند والسِند، فإنَّ النصير الدين الطوسي[١٨٤] قدَّس سِرُه قد ذكر في كتاب الزنج الإيلخاني: بأنَّ منذ أربع وأربعين ألف سنة تكون

---

١٨٤ -النَّصِير الدين الطُّوسي (٥٩٧ - ٦٧٢ هـ = ١٢٠١ - ١٢٧٤ م) محمد بن محمد بن الحسن، أبو جعفر، نصير الدين الطوسي: فيلسوف. كان رأسا في العلوم العقلية، علامة بالأرصاد والمجسطي والرياضيات. علت

السلطنة والحكومة بينهم من غير انتقال من بينهم إلى غيرهم من الطَّوائف وهم يدَّعون ويزعمون أنَّهم ليسوا من أولادهم الصفى، بل من آدم آخر فإنَّ لحقيقة آدم سبعة آمادٍ كما صرَّح النبي صلى الله عليه وسلم به: (إنَّ الله تعالى خلق آدم في سبعة آمادٍ والأمدُ: هو الدَّهر الطَّويل لا يُحصيه إلّا الله ونحنُ في الأمد الأخير)[١٨٥].

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ وأهله لانتفاء الظُّلم عنه. ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ الذين وُكلوا بضبطها وهم الملاّحون يدلُّ عليه العطفُ. وسبب النَّجاة ليس ركوب السفينة المحسوسة فقط، بل ركوب السَّفينة العقلية وهي سفينة الإيمان وفلكه العدلُ والإحسانُ وكمال إتقان الإيقان. أشار إليه بقوله: ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً﴾ دالة وعلامةً هالةٍ على السَّفينة المعنوية المُنجية في الحقيقة بذاتها والصورية لا يُنجي إلّا بها. وأصحاب السفينة وساكنيها كانوا ثمانية وسبعين، نِصفهم ذُكور والنّصف الآخر إناث.

قيل: كانوا عشرة، خمسة رجال وخمس نسوةٍ. روي: عن النبي ع م: (كانوا ثمانيةً نوحٌ وأهلهُ وبنوه الثلاثة وأهاليهم)[١٨٦].

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: أُذكر إبراهيم؛ أو عطف على نوح ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بالإخلاص وكمال الإختصاص به لتكون تلك العبودية لكم لذي طُغيان طوفان عالَم الطبيعة سفينة منجية أينما كُنتم. ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ لتصير وقاية لها عن الغرق. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: التَّقوى والعمل الخالص أو كل منها أو مجموعهما. ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من سائر السنن لما فيه من العِلْمِ والعَمَلِ

منزلته عند (هولاكو) فكان يطيعه فيما يشير به عليه. ولد بطوس (قرب نيسابور) وابتنى بمراغة قبة ورصدا عظيما، واتخذ خزانة ملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة، اجتمع فيها نحو اربعمئة ألف مجلد، وقرر منجمين لرصد الكواكب وجعل لهم أوقافا تقوم بمعاشهم. وكان (هولاكو) يمده بالأموال. الزركلي الدمشقي . خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ،خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، *الأعلام* ،دار العلم للملايين، ٢٩،٧، وهو أحد أئمة الشيعة .

١٨٥ لم اقف عليه.

١٨٦ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)،المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ، ١٠،٣٤٨.

وجمعيتهما. ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخيرُ والشَّرُ والضَّرُ وما يشتمل عليهما منَ الحقائق الضارّة والنّافعة والسّارة والرافعة.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ دونَ طُغيان طوفان كمال الجهل والغباوة وجريان ماء الكَسَلِ والغواية مع أنَّ الدورة والسفل لا يستقلّ بالأثر والتَّأثير بدون إلّا عند لا يصلح للسَّببية فضلاً عن الفاعلية.

﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ ويجترحون كذباً وشركاً أو تكذبون كذباً صريحاً بأنَّ الأوثان تستقلُّ بالتأثير حتى زعموا أنَّها ترزق وتثمر. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ ليستحقّوا العبادة لأنَّها أدنى منكم وقد علمت أنَّ الأدنى لا يُؤثر في الأعلى. ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾ الجامع لتمام جهات الكمالات والتأثيرات التي بعضها رزق الذي به بقاء تلك الكمالات فيكم ولاكلتهم من دونه. ﴿ٱلرِّزْقَ﴾ فلا بقيت فيكم فلا يعبدوه بل عبدوه واعتدوا استقلاله بإعطاء الرِّزق فيكم. ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾ متوسلين[١٨٧] أي: مطالبكم بعبادته مقيَّدين لما حفَّكم وبثَّ فيكم منَ النِّعم بشكره والعلم أو مستعدين للقائه بهما فإنَّه ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ وأهلكوا فلا تكذبوا ليكون سبب هلاككم إلّا أنَّه ليس على الرُّسل إهلاككم إذ: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ مبلغ البُرهان المبين ليزول معه الشَّك وما عليه؛ وهذه

---

١٨٧ التوسل: (و س ل)الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير والجمع الوسيل و الوسائل والتوسيل والتوسل واحد يقال وسل فلان إلى ربه وسيلة بالتشديد وتوسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل . الرازي ،محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر ، *مختار الصحاح* ، تح: محمود خاطر ،مكتبة لبنان-سنة النشر-١٤١٥ - ١٩٩٥بيروت ،ص،٣٠٠ .
التوسل شرعا: هو التقرب إلى الله تعالى بطاعته وعبادته واتباع أنبيائه ورسله وبكل عمل يحبه الله ويرضاه. أبو غزوان، محمد نسيب بن عبد الرزاق بن محيي الدين الرفاعي ، *التوصل إلى حقيقة التوسل - المشروع والممنوع* ،دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت ، ط: الثالثة، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ، ١، ٢٠ .

الآية والآيات التي بعدها إلى قوله: ﴿فما كان جواب قومه﴾[١٨٨] محتملة أنْ يكون مِنْ جُملة قصة إبراهيم صلوات عليه لقومه وأنْ يكون باباً ونعتاً معترضة في شأنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأنِ قريش بين أوَّل قصة إبراهيم وآخرها، وإذا كانت قولاً لإبراهيم فالمراد بالأُمم قوم شيث وإدريس ونوح وغيرهم ولقدْ عاش إدريس في قومه ألف سنة إلى أنْ رفع في السَّماء وآمن به ألْف إنسان على عدد سنه وأعقابهم كانوا على التَّكذيب. ومساق هذه القصص والانسياق بهذه القصص لتسلية الرَّسول ع م والتنفيس عنه وشُبه حال قريش بالرَّسول كحال إبراهيم بقومه في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ خلق أجزاء الإنسان قابلة للتَّحلُلِ فيتحلَّلُ منهما ما تحلَّل. ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بالعذاب الموردة للنَّشرِ والنَّماء فلا ينسب إلى قوى الضعيفة والمبادئ النَّحيفة كيف وقد قيل أنَّ أكثرها إعراض[١٨٩] بل إلى الله كيف ولا ينسب إلى المُمكنات شيء منَ الأثرِ والتَّأثيرِ منَ الإبداءِ والإيجادِ والإعادةِ والإحياءِ والإنشاءِ؟ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الإبداءُ والخلقُ والإنشاءُ والإعادةُ والنشو والنَّماءِ والإنماء. ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ وسهل وتدبير لعدمِ افتقاره في أطوار المذكورة إلى شيء غير الذات إذ ذاته كافية في كل ما له منَ الأسماء والصِّفات وما تقْتضيه مِنَ الأفعال والأحوال والأسماء والصفات إما ظاهرة أو باطنة أو أوَّل وآخر فهي عين الذات في الحقيقة لقوله تعالى: ﴿هو الأوَّل والآخر والظاهر والباطن﴾[١٩٠] فاستوى عنده التأثير في الظّاهر والباطن وهو في الحقيقة نسب الذاتِ إلى الذات وهو أمر إعتباريٌ لا ثبوتَ ولا كونَ له في الواقع.

---

١٨٨ النمل: ٢٧/ ٥٦.

١٨٩ الأعراض:عرفه أمام الجويني بقوله: فأما العرض فقد قيل ما يقوم بالجوهر؛ وقيل ما يطرأ على الجواهر كالألوان والطعوم والروائح والعلوم والقدر والإرادات الحادثة وأضدادها والحياة والموت

وقيل العرض ما يستحيل عليه البقاء. إمام الحرمين ،أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني. *لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة* .المحقق: فوقية حسين محمود، ط: الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص،٨٧ .

١٩٠ الحديد، ٥٧/ ٣ .

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ سير الاعتبار ومسير الاستبصار فالأمر بالمسير للوجوب لكونه يتبنى الواجب ومقدماته ومقدمة الواجب واجبة هو النَّظر والفِكرُ. ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض﴾[١٩١] وهذا الأمر للوجوب يشعر به فاء. ﴿فَٱنظُرُواْ﴾ والأمر به. ﴿كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَ﴾ وإبداء الخلق القابل البقاء بذاته والبقاء بغيره. ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ﴾ دون قوى العالم[١٩٢] ومبادئه الخفية والجلية التي نسبت الفلاسفة والعُقلاء وأصحاب الآراء الضَّعيفة التدبيرات الخفية والتدبيرات الجلية إليها وذلك لقصور نظرهم في ذات الله وأسمائهِ وصفاتهِ وفي كيفية إبدائه وإنشائه دُنياً وآخرةً. ﴿يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ لأشياء الثابتة والممكنات الكائنة إنشاء القوى القادمة والنامية في الظّاهر وفي باطن المقتذي وإنشاء القوي إنَّما هو بإنشاء الله تع لقوله تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾[١٩٣]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ معدوم. ﴿قَدِيرٞ﴾ بالإيجاد والإنشاء والإعادة أو موجود بإيراد الأحوال المتجددة وإعداد الأطوار المتحددة ومع هذا كيف يتحرى للخبير المتبصِّر واللَّبيب المختبر أنْ يرتضي القدير في المبدعات والتَّفكُّر في المخترعات ويعرض عن أداء شكر الله ونعمائه الظاهرة والباطنة في الإنفاع بالتَّغذي بها والارتزاق منها؟ ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ في إضلال وظائف شكرها وإهمال التَّفكُّر فيها أو بالغذاء

---

١٩١ يونس:١٠/١٠١ .

١٩٢ العلم: ووَقَع خِلافٌ طَويلُ الذَّيْلِ في العِلْمِ، حتى قالَ جماعةٌ: إنَّه لا يُحَدُّ لِظُهورِه وكَونِه من الضَّروريَّاتِ ، وقِيلَ: لِصُعوبَتِه | وعُسْرِهِ ، وقِيلَ : غَيْرُ ذَلك قُلتُ : وقال الرَّاغِبُ : ' العِلْمُ : إدْراكُ | الشَّيءِ بِحَقيقَتِه وقال المُناوِيُّ في التَّوقِيفِ: العِلْمُ هو الاعْتِقادُ الجازِمُ الثَّابِتُ المُطابِقُ للواقِع، أوهو صِفَةٌ توجِبُ تَمْييزًا لا يحتَمِلُ النَّقيضَ، أوهو حُصولُ صُورَةِ الشَّيءِ في العَقْلِ. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، *تاج العروس من جواهر القاموس* ،تح : مجموعة من المحققين، ٣٣،١٢٦-١٢٧،وقال أبو البقاء الكفومي :العلم (هو معرفة الشيء على ما هو به)، *الكليات*، ص،٦١٠.

١٩٣ الصافات: ٣٧ /٩٦.

بإفضائه إلى المرضِ وبما يقتضي إتقاء المقصود وإتقاء الغرض. ﴿وَيَرۡحَمُ﴾ ويجعله يقتضي الحكمة على وجه يندفع به المرض وينافي منه أصل المقصود برعاية الغرض. ﴿وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ﴾ فيُرجى رحمته ويخاف عذابه إذْ لا مانع منه كيف وأجلّ المَوانعِ ممنوع وأقوى المقتضى وهو كمال عنايةِ الله وشرفِ لُطفه من جانب عالم القدس مسموع.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ ربُكم عنْ إدراككم والعلمُ بحالِكُمْ ومالكم. ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وإجراء الأحوال الظاهرةِ والباطنةِ منَ المنافعِ والمضارِّ عليكم في الدنيا. ﴿وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ بأنْ يعرجكم فيها ويخرجكم مِنْ مضيق الأرض إلى قسمه أو سبع الفضاء كما أعرج نبيُنا في ليلة المعراج وخصَّ أُمته مِنَ الأولياء الكاملين والعُرفاء الفاضلينَ والملائكةِ والأرواحِ ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾[١٩٤]، ﴿ إن إستطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان][١٩٥] لا بأنفسكم ولا بمعبوداتكمُ الباطلة.

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ﴾ يعينكم في المقاصد الدينيةِ والدُنيوية ﴿وَلَا نَصِيرٖ﴾ يدفع عنكم من رحمته أو يحرسكم من بلاء يظهر منَ الأرض أو ينزل من السَّماء، ويدفعه عنكم يعني: أنَّ الأمرين سيّآن عنده وكذا المدحُ والثَّناءُ والحمدُ والهَجاءُ كما قال حسّانُ في مدح النبي:

أمَّنْ يهجوا رسول الله ويمدحه وينصره سواء؟!.[١٩٦]

والعذابُ والثَّوابُ والرَّحمةُ والعِقابُ وإنْ كانا بالمشيئة فلا يُخالف الحِكمة المقتضية نزعُ الرَّحمة منَ الكافرين.

---

١٩٤ السجدة، ٥/٣٢

١٩٥ الرحمن، ٣٣/٥٥ .

١٩٦ تفسير القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، ٣٣٧،١٢.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الدالَّةُ على أنَّ الرِّزقَ مِنهُ ابتداءً وانتهاءً، إذ لا يُؤثِّر في الكون سواه.

وشهود ﴿وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ الذي فيه الجزاء على الشكر. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى﴾ فلم يرتجوا إيّاها وما طلبوها وقبولها. وطلبها شرطُ الموصول إليها وحصول المرام لديها؛ كما أنَّ الموهوب له لو لم يقبل الموهوب يُردعُ الموهبة فيدفعها فلا يتملكه ولا يكون له ملكاً بل قضي عليهم بأنَّه ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وهو عذاب الحِرمان وعقاب الندامة والخُسران وهو أشدُّ أصنافِ العذاب وأحد أكناف العقاب فينبغي للمؤمن أنْ لا ييئس[١٩٧] من رحمتي ومن روحي ومغفرتي فـ﴿إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾[١٩٨] أو لا يأمنُ من عذابه وعقابه إلّا إيّاهم؛ بل يكون المؤمن راجياً لله ناجياً لله.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ أي: قوم إبراهيمَ له ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ والقائل: هو البعض إلّا أنَّه لمّا كان الكل راضياً أسنده إليهم وذلك ليغفر قبل أنْ يُعذب.

﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ في تدارك رأيهم ومعارك روتهم. ﴿مِنَ ٱلنَّارِ﴾ الموقدة لإحراقه فكانت عليه برداً وسلاماً. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الإنجاء وذلك الإتجاء ﴿لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ولطائفة يُصدقون لاختصاصهم بالانتفاع بها يدل على أنَّ المعذب بالنار هو الله بطريق الاختيار للإيجاب وعلى إبطال اليأس من رحمة الله وعلى إنجاء المؤمنين منْ نّار جهنم إنَّما هو الله تعالى ونوره إذ نور الإيمان يطفىء حرّ النار ويدفع حرّ النيران كما روي في الحديث: (جز يا مؤمن فإنَّ نورك يطفيء لهبي)[١٩٩] وعلى أنَّه لو كان للأصنام قُرب منَ الله لأحرقه منْ أجلِها وعلى أنَّهم لو كانوا آلهةً لمنعوا الله من إطفاء النّار وتبريدها.

---

١٩٧ أصل المخوطي يئس والصواب ييئس.

١٩٨ يوسف: ٨٧/١٢ .

١٩٩ لم أجده بهذا اللفظ: وإنما أصله من حديث. يَعْلَى بْنِ مُنَبِّه، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «تَقُولُ النَّارُ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: جُزْ يَا مُؤْمِنُ، فَقَدْ أَطْفَأَ نُورُكَ لَهَبِي». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ سُلَيْمُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ عَمَّارٍ، وَهُوَ ضَعِيفٌ. لكتاب: الهيثمي، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧ ، مجمع *الزوائد ومنبع الفوائد*، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر، ١١ ،٢٩٤ رقم الحديث ١٨٤٤٦. وقال

﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم كيف يعجزون الله وغاية ما يتوهم به آلهتكم وليست بآلهة؟! ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم﴾ لنفوسكم. ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ جمع وثن: أي: طفوراً وطلسماً للأرواح ويتعلَّق بها الشياطين وهي وإنْ أفادتكم قوة ليتوادوا بينكمْ ويتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وابتلائكم كما يتَّفق الناس على مذهب فيكون ذلك سببُ نجاتِهم وتصادقهم وأنْ يكونَ مفعولاً ثانياً كقوله: ﴿إتخذ إلهه هواه﴾[٢٠٠] أي: اتخذتم الأوثان بسبب المودة بينكم على تقدير المُضاف واتخذتموها. ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ قريء مودة بالرَّفع وفيه وجهان: أنْ يكونَ خبراً لأنَّ على أن (ما) موصولة، وأنْ يكون خبرُ مبتدأِ محذوفٍ والمعنى: أنَّ الأوثان مودة بينكم أي: مودودة أو بسبب مودة. ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ﴾ تنقطع المودة وتنقلب عداوة ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ التي يرجون فيها نصرهم وشفاعتهم. ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ دفعاً لنسبة الشِّرك إلى نفسه فهذا هو الانقطاع ويأمن بعضُكم بعضا، وهذا هو العذاب كيف والحال أن ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ﴾ بتلك المودة؟ ﴿ٱلنَّارُ﴾ التي لا آخر منها ولا أشرَّ من شرارتها ولا شيء في هذه الحالة أمر بدفعها أو لهبها لأنَّ ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ يخلصونكم منها ولا يصلحون حالكم بها.

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ أي: أوَّل مَنْ آمن بإبراهيم وصدَّق به لوط ابنُ أخيه هاران[٢٠١] حين رأى أنَّ النار لم تحرقه. ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم، ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ﴾ من كوثى وهي منْ سواد

العجلوني في كشف الخفاء: رواه الطبراني في، *الكبير* ،عن يعلى بن منبه رفعه، وفي سنده منصور بن عمار الواعظ ليس بالقوي، ورواه ابن عدي عن يعلى، وقال منكر، ص، ٣١٣ .

٢٠٠ الجاثية: ٢٣/٤٥ .

٢٠١ هاران بن تارخ الذي هو(ازر) أخو إبراهيم (عليه السلام)، وهو الذي بنى مدينة حران وإليه تنسب. أبو الفرج ،جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، *المنتظم في تاريخ الأمم والملوك*، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت ، ١ ،٢٦٢.

الكوفة[٢٠٢] إلى حرّان[٢٠٣] ثمَّ منها إلى فلسطين ومن ثم قيل: إن لكل نبي هجرة ولإبراهيم هجرتان وكان معه في هجرته: لوط وامرأته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين ﴿إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ أي: مكان تيسر فيه عبادة ربي ولا أخافُ فيها على نفسي أو إلى حيث أمرني ربي بالهجرة إليه. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على الكُلِّ لكنْ قدْ لا تظهرُ الغلبة على بعضِ النّاس بمقتضى الحِكمةِ. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الحاكم على العالَم العالِم بحالي الذي لا يأمُرُني إلّا بما هو مصلحتي وصلاحي ومقتضى فلاحي ثمَّ لمّا خرج منْ سوادِ الكوفةِ مع تلك الجماعة إلى حران وفلسطين وترك لوط بسدوم[٢٠٤].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ولداً ونافلةً وحفيداً. ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي ذرية إبراهيم. ﴿ٱلنُّبُوَّةَ﴾ والصُحُف[٢٠٥] والتَّوراة والزَّبور[٢٠٦] والإنجيل[٢٠٧] والفُرقان[٢٠٨]. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ﴾ على هجرته إلينا.

---

٢٠٢ الكُوفَةُ: بالضم: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ويسمّيها قوم خذّ العذراء. الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي،*معجم البلدان* ،دار صادر، بيروت ،ط: الثانية، ١٩٩٥، ٤٩٣،٤ .

٢٠٣ حرّان: ومن الأماكن المشهورة في لواء الرّها مدينة حرّان واسمها باللاتينية القديمة قاره وهي من البلاد السبعة القديمة طولها ٧٢ درجة و٣٠ دقيقة وهي من الإقليم الرابع من الجزيرة وكانت قصبة ديار مضر بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان وهي على طريق الموصل والشامل والروم. وقيل سميت بهاران أخي إبراهيم لأنه أول من بناها فعربت فقيل حران وذكر قوم أنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان وكانت منازل الصابئة وهم الحرانيون. الغزي، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي، *نهر الذهب في تاريخ حلب*، دار القلم، حلب، ٤٢٧،١ .

٢٠٤ - سدوم: بفتح أوّله: فعول من السدم، وهو الندم مع غم مدينة من مدائن لوط، كان قاضيها يقال له سدوم، ويضرب به المثل، ويقال: أجور من قاضى سدوم، وأجور من سدوم ٠ البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ)، *معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع*، عالم الكتب، بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٣ هـ، ٧٢٩،٣ .

٢٠٥ يقول الطبري: يعني بذلك: صحفَ إبراهيم وموسى. الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، *جامع البيان في تأويل القرآن* ،المحقق: أحمد محمد شاكر، ط: الأولى، ٥١٤،١١ . وقال اللواحدي: يعني: ما أنزل الله عليهما من الكتب . الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي

﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بعد انقطاع النُّبوة والشَّريعة بانقطاع التَّكليف، لا مُطلقاً بل التَّكليف الذي كان من مقتضى الدنيا ولوازمها ﴿لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: أولى الأعمال الصّالحة لا يشاهد الحق بتجلياته الأربعة الإفرادية الآثارية والأفعالية والأسمائية والذاتية والصورة الجمعية، والهيئة المعية، الأصلية، والفرعية، والصورة النَّوعية، يشير إلى أنَّ للإنسان بلْ لتمام الأعيانِ في الآخرة إكتاباً آخرةً وبالاً دنياً وبالإنقضاء طوراً وانقطاع دورها فيختفي حكمها فيصير خفياً والآخرة في حكم الدُنيا ظاهراً محسوساً أُعتور فيه أحكام الإكتساب ويداول على أنامها أعلا التَّكلُّم والإحتطاب وتداور أطوار الخِطابِ والتكلُّم إلى أدوار الإغتياد قول مدار الضَّرورة إلى منار الإكتساب وبالعكس، ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾[٢٠٩]، والإلزام العجز، والتعطيل، وانقطاع اقتضاء الاسماء الإلهية، وارتفاع ارتضاء الأنوار الرُّبوبية،

النيسابوري الشافعي، *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت ،ط: الأولى، ١٤١٥هـ ، ١١٩٥،١.

٢٠٦ والزبور: بضم الزاي حيث كان، بمعنى: جمع زبور، أي آتينا داود كتبا وصحفا مزبورة، أي مكتوبة، وقرأ الآخرون بفتح الزاي وهو اسم الكتاب الذي أنزل الله تعالى على داود عليه السلام، وكان فيه التحميد والتمجيد والثناء على الله عزوجل، وكان داود يبرز إلى البرية فيقوم ويقرأ الزبور ويقوم معه علماء بني إسرائيل، فيقومون خلفه ويقوم الناس خلف العلماء، ويقوم الجن خلف الناس، الأعظم فالأعظم، والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب التي في الجبال فيقمن بين يديه تعجبا لما يسمعن منه، والطير ترفرف على رؤوسهم، فلما قارف الذنب لم ير ذلك، ونفروا من حوله، فقيل له ذاك أنس الطاعة، وهذه وحشة المعصية. البغوي، أبو محمد، محيي السنة الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي. *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت ، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ،١،٧٣٣ .

٢٠٧ الإنجل : كلمة معربة من اليونانية (εὐαγγέλιον، ايوانجيليون) وتعني البشارة السارة أو البشرى السارة أو بشرى الخلاص. تعني لدى المسيحيين بالمفهوم الروحي البشارة بمجيء المسيح وتقديم نفسه ذبيحة فداء على الصليب نيابة عن الجنس البشري ثم دفنه في القبر وقيامته في اليوم الثالث كما جاء في كتب النبوات في العهد القديم، يوحنا بن زبدى ، رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس، *الإصحاح* ، ص، ١٥ .

٢٠٨ فرقان: فإن قلت ما المراد بالفرقان قلت جنس الكتب السماوية لأن كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل أو الكتب التي ذكرها كأنه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة وأنزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه أو من هذه الكتب أو أراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال " وآتينا داود وزبورا " النساء ١٦٣، وهو ظاهر، أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشانه وإظهارا لفضله . *الزمخشري، الكشّاف*، ٣٦٤،١ .

٢٠٩ آل عمران: ١٤٠/٣.

وأسرار هذه الأطوار لا تكادُ تنحصرُ وأكثر أهل الفنون بل أهل الحق يمتنعون عن قبول هذا النَّوع من أسرار الملكوت والذي أمر الله الكليم باستصحاب حضرة التَّحضر ليتعلَّم ما علَّمه اللهُ من لدنه وهي حسبة من حسبات هذه الأسرار وخيرة من خيرات هذه الأدوار قد لوحنا لى طرف من هذه الأطوار في صدر الكتاب وفي بعض من ساير مواضعه فليرجع إليه وزمرة حجة الإسلام[٢١٠] في بعض كُتبهِ وفي الإحياء كثيراً إلى أنَّ تكرار اسمِ الرَّحمن والرَّحيم في فاتحة الكتاب إشارة إلى ما ذكر.

قال النبي عليه السلام: (إنَّ مِنَ العلومِ كهيئةِ المكنون لو نطق بها لا ينكرها إلّا العزة بالله أهل ولو ناطق على إبراهيم وعلى سأنطق عليه)[٢١١].

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ﴾ بتاء التأكيد للإستفهام الإنكاري. ﴿لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ﴾ جملة مستأنفة مقررة لقُبح تلك الفاحشة التي ما فعل به أحد مِنَ السُلطان.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ المخلوقين المفاعيلة فيغيِّرون خلق الله ووضع ويمنعون السبيل النسل والتناسل أو الولاية كما اشتهر أن من أُوتي عجاية سقط من مرتبة الولاية وهي التقرُّب إلى الله وشهود تجلياته.

قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: من أُوتي عجاية قلَّ حياؤه ، فنقص إيمانه ، لقوله:

ع م: (الحياء من الإيمان)[٢١٢]. الحمد لله الذي قد عصمني من ذلك قبح والفاحشة.

﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ أي: مجالس الجماع عن إبن عباس المنكر هو القذف والحذف بالرمي باللواطة[٢١٣].

---

٢١٠ هو امام الغَزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ = ١٠٥٨ ـ ١١١١ م)، محمد بن محمد بن محمد الغَزَالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتى مصنف. مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس،بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غَزَالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، *الأعلام*، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر ، ٢٢،٧.

٢١١ السيوطى: جلال الدين السيوطي. *جامع الأحاديث* ،ويشتمل على جمع الجوامع للإمام السيوطى، ٣٠٨،٩ ،رقم الحديث٨٤٨١ .

قيل: هو المجاهرة في ناديهم بذلك العمل وكل معصية فإظهارها أقبح من فعلها ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس : ناد إلّا مادام فيه أهله فإذا قاموا عنه لم يبق نادياً[٢١٤] ، وذلك لأنَّ هذا الاسم مأخوذ من النِّداء فما دام فيه أهل النداء صح هذا الإسم. ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ عند مبالغة لوط في تقية والزجر على أهله بالإنذار بالوعيد والدعوة إلى طريق الحق. ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ وحلول عقابه. ﴿إِن كُنتَ﴾ في الإنذار والوعيد. ﴿مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيما قلت وادعيت.

﴿قَالَ﴾ لوط لدى الاشتداد في المعارضة والاستمداد بالمنافقة والمجاهرة في الجهاد والمجاهدة. ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ بإظهار فُحشها واشهار قُبحها ومنعها. ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ﴾ فينوه في إيراد البرهان العقلي وأفراد التبيان النقلي في الرد عليهم وسد الحُكم الإلهي بين يديهم.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾ بعثناهم لنصرة لوط بمقتضى دعوته. ﴿إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ أي: بالبشارة بالولد والنافلة وهما إسحاق ويعقوب. ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ الإضافة نقيظة للتَّخفيف لا للتَّعريف ، والقرية هي سدوم التي قيل : فيها أُجور من قاضي سدوم لأنَّ المخاصمين على الاستقبال.[٢١٥]

---

٢١٢ *البخاري*، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ١،١٧ . *ومسلم*، باب عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ١،٦٣. *أبي داود* ،الحياء ٤،٢٥٢ . سنن إبن ماجه، باب الحلم ٢،١٤٠٠ . سنن الترمذي، باب ماجاء في زيارة الإخوان ٤،٣٦٥.

٢١٣ تعريف اللواطة: لغة (ل و ط) استلاطه ألزقه بنفسه. *الصحاح*، ص، ٢٥٣ .

وشرعا: فَهُوَ إِتْيَانُ الذَّكَرِ الذَّكَرَ، وَهُوَ مِنْ أَغْلَظِ الْفَوَاحِشِ تَحْرِيمًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ إِلَى قَوْلِهِ : بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ)الأعراف(٨٠-٨١). الماوردي، أبو الحسن، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، *الحاوى الكبير* ، دار الفكر - بيروت، ١٣،٤٧٤ .

٢١٤ *الزمخشري*، *الكشّاف*، ٣،٤٥٦ .

٢١٥ الزمخشري، *الكشّاف*، ٣،٤٥٢.

﴿إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ تعليل لإهلاكهم أي: بإصرارهم وتماديهم في الظُّلم والتَّجاوز في الحُكم إلى الإفراط[٢١٦]، والتفريط بمهاجرتهم النساء، ومباشرتهم الرِّجال فظلمهم كفرهم وأنواع معاصيهم.

﴿قَالَ﴾ إبراهيم رداً على الرُّسل حيث قالوا: ﴿إنا مهلكوا هذه القرية﴾؛ ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطٗا﴾ وهو مؤمن، ونبي والنبي معصوم حيث كان يعصمه الله لشرف مقدمه أهل ذلك المكان عن الإهلاك وموبقات الزَّمان، وقد أخبر الله عن وحيه له ودعوته إياهم إلى الله. ﴿قَالُواْ﴾ أي: الرُّسل. ﴿نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ من لوط وغيره من المؤمنين ولذا أبرموا الإعلام وألزموا الإلهام بقوله: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ﴾ تسليم لقوله تع ادعاء مزيد العلم به وأنَّهم كانوا عنه والجواب عنه تخصيص الأهل بمن عداه وأهله، أو بإفشاء الإهلاك بإخراجهم عنها. ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ الباقين في العذاب والقرية.

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا﴾ أي: لما ظهرت جيئت رسلنا لوطاً. ﴿سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ مجهول ساء، أي: ظهر فيه المساءة والسوء وسبهم مخافة أن يقصدهم وأنَّ صلة لتأكيد الفعلين وإتصالهما. ﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾ أي: ضاق شأنهم وتدبيرهم ذرعه وطاقته وقد جعلت العرب ضيق الزرع عبارة عن بعد الطاقة كما قال: رحب الزراع بكذا إذا كان مطيعاً له، والأصل فيه الرجل إذ طال ذراعه قال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلاً في الفجر والقدرة. ﴿وَقَالُواْ﴾ الرُّسل إذا رأوا في لوط أثر الضجرة وضرر المساءة.

﴿لَا تَخَفۡ﴾ على نفسك. ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ﴾ على أهلك. ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ ومخلصوك. ﴿وَأَهۡلَكَ﴾ مع أهلك. ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾ ومنكوحتك وزوجتك لأنَّها لسوء فعالها وقبح خصالها.

---

٢١٦ الافراط والتفريط : قال الحرالي: إفراط الإعتداء في حدود الأشياء ومقاديرها. *التعاريف*، ٢٢٧،١ .

﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ إما لاتهام لوط بشأن إمرأته أو لشدة محبته لها ﴿لعل الله يُحدث بعد ذلك أمرا﴾[٢١٧].

﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ التي مرَّ ذكرها. ﴿رِجْزًا﴾ هواناً وغلاباً وهلاكاً من قولهم : إرتجز وارتجس إذا اضطرب؛ لما يلحق العذاب من القلق والاضطراب مبتدأ ذلك الرجز. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ أي: بسبب كونهم فاسقين أو بسبب فسقهم.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ﴾ أي: من آثار القرية وآبارها، ﴿ءَايَةًۢ﴾ وأمارة وعلامة دالة ﴿بَيِّنَةً﴾ ظاهرة بنفسها مظهرة بقربها أي حكايتها الفانية آثارها على صحائف أوراق الأزمنة وآثار الديار الحرثية أو الحجارة المصورة. ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يستعملون عقولهم في الاستبصار وحصول الاستخبار أو متعلق بتركنا آية.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ أي: بعثنا إلى مدين قد مرَّ الكلام فيه من حيث اللَّفظ والمعنى. ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ فإذا جاءهم ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ عبادة خالصة ﴿وَٱرْجُوا۟﴾ ثواب ﴿ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ وما تختص به من السعادة الأُخروية والكرامة الدينية وافعلوا ما ترجون به ثوابه وجزاءه، فأقيموا السبب. أو أمروا بالرَّجاء والمراد اشتراط يسوغه من الإيمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على إرادة الشَّرط أو هو من الرَّجاء بمعنى الخوف. ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لا تسعوا على تقدير القول حال كونهم. ﴿مُفْسِدِينَ﴾ أي: مظهر الفساد على وجه الأرض.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي: كذب أهل مدين[٢١٨] شعيباً. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ والزلزلة الشديدة أو الصيحة المهلكة وهي صيحة جبرائيل إذ القلوب رجفت لها وتحركت واضطربت.

---

٢١٧ الطلاق: ٦٥/١.

﴿فَأَصۡبَحُواْ﴾ وباتوا وظلوا ﴿فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ هالكين أو باركين المرتفعين.

﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ﴾ أي: أهلكنا بقرينة (جاثمين). ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ﴾ وظهر. ﴿لَكُم﴾ ما وصفه لكم من إهلاكهم، ﴿مِّن﴾ جهة، ﴿مَّسَٰكِنِهِمۡ﴾ إذا نظرتم إليها نظر الاعتبار عند مروركم بها وكان أهل مكة يمرون عليها في أسفارهم فيبصروا بها، فيتبصرون ويعتبرون لأنَّهم عقلا ممكنون من النظر الصحيح والافتراك الصريح لكنَّهم لم يفعلوا لغلبة الشقاوة وتراحمة الغباوة عليهم. ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ القبيحة وأفعالهم السَّيئة الوقيحة وهي الكفر ،والشرك ،والإشراك والمعاصي. ﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ النبوي الذي بيّنه الله بلسانه لعباده في أكثر بلاده. ﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ متمكنين للنظر لكنهم تركوا في مقام الجهالة بركوا وسبيل العناد والعنت سلكوا.

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ﴾ عطف على عاد أو ثمودا. ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ واستنكروا عناداً وتعنُّتاً. ﴿وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ﴾ ثابتين على أمر الله ولا هم قائمين بحكم.

﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ وعاقبنا بإثمه ومعصيته. ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ﴾ أخذنا.

---

٢١٨ أهل مدين: قوما عربا يسكنون مدينتهم مدين التي هي قرية من أرض معان من أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز قريبا من بحيرة قوم لوط. وكانوا بعدهم بمدة قريبة. ومدين قبيلة عرفت بهم القبيلة وهم من بني مدين بن مديان بن إبرهيم الخليل وشعيب نبيهم هو ابن ميكيل بن يشجن ذكره ابن إسحاق قال ويقال له بالسريانية بنزون وفي هذا نظر ويقال شعيب بن يشخر بن لاوي بن يعقوب ويقال شعيب بن نويب بن عيفا بن مدين بن إبراهيم ويقال شعيب بن ضيفور بن عيفا بن ثابت بن مدين بن إبراهيم وقيل غير ذلك في نسبه. قال ابن عساكر ويقال جدته ويقال أمه بنت لوط. وكان ممن آمن بإبراهيم وهاجر معه ودخل معه دمشق وعن وهب ابن منبه أنه قال شعيب وملغم ممن آمن بإبراهيم يوم أحرق بالنار وهاجرا معه إلى الشام فزوجهما بنتي لوط عليه السلام. وقد ذكر الحافظ بن عساكر في تاريخه عن ابن عباس أن شعيبا عليه السلام كان بعد يوسف عليه السلام. وعن وهب بن منبه أن شعيبا عليه السلام مات بمكة ومن معه من المؤمنين وقبورهم غربي الكعبة بين ،دار الندوة ودار بني سهم، *البداية والنهاية* ، ١، ٢١٢ .

﴿أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبًا﴾ وريحاً عاصفاً فيها حصباء أو ملكاً وما هم كقوم لوط. ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ كثمود. ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا﴾ وأغرقنا. ﴿بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ كقارون وأشياعه. ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَا﴾ بالماء الطاغي كقوم نوح الباغي وفرعون وقومه الباغي. ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ أي ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم إذ ليس ذلك من عادته.

﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بالتعريض للعذاب وتفويتهم الأقدار التي هي مدار الأعمال الإرادية ومنار الأفعال الاختيارية وإن كان التفويت أيضاً منه.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتًا﴾ فيما نسجه من الوهن والضعف.

﴿وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ﴾ التي يبنيها الحيوانات، ﴿لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ لعلموا أنَّ هذا الذي ذكرنا مثلهم أو أنَّ دينهم أهوَن من ذلك (أو، أن، لو) للتمني ويجوز أن يكون المراد ببيت العنكبوت من حيث أنه في غاية الضعف والنحافة، وبينهم يشوش من أدنى سبب لا من حيث أنه مشتمل على فنون الحكمة العملية والعلمية من تساوي أضلاع أشكاله ، المسدسة ، والمربعة ، والمثلثة ، والمخمسة والمسدسة ، والمسبعة ، والمثمنة ، وزواياها القائمة والحادة والمنفرجة وغير ذلك من القوانين الهندسية والأعمال التجارية والأفعال المساحية فإنَّها توجب البقاء والثَّبات إذ النسبة في المركبات توجب حفظها وبقاءها، وكلَّما كانت النسبة أتم وأقوى وأعم كان المركب أحكم وبقاؤه أطول وثباته أكمل، ألا ترى أنَّ نسبة العناصر الأربعة في المركبات لما كانت في غاية العدالة والمساواة كان الجسم باقياً ، مساوياً ، دائماً، كالذهب، والفضة ، والياقوتة ،والفيروخ ، وغير ذلك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ﴾ على إضمار القول أي: قل يا محمد للكفرة أنَّ الله يعلم كل ما يدعون ويعقلون، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ القوي الغالب القاهر على الأعداء والخصماء، ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ العالم بالأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر أزلاً وأبداً.

﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَالُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ أي نُبينها لأرباب العقول الكاملة والنفوس الفاضلة. ﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ﴾ ويُدركها بالعقل الصريح . ﴿إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ الذين يرون الأشياء من الحق على ما ينبغي. قال عليه السلام (العالم من عقل عن الله فعل طاعته واجتنب سخطه)[٢١٩] . ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي الموجودات العالية عن الإدراك الحسي. ﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾ وهي ما يدرك بالحواس الظاهرة والباطنة تكيفية الكل والهيئة والصور. ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ بالعدل والقسط والحكمة على ما قضى عليه في سابق علمه وسابق حكمه وقضائه أي: مهما غير قاصدية استكمال ذاته وصفاته وإفاضة الخيرات لنفسه وإضافة الحسنات إلى ذاته عامداً لتكميل مقاصده وتعليل مراصده. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الخلق ، والإيجاد. ﴿لَأٓيَةٗ﴾ أي: ليظهر دلالات، وليبهر علامات دالة على ذاته وكمالات آياته وصفاته. ﴿لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وذواتهم وجلب المنافع لديهم.

﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ﴾ وأنزل عليك، ﴿مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ وما فيه من الآيات ومقاصد المحكمات لقربا إلى الله بقرابة ومحيطاً لنا بالمواظبة على تلاوته والمداومة على قرائنه فإنَّ القارئ المتأمل ، والتالي المتحمل لكتاب الله قد تنكشف له بالتكرار مالم ينكشف له أول ما يقرع صماخه. ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وداوم ولازم عليها. ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ تعليل للحكم السابق وتقرير له. ﴿تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ والمعاصي الظاهرة والذنوب العامة؛ سيَّما في الوقت الذي إشتغل فيه بالصلاة هذا بحسب الاقتضاء والخاصية ولو بعد حين؛ فإنَّ من اشتغل بالصَّلاة لراسف آخراً به وحضره وأعضائه وبالتأمل في مقامي ما قواه في صلاة واعتقد أنَّ الله حاضر عنده ناظراً إليه وبما صدر منه من الأعمال، وإلى ما توجه بقلبه بكليته لديه ويكون في هذه

---

٢١٩ ماخوذ من هذا الحديث النبوي :عن جابر بن عبد الله ، أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية: " {وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون} [العنكبوت: ٤٣] قال: «العالم الذي عقل عن الله عز وجل فعمل بطاعته واجتنب سخطه» . ابن أبي أسامة، أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخطيب المعروف بابن أبي أسامة، *بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث*، المنتقي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي ،المحقق: حسين أحمد صالح الباكري، ٢ ،٨١٢، رقم الحديث ٨٣٧ . دروزة محمد عزت، *وتفسير الحديث*، ، دار إحياء الكتب العربية– القاهرة، ط : ١٣٨٣ هـ ، ١٠،٩٥ .

الحالة في الإحسان فلا ارتياب أنَّ المُصلي في هذا الوقت محفوظ وفي سائر الأوقات يتركه للاستصحاب بالصَّلاة وبغرار ما يلاقيها وسراً بينه في ظاهره وباطنه يكون أيضاً محفوظاً.

روي[٢٢٠] أنَّ فتى منَ الأنصار كان يُصلي مع النبي ع م ولا يدعُ شيئاً من الفواحش إلا إرتكبه فوصف له فقال: إنَّ صلاته نفهاه فلم يلبث أن تاب. ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ أي: الزنا قد تقدم الكلام في ما سبق فيهما.

﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ تعليل للنهي يعني أن ذكرالله الذي تلبس به المصلي في صلاته وعرج به عن حضيض دركات الغفلة وناجى به ربه أكبر من أن يهمله المصلي على ما كان عليه قبل الاشتغال بها، ولا يحذيه إلى جانب قدسه ولا يجلسه في مقعد صدقه على مقام أنسه. قال النبي عليه السلام: (الصلاة معراج المُؤمن)[٢٢١]. المصلي يناجي ربَّه هذا هو عين النهى ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ في الصلاة من الأفعال والأعمال بالقصد والتأمُّل في معانيه والتوحيد بالخلاص عن الوسواس. ربَّما توارد من الله من كمال الإخلاص بفوز الاختصاص به وبما يخطر ببالكم من المعاصي وبقصد السَّيئات الأخذ بالنَّواصي والأقدام فيجازيكم أحسن المجازات.

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ولا تناظروهم ولا تخاصموهم. ﴿إِلَّا بِٱلَّتِى﴾ أي: الخصلة والمناظرة التي ﴿هِىَ﴾ عند الكفار ﴿أَحْسَنُ﴾ وألين وأبين تعارضوا وقاتِلوا الخشونة باللين، والغضب بالكظم، والانتقام بالعفو، وغير ذلك من المفهومات المقابلة. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ وجاوزو الحدَّ وأفرط في المخاصمة والرَّد، فإنَّ التنزه في أمثال هذا المقام عجز والظلام وهو أردء وأردى من الظُّلم والتغلُّب ليقظان الحمية والغيرة في الدِّين من كمال الإيمان.

---

٢٢٠ رواه البيهقي في شعب الايمان وقال أخبرنا أبو طاهر الفقيه أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص الزاهد ثنا إبراهيم بن عبد الله أنا وكيع عن الأعمش قال: أرى أبا صالح ذكره عن أبي هريرة قالوا: يا رسول الله إن فلانا يصلي من الليل فإذا أصبح سرق قال: ستنهاه ما يقول . البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، *شعب الإيمان*، تح: محمد السعيد بسيوني زغلول، رقم الحديث ٣٢٦١.

٢٢١ الذي يظهر لي إلى الآن أن هذا ليس بحديث ؛ فلم أجد أحدا - فيما بحثت - ينسبه للنبي - صلى الله عليه وسلم - سوى النيسابوري في تفسيره : النيسابوري، *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، ١١٤،١؛ والسيوطي في، *شرح سنن إبن ماجة*، ١١٣،١. وقال الألوسي في "*روح المعاني* " : ولهذا ذكروا أن الصلاة معراج المؤمن ، ١٦٨،١٢.. وقال المناوي في "*فيض القدير* " : وهي معراج المؤمن ، ١ ،٤٩٧ .

قال النبي ع م: (الغيرة من الرجال إيمان ومن النساء كفر)[٢٢٢]. وتنزلوا عن مطايا العصبة ومراكب القوة الغضبة ﴿وَقُولُوٓاْ﴾ في هذا المقام. ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ وهو القرآن، ﴿وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ وهو التوارة، والزَّبور، والإنجيل، والصحف، المنشورة لأنَّ الكل من الله عزَّوجل الإيمان به بيان لما أجمل لأنَّه من المجادلة التي هي أحسن. قال النبي ع م: (لا تُصدقوا أهل الكتاب ولا تُكذبوهم وقولوا آمنا بالله، وبكتبه، ورسله ، فإن قالوا حقاً لم تكذبوه)[٢٢٣]. ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ﴾ وهو رب العالمين وخالقهم وحافظهم ورازقهم. ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ نِعم البيان، بعد الإجمال، والإرشاد بعد الإبهام، والتعليم، والإعلام بعد الإلهام، مسلمون مطيعون ومنقادون له خاصة لا يتجاوز انقيادنا إلى غيره.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل الإنزال السابق. ﴿أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾الفرقان. ﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ وهم عبدالله بن سلام وأضرابه أو تقدم عهد الرُّسل صلعم من أهل الكتاب.

﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦ﴾ بالقرآن. ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ وكتابنا مع كمال سطوع أنوار علاماتها الدالة على حقيته. ﴿إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ المتوغلون في الكفر فإنَّ جرمهم يمنعهم عن التأمل فيما لا يفيد لهم لكونها معجزة بالإضافة إلى الرسول صلعم كما أشار إليه بقوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ﴾ أي من قبل نزول القرآن. ﴿مِن كِتَٰبٖ﴾ نزل على غيرك من الأنبياء فلا تخطه بيمينك، بيان المواقع فإنَّه في الأغلب لا يكتب ولا يعمل ولا يرقم. ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ **بيمنك**﴾ إلّا باليمين فذكره إنَّما هو لقصد التيمن، والتبرك، وظهور هذا الكتاب الجامع لأنواع العلوم، الحكيمة، الإلهية، والكونية، وأصناف المعارف الحقيقية، والأحكام الشرعية،

---

٢٢٢ لم أقف عليه.

٢٢٣ *النسائي*، سورة الروم ٦،٤٢٦. *سنن البيهقي*، باب ماجاء قول الله عزوجل يأيهاالذين آمنوا شهادة بينكم ١٠،١٦٣.

وإظهار الحقائق الإلهية الخفية، والأسرار الخبية الغيبية، من رجل لا يعلم الخط ولا مارس الكتابة ولا دارس العلماء ومع ذلك تظهر منه أنواع خرق العادات[٢٢٤] وأصناف المعجزات التي لا تظهر إلا ممَّن أيّده الله بنور قدسه وبظهور آيات أنسه. ﴿إِذَا﴾ أي لو كان شيء من ذلك الخط والكتابة والتلاوة.

﴿لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ وشكّوا في أنه نبي أنزل عليه الكتاب وقالوا أن الذي نجده في كتبنا أي لا خطاط وكاتب ولا قارىء أو لرتاب مشركوا مكة. وقالوا: تعلّم من غيره أو كتبه بيده وإنَّما سمّاهم مبطلين لكفرهم أو لارتيابهم بابتغاء وجه من وجوه الإعجاز المتكاثرة، أو لأنهم لما وجدوا نعتك على خلاف ما في كتبهم. فيكون أبطالهم بإعتبار الواقع دون العدد المقدر لأنَّ سائر الأنبياء لم يكونوا أُميين. ووجب الإيمان بهم وبما جاءوا به. لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات. فهب أنه قارىء وكاتب فما لهم لم يُؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا منه بموسى وعيسى على أنهما المنزلين ليسا بمعجزين وهذا المنزل معجز فإذن هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو أُمي والمبطلون لم يؤمنوا به وهو عن أُمي.

﴿بَلْ هُوَ﴾ أي القرآن. ﴿ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ﴾ ودلالات واضحات محفوظة. ﴿فِى صُدُورِ﴾ القُراء وقلوب الحُفاظ المواظبين على تلاوته. ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ لما فيه من جميع العلوم محيطون به. ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ الظالمون.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ هلاّ أُنزل عليه ؟ أي: لا ينزل وما أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ ناقة صالح وعصموسى ومائدة عيسى. ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ينزلها كما يشاء على من يشاء وكيف يشاء.

﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ليس من شأني إلا الإنذار.

---

٢٢٤ خرق العادة :قال الفيومي :الخرق الثقب في الحائط وغيره. العادة. سميت بذلك لأن صاحبها يعاودها أي يرجع إليها مرة بعد أخرى و(عودته)كذا(فاعتاده)و(تعوده)أي صيرته له (عادة) ، الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، ٤٣٦،٢ . *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي* ، ٦٧،١ .

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ في إلزام الحجة عليهم آية واحدة كما أراد الله. وليس لي أن أتخيَّر وأُكلف على الله أن أنزل علي هذه الآية دون آية أُخرى حتى أكون متحاكماً. ﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بدوام دلالته عليه. متحدين به ومتعارضين له فلا يزال معهم باتت بهم لا يضمحل بخلاف سائر الآيات كشق القمر وتكلم الصبي ومشي الأشجار معه وغير ذلك. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الإنزال وبعثة الرَّسل والإرسال. ﴿لَرَحْمَةً﴾ عميمةً ونِعمةً عظيمةً، ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ وتذكرة. ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي لطائفة همتهم الإيمان، ونيتهم وأُمنيتهم إتقان الإيقان وقبول الأحكام والأوغان.

قيل: إنَّ ناساً من المسلمين أتوا رسول الله صلعم بكتب كتب عليها بعض ما يقول اليهود فلمّا نظر إليها ألقاها وقال: كفى بها حماقة وضلالة قوم يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم فنزلت[٢٢٥].

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الأنوار الثابتة والأرواح المبينة والملائكة المقرر عليهم تدبير أمر السماء والأرض والأرزاق النازلة والأسرار الكائنة والكواكب الثابتة والسيارة المنزلة منها إلى الأرض وخباها قد فوض إبرازها إلى أوضاع الكواكب ونسبة بعضها إلى بعض والاتصالات الكلية والجزئية بينها ليخرج من أكنة الأرض وأمكنة أجزائها الصور المعدنية والهيئات النباتية والأشكال الحيوانية والصافات[٢٢٦] الإنسانية والأشخاص. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بغيرالله الذي هو خالق السماوات والأرض

---

٢٢٥ دروزة محمد عزت ، *التفسير الحديث* ، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ط : ١٣٨٣هـ، ٥ ،٤٩٦ .

٢٢٦ الصافات: الملائكة مصطفون في السماء يسبحون الله تعالى ومثله:{وإنا لنحن الصافون}(الصافات:١٦٦) . قال : وذلك لأن لهم مراتب يقومون عليها صفوفا كما يصطف المصلون . وقول الأعرابية لبنيها : إذا لقيتم العدو فدغرى لا صفا ، أي لا تصفوا صفا. والصف: موقف الصفوف والمصف: الموقف في الحرب، والجمع المصاف، وصافوهم القتال. والصف في القرآن : المصلى وهو من ذلك لأن الناس يصطفون هناك. قال الله تعالى: {ثم ائتوا صفا}(طه:٦٤) مصطفين فهو على هذا حال . ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، سنة الوفاة ٧١١، *لسان العرب*، دار صادر، مكان النشر، بيروت ، ١٩٤،٩.

ومدبرها والعالم بها وبما فيها ملكاً كان أو كوكباً وفلكاً أو أشخاصاً إنسانية. ﴿وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ﴾ بسبب الإيمان بالباطل. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ المغبونون في صفقتهم ومتاعهم حيث اشتروا الكفر بالايمان والضَّلالة بهداية الإيقان. إلا أنَّ الكلام ورده ورد الإنصاف وتنزل المعاقبة بآرائهم الفاسد واعتقادهم الكاسد ﴿وإنا أو إياكم لعلى هُدىً أو في ضلال مبين﴾[٢٢٧] .

روي أنَّ كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا: يا محمد من يشهد لك بأنَّك رسول الله فنزلت ؟ [٢٢٨].

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ حيث قالوا: ﴿وأمطرعلينا حجارةً منَ السَّماء أو ائتنا بعذاب الله إن كُنت منَ الصادقين﴾.[٢٢٩] ﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ في كُل أمر كائنٍ وشيءٍ نازلٍ مائزٍ بأنَّ الله عزوجل قد قدر لكل فعلٍ وأثرٍ وعملٍ وقتاً معيناً وميقاتاً مبيناً فإذا جاء ذلك الوقت وجب ظهور ذلك الأمر ولم يتخلف عنه لأنَّ الحكيم المطلق الذي هو الفاعل المختار أفعاله وأعماله مقنعة ومضبوطة ببرهان قالوا: لم يظهر برهان أثر وعمل وفعل وأمر ولم يقارن وقت المعين لم يظهر ذلك الأمر والفعل والأثر، ولذا تأخَّر العذاب لعدم مجيء وقته فلو لم يكن كذلك ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ بغتةً دفعةً واحدةً بلا سبق إنذار وسوق اضطرار وسبق تخويفٍ وإشعارٍ. ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وقوعه ووقت نزول العذاب وزمان حلول العقاب وإنَّما عجَّل العذاب استهزاءً وتكذيباً. والنضر بن الحارث[٢٣٠] هو الذي قال: ﴿اللهم أمطر علينا حجارةً منَ السماء﴾[٢٣١] كما قال أصحابُ الأيكة: ﴿فأسقِط علينا كسفاً﴾[٢٣٢].

---

٢٢٧ سبأ: ٢٤/٣٤ .

٢٢٨ الخطيب الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى:٩٧٧هـ)، *السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير*، مطبعة بولاق(الأميرية)القاهرة،عام النشر:١٢٨٥هـ،٣،١٤٧.

[٢٢٩] الأنفال : ٨ ، ٣٢.

٢٣٠ *المستدرك على الصحيحين*، ٢،٥٤٥ ، رقم الحديث ٣٨٥٤ .

٢٣١ الأنفال: ٨/٣٢ .

٢٣٢ الشعراء: ٢٦/١٨٧ .

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ في الدنيا وهم لا يعلمون فإنَّ كلَّ أحدٍ في الدنيا إمّا في الجنة أو في النار؛ إلّا أنَّه لا علم لهم فإذا جاءت الآخرة ظهرت الأحوال على ماهية[٢٣٣] للكل إلّا أنَّ أهل الحق قد شاهدوا مقامهم في الجنة حتى أنهم إذا ماتوا ماتوا في الجنة كما قال عزوجل: ﴿إن المتقين في جنات وعيون﴾ إلى قوله: ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأُولى﴾ الآية[٢٣٤]، ما من عبدٍ إلّا وله بيتان بيت في الجنَّة وبيت في النار.

﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ أي: يحيطهم الجلالية عدمية الضمنية كل الأعيان[٢٣٥] الوجودية النورية الصريحة والأكوان الحقيقة العدمية الضمنية.[٢٣٦]

---

٢٣٣ الماهية: ماهية الشيء كنهه وحقيقته أخذت من النسبة إلى ما هو أوما هي. *المعجم الوسيط* ، ٨٩٢،٢ .

٢٣٤ الدخان: ٥٦/٤٤ .

٢٣٥ عين: الشيء نفسه ومنه يقال أخذت مالي بعينه والمعنى أخذت عين مالي والعين ما ضرب من الدنانير وقد يقال لغير المضروب عين أيضا . *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير* ، ٤٤٠،٢ .

([٢٣٦]) وأما الباقي الآبات غير الموجدة في المخطوطة التي بين يدينا، وغير الموجودة أيضاً في البالقي النسخات.

٣ . سورة الروم

﴿لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ خاضعون ظاهراً وباطناً صريحاً وضمناً[٢٣٧].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ ويخرجه وينشئوه من الأرض القابلية والعرض الاستعدادية في الأدوار النورية الجمالية الصريحة والأكوار الظلية الضمنية.﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ على مقتضى سلطان جلاله الذي كان اقتضاؤه ضمناً فإنَّ المقتضى للإعادة هو الذات بواسطة وصف الجلال سواءً آناً فآناً، وهي الإعادة الجُزئية أو بعد المدة المعينة المدبرة من الأدوار والأكوار الإفرادية أو الجمعية وجمعية الجمعية. ﴿وَهُوَ﴾أي: العود والإعادة. ﴿أَهْوَنُ﴾ وأيسر وأسهل لوجود المادة[٢٣٨] القابلة وهي القابليات والاستعدادات القربية والبعيدة بخلاف الإبداء والإيجاد والتكوين والإنشاء.﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: المراتب العالية والسافلة أو الأدوار النورية والأكوار الظلية وما فيها من الأعيان الجودية والأكوان العدمية متطابقة والأعيان التي فيها متماثلة وأمثال متوافقة في الأطوار. ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب والقوي القاهر. لا يمنعه من الاقتضاء أمر ولا يشغله شأنٌ عن شأنٍ. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ العليم بأحوال الكائنات الحاكم على أطوار المكونات يجري الأُمور على مقتضى حكمته ومرتضى مشيئته وإرادته وقدرته.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا﴾ وبين قصة وحكاية وأُموراً جاريةً. ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ منتزعة من أحوالها المتواردة وأطوارها المتعاقبة عليها وهي أقرب الأُمور إليكم وأنسب مقتضى الدهور لكم فيتعرفون بها ما غاب عنكم ونصبت عليكم. ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن

---

[٢٣٧] وايضا لا توجد في المخطوطة بداية سورة الروم.

٢٣٨ المادَّة: ما يكون به الشيء موجودا بالقوة. معجم *مقاليد العلوم*، ١٣١،١.

شُرَكَآءَ﴾ من الأُولى للابتداء أي: أخذ قصة وحكاية وانتزعها من أقرب شيءٍ ثبت منكم وهي أنفسكم، والثانية للتبعيض، والثالثة صلة التأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي، فمعناه هل ترضون لأنفسكم أُموراً وأحوالاً ؟! والحال أن عبيدكم وأموالكم أمثالكم كبشر وعبيد كعبة فيشارككم في البشرية والأحوال العبيدية فلا يتفضلون ولا يرجحون أنفسكم على أنفسهم فيكلفهم بما لا وسع لهم وبما هو خارج عن طاقتهم وقدرتهم واستطاعتهم فهم يشاركونكم في الأموال وتوارد الأحوال. ﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ أتكونون أنتم وهم فئة على السواء من غير تفضَل ورجحان بين الأحرار والعبيد. ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ يهابون أن يستبدوا بتصرف دونهم وأن تفتاتوا له لتفتاتوا أي يقول تدبيرهم عليكم منه بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضاً من الأحرار فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف ترضون لربّ الأرباب ومالك الأحرار والعبيد ومسبب الأسباب أن يجعل بعض عبيده شريكاً له. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل هذا التفصيل ﴿نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ ونبينها لأنَّ التمثيل مما يكشف المعاني الخفية ويوضحها لأنَّه بمنزلة التَّصوير والتَّشكيل لها ألا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة؟ ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ المعاني المجردة بذريعة الصورة والأمثال والهيئات الحسية والأشكال.

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ أشركوا وعبدوا ﴿أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بل بمجرد التَّقليد وفرط الجهالة.

﴿فَمَن يَهْدِى﴾ ويوصل إلى الله. ﴿مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ وبعَّده عنه . ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ مخلصين لهم عن الضَّلالة يحفظوهم عن آفاتهم.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ أي: توجه وأصرف وجهك وعدله غير ملتفت عنه يميناً وشمالاً وهو تمثيل لإقباله على الدِّين واستقامته عليه وثباته لديه واهتمامه ما بيّنا فإنَّ من اهتمَّ

بالتي عقد عليه طرفه وسدوا إليه نظره وتوجه وألزم لديه بصره ووجهه قبلاً به إليه حنيفاً[٢٣٩] حال من المأمور أو من الدِّين. ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ﴾ خلقتهم نصبت على الأغراء أو المصدر لما دل ما بعده أو بإلزامي عليكم. ﴿ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يقدر أحد أن يغير وما ينبغي ولا يلق لأحد أن يغير. ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ﴾ المأمور بإقامة الوجه له أو الفطرة . ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ الدين القويم.

﴿مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ﴾ راجعون إليه من آيات ينيب إذا رجع مرة بعد أُخرى أو منقطعين حال من ضمير الزموا. ﴿وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ خطاباً إلى الرَّسول وأُمته، أو خطاب الرَّسول خطاب لأُمته، مع ما فيه من التَّعظيم للإمام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص. ﴿وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾ بدل من المشركين أي تركوا دين الإسلام .﴿وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾ فرقاً كل واحدة تشايع إمامها الذي أضلها.

﴿كُلُّ حِزۡبِۭ﴾ وطائفة ﴿بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ مسرّون ظناً منهم أنَّه هو الحق، كل حزب مبتدأ، فرح خبره ، بما لديه متعلق بفرح، ويجوز أن يكون فرحون صفة، كل من الدين خبره، أي كل من المفارقين دينهم كل حزب فرحون.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ﴾ الضرّ الشدّة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك.

---

٢٣٩ قال ابن دريد: الحنيف: العادل عن دين إلى دين، وسمي الإسلام: الحنيفية، لأنها مالت عن اليهودية والنصرانية. وقال مجاهد: الحنيفية: اتباع إبراهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إماما للناس. *الوسيط في تفسير القرآن المجيد*، ١، ٢١٨،

﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم﴾ الله . ﴿مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ خلاصاً من الشدة منهم أي فاجأ . ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ أي بالإشراك بربهم الذي عافاهم.

﴿لِيَكْفُرُواْ﴾ اللام فيه للمجاز مثل ليكون لهم عدواً. ﴿بِمَآءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبال تمتعكم. ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ حجةً ودليلاً ومحجةً أو ذا سلطان أي ملكاً معه برهان. ﴿فَهُوَيَتَكَلَّمُ﴾ أي الدَّليل والحجةُ يتكلم يدل عليه دلالة مجاز عن الدلالة كقوله: ﴿هذا كتابنا ينطق بالحق﴾[٢٤٠] ، كتابه عن الدلالة والشهادة كأنَّه قال فهو يشهد بشركهم وما في. ﴿بِمَا كَانُواْ﴾ مصدرية، أو موصولة ويرجع الضمير إليها أي يتكلم بالأمر الذي بسببه . ﴿يُشْرِكُونَ﴾ ويُحتمل أن يكون المعنى.

﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ ذا سلطان أي ملكاً يتكلم ذلك الملك.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾ نعمته من مطر أو سعة أو صحة. ﴿فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي: بلاء من جدب ، أو ضيق ، أو مرض ، والسبب فيها شؤم معاصيهم قنطوا من الرَّحمة. ﴿بِمَاقَدَّمَتْأَيْدِيهِمْ﴾ من المعاصي والسَّيئات التي اكتسبوها بأيديهم . ﴿إِذَاهُمْ يَقْنَطُونَ﴾ فأجئوا القنوط من رحمته ويئسوا من نعمته.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فإنهم لم يحتسبوا ولم يشركوا في السَّراء والضَّراء كالمؤمنين. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي يبسط الرِّزق على من يشاء من عباده وحفظهم من الإشراك فيها.

---

٢٤٠ الجاثية: ٢٩/٤٥ .

﴿لَآيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ يستدلون بها على كونه فاعلاً مختاراً يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ صلة الرَّحم احتج به الحنفية على وجوب النفقة على الخادم وهو غير مشعر به . ﴿وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ وما وصف وعين لأجلها من الزكاة والخطاب للنبي ع م أو بمن بسط له لذلك رتب على ما قبله بالفاء. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إعطاء ذا القربى حقوقهم. ﴿خَيۡرٞ﴾ وأفضل، ﴿لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ﴾ ورضاءه أي يقصدون بمعرفة إياه خالصاً أو جهة التقرب إليه لا جهة أُخرى.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين قصدوا وجه الله، ﴿هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ حيث جعلوا بما بسط لهم النعيم المذكور.

﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا﴾ زيادة محرمة في المعاملة أوعطية يتوقع بها مزيد مكافأة. ﴿لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ ليزيد ويزكوا في أموالهم. ﴿فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فلا يزكوا عنده ولا مبارك ولا بركة فيه. ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ ذو الأضعاف من الثواب؛ ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار أو الذين ضعفوا ثوابهم أو أموالهم ببركة الزكاة.

نزلت في ثقيف وكانوا يربون [٢٤١]. أو المراد أن يهب الرَّجل للرَّجل أو يهدي له، ليعوضه أكثر مما وهب وأهدى، فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة[٢٤٢].

وقالوا: الربا نوعان: فالحرام منه كل قرض يؤخذ فيه أكثر منه أو يجرّ منفعة والذي ليس بحرام أن يستدعي بهبته أو بهديته أكثر منها[٢٤٣]. وفي الحديث: (المستغزر يثاب من هبته)[٢٤٤].

٢٤١/ لزمخشري، *الكشّاف*، ٣،٤٨٧ .

٢٤٢ الزمخشري، *الكشّاف*، ٣،٤٨٧ .

٢٤٣ الزمخشري، *الكشّاف*، ٣،٤٨٧ .

٢٤٤ *مصنف ابن أبي شيبة* ، ٦،٤٧٤ .

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ بدناً، ونفساً، وروحاً، ومدده جميعها وما نزلت عليها من المزاج وما يتفرع عليه من القوى والأفعال ، والأعمال ، والأقوال ، والأحوال ، وما يحتاج إليه كما صرح إليه بقوله ﴿ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ بما يخرج من الأرض أنواع النبات والأثمار التي تناسب البدن والروح النباتي. ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ لدى انقضاء الأجل وانتهاء مقتضى الأمل في الدنيا. ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ في الآخرة قال لكم. ﴿مِن شُرَكَآئِكُم﴾ في هذه النشأة ما عبدتم وزعمتم أنها ربكم. ﴿مَّن يَفْعَلُ﴾ ويتمكن ويقتدر على هذه الأُمور المذكورة .

﴿مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ حقير وأمر قليل صغير فهي لا تقدر على شيء من هذه الحقار والصغار فضلاً عن العظام والكبار.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ في الذات، والأفعال، والأسماء، والصفات، فالله مبتدأ والموصول بصلة صفة هل من شركائكم خيره من ذلكم رابطه من الأُولى والثانية والثالثة كل واحدة منها مستقلة للتأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم.

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾ من الجدب والقحط وقلة الريع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحروق وعموم الغرق والحرق والظلم والعدوان والجور والعرق وإجفاء الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شيءٍ وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضارّ. ﴿ٱلْبَرِّ﴾ وما وقع فيه قتل ابن آدم أخاه أي: قتل قابيل هابيل[٢٤٥] ثم شاع واستمر بينهم.

﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ بغصب السُّفُن وخرْقها بقصد إغراق أهلها أو المراد بهما الجزائر والمدن التي فيها.

---

٢٤٥ قال العلامة أحمد شاكر رحمه الله في "*عمدة التفسير*" ٦٦٢،١ ، (وأما تسميتهما بـ : "قابيل وهابيل" فإنما هو من نقل العلماء عن أهل الكتاب، لم يرد به القرآن، ولا جاء في سُنَّة ثابتة فيما نعلم، فلا علينا ألا نجزم به ولا نرجِّحه، وإنما هو قول قِيل). والتفسير الصحيح المسند، حكمت بشير، ١٧٢،٢. قال ابن عاشور وفي التوراة هما (قايين) - والعرب يسمونه قابيل- وأخوه هابيل. إبن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير (*تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*) ، الدار التونسية للنشر، تونس، ٦ ،١٦٩.

﴿بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ أي: الشرور والمعاصي بمباشرة الناس أي الشرور والمعاصي بمباشرة الناس ومزاولتهم. ﴿لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾ أي وبال بعض أعمال نفوسهم في الدنيا قبل أن نذيقهم في الآخرة. ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ عما هم عليه فاللام مجاز على معنى أن ظهور الشرور بسببهم مما إستوجبوا به يذيقهم الله وبال أعمالهم وإرادة الرجوع إنما أفسدوا وتسببوا لفشوّ الفساد والمعاصي في الأرض لأجل ذلك لسببهم.

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُ﴾ ليشاهدوا مصداق ذلك وتحققوا صدقه يعني: كيف أهلك الله الأُمم السالفة وأذاقهم سوء العاقبة لمعاصيهم ؟ بدليل قوله: ﴿كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ﴾ استيناف للدلالة على أنَّ سوء عاقبتهم كان لفشوّ الشرك وغلبته فيهم أو كان الشرك في أكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم يدل على أنَّ الشرك وحده لم يكن تدميرهم بل بما دونه من المعاصي حتى يكون سبباً لذلك.

قال النبي عليه السلام: (الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم)[٢٤٦].

﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ﴾ البليغ الإستقامة التي لا يتأتى فيه عوج مع الله. ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ﴾ من الله. ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ مصدر بمعنى الردّ أي: لا يرده ولا يستطيع أن يرده أحد. كما قال تعالى: ﴿فلا يستطيعون ردها﴾[٢٤٧]. ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ متعلق بيأتي ويجوز أن يتعلق بمرد أي: ما يرده الله لتعلق إرادته القديمة[٢٤٨] بمجيئه. ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ﴾ يتصدعون ويتفرقون كقوله: ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون﴾[٢٤٩].

---

٢٤٦ المظهري،محمد ثناء الله، *التفسير المظهري*،المحقق:غلام نبي التونسي،مكتبة الرشدية ،الباكستان، ط:١٤١٢هـ،٥ ،٦٤.

٢٤٧ الأنبياء: ٤٠/٢١ .

٢٤٨ القَدِيم :ما مضى على وجوده زَمنٌ طويل ، القَدِيمُ عند علماءِ الكلام : الموجود الذي ليس لوجوده ابتداءٌ.

﴿مَن كَفَرَ﴾ أي: وبال كفره ومكابره وضره علة جامعة لما لا غاية وراءهُ من المضار لأنَّ من كان ضاره كفره فقد أحاطت به كل مضرة. ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ مقروناً بالإيمان . ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ أي: يسوّون لأنفسهم ويهيئون منزلاً، بهياً، وسيعاً، من الجنة ومقاماً ، سنياً، رفيعاً، ما يسوِّيه لنفسه في الدنيا يمهد فراشه ويوطِّئه لئلاّ يُصيبه في مضجعه ما يُنبيه وينغص عليه مرقده من نتوء أو قضض أو بعض ما يؤذي الراقد ويجوز أن يريد فعلى أنفسهم يشفقون من قولهم في المشفق: أم فرشت وأنامت وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على أن ضرر الكفر لا يعود إلاّ على الكافر لا يتعداه ومنفعة الإيمان والعمل الصالح يرجع إلى المؤمن وغيره من المؤمنين كما أن المؤمن يشفع لغيره.

﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ متعلق بيمهدون وتعليل له ليصعدون من فضله مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكتابة لأنَّ الفضل تبع للثواب فلا يكون إلا بعد حصول ما هو تبع له أو أراد من عطائه وهو ثوابه لأنَّ الفضول والفواضل هي الأُعطية عند العرب. والتكرار وترك الضمير إلى الصريح لتقرير أنه لا يفلح عنده إلا المؤمن الصالح . ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ تقريرُ بعد تقرير على الطرد والعكس.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ﴾ الشمال، والصبا، والجنوب. ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ بالمطر لأنَّها رياح الرَّحمة وأما الدبور فريح العذاب. قال النبي عليه السلام:(اللهم إجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً)**.**[٢٥٠]

﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ وهي نزول المطر وما يتبعه من الخصب الذي يتبعه رفاهية الخلق والروح الذي هو مع هبوب الريح وزكاء الأرض . قال عليه السلام: (إذا كثرت المؤتفكات

أما في اصطلاح المتكلمين:هو الذي لا أول لوجوده، أو الشيء الذي لم يسبق بعدم . آمال بنت عبد العزيز العمرو، *الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية*، ١، ٢٠٢ .

٢٤٩ الروم: ٣٠/١٤.

٢٥٠ الطبراني، أبو القاسم .سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، *المعجم الكبير*، تح: حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل،ط : الثانية ،سنة ١٤٠٤– ١٩٨٣، رقم الحديث ١١٥٣٣.

زكت الأرض وأزالة العفونة من الهواء) وتذرية الحبوب وغير ذلك[٢٥١]. ﴿وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ﴾ في البحر عند هبوبها. ﴿بِأَمۡرِهِۦ﴾ لأنَّ الرِّيح قد تهب ولا تكون مواتية فلا بدَّ من إرساء السُّفُن وإخرابها والاحتيال بحبسها وربَّما عصفت فأغرقت. ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ يريد تجارة البحر . ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ نعمة الله فيها.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ الواضحات. ﴿فَٱنتَقَمۡنَا﴾ وأخذنا الإنتقام والغرض . ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾ وظهر منهم الجرم والمعصية. ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: وكان الإنتقام منهم حقاً ثم تبتديء علينا نصر المؤمنين. قال النبي ع م:(ما من امرئٍ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة)[٢٥٢].

ثم تلا قوله: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ ، تعظيم للمؤمنين ورفع شأنهم وتأهيل لكرامة سنية وإظهار لفضل سابقة ومزية لاحقة حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم مستوجبين عليه أن يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف متصلاً تارةً.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ﴾ أي السماء. ﴿كِسَفٗا﴾ قطعاً تارةً أُخرى. ﴿فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ﴾ المطر ، والماء النازل . ﴿يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ﴾ بالمطر، والماء النازل . ﴿مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾ في أرضهم وبلادهم والمراد

---

٢٥١ أبي حيان الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير، دار الكتب العلمية ، لبنان، بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ط:الأولى،تح : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في ،تح : زكريا عبد المجيد النوقي. أحمد النجولي الجمل، ٧ ،١٧٣.

٢٥٢ هذا الحديث لا بأس به، ولفظه المعروف: (من رد عن عرض أخيه بالغيب رد الله عن وجهه النار يوم القيامة). الترمذي، أبو عيسى .محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، *الجامع الصحيح سنن الترمذي*، تح : أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي – بيروت رقم الحديث ،١٩٣١ قال هذا حديث حسن .

بالسَّماء سمت السماء وشقها كقوله تعالى: ﴿فرعها في السماء﴾[٢٥٣]. ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ على قدر إهتمامهم بذلك.

﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾ لابسين .

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ في الشِّتاء وإختفاء اقتضاء القوة النَّباتية بالنشو والنَّماء. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ القادر. ﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قدير﴾ ممكن بالإمكان الخاص، الذي هوسلب الضرورة عن الطرفين.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ وبوراً، مفسداً، أو مهلكاً. ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ أي لوقعت رؤيتهم على كل شيءٍ مصفراً من النبات والحيوان بل المعادن فإن تأثير الدبور كالصباء عام يسري في المركبات وبعدها لقبول الصور النوعية بل الشَّخصية واللام توطئة للقسم دخلت على حرف الشرط . ﴿لَّظَلُّواْ﴾ وصاروا. ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾ سادّ مسد الجوابين للشرط والقسم؛ ولذا فسَّر بالإستقبال؛ وهذه الآية ناعية على الكُفار بقلّة تثبُّتهم وعدم تدبُّرهم وسرعة تزلزلهم لانتفاء تفكُّرهم وسوء رأيهم بأنَّه إذا رزقهم الله المطر استبشروا وابتهجوا فإذا أرسل عليهم ريحاً من الدبور فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله. فهم في جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة إذ كان عليهم أن يتوكَّلوا على الله وفضله وعموم جوده وكرمه وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها ولم يزيدوا على الفرح والاستبشار وأن يصبروا على بلائه وهم كفروا، الرِّيح التي أصفر لها النبات بل قل في الحيوانات بها الحياة لأنَّها تفسد أو تكدر الرطوبات الغريزية القائمة بها الحرارة الغريزية التي هي مركب الحياة ومطيتها يجوز أن يكون حروراً ،وحرجفاً ،وكلاهما مما يصوح له النبات ويصبح هشيماً.
قيل: فرأوا السَّحاب مصفراً لأنَّه إذا كان كذلك لم يمطر[٢٥٤] .

---

٢٥٣ إبراهيم: ٢٤/١٤.

٢٥٤ تفسير القرطبي، ١٤،٤٥ . تح: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، *رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز*، ط: الأولى ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م ، ٣٧،٦ .

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ لأنَّ الحياة وهي العلمُ ، والمعرفة ، والإيمان قد أينعت عنهم المشاعر العشرة المشاعرة، الظاهرة والباطنة. ﴿وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ والنِّداء الداعي النادي إلى الله. ﴿وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾ وأعرضوا عن الحق وسماعه والعمل به قيد العمل به ليكون أشدَّ استحالة إذ الإدبار يوجب البعد المستلزم لضعف السَّماع واختفاء الاستماع شيئاً فشيئاً إلى أن ينتهي إلى انتفائه بالكلية. والإقبالُ عكسه.

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡ﴾ وإنَّما نفى السَّماع ، والإستماع أولاً عن الموتى عن السميع، والبصير، إشعاراً إلى التفريغ المذكور، وإلى أنَّ الكمالات الصُّورية والمعنوية منوطة إلى هاتين القوتين.

﴿إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ لكمال استعداداتهم ووفور قابليتهم وقوة نفوسهم؛ بخلاف الكفار فإنَّ نفوسهم ضعيفة وقواهم المدركة سخيفة مع أنهم قد صنعوها. ﴿فَهُم مُّسۡلِمُونَ﴾ منقادون بتمام قواهم وجوارحهم وأجزائهم بحكم الله.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ﴾ يعني أساس ماء وجودكم ومنى إدراككم وعلومكم وشهودكم هو الضعف لأنَّ المُمكن في نفسه لا موجود ، ولا معدوم بل يقبل كلاً منهما من الغير على التدريج سيَّما في المركَّبات إلى أن بلغ غايتها فيدان مرتبة الضَّعف من الوِلادة أو سقوط النُّطفة في الرَّحم إلى أن بلغ وقت الحكم وأوان البلوغ والقوة إلى كمال النشو والنماء وهو إما ثمانية وعشرون، أو إثنان وثلاثون، حسب تفاوت المزاج فإنَّ القوة تتزايد إلى هذين الوقتين ثم تتوقف لا يزيد ولا يضعف إلى أربعين، أو خمس أو ستة وأربعين ،وهي مرتبة النُبوة ، كما قال النبي ع م: (الرؤيا الصالحة جزءٌ من ستة وأربعين جزءً من النبوة)[٢٥٥]، وهي مرتبة آدم؛ والصورة الجمعية ثم أخذ في الإنحطاط على التدريج. ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ﴾ هذه ما في الكهولة

٢٥٥- *البخاري*، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة، ٢٥٦٣ . *ومسلم*، باب الرؤيا، ٢٢٦٣ .

إلى سبع وستين وهي صورة جمعية آدم وحواء وصورة الجمع الله ال ل٥ ٣ ع وشيبة إلى الشيخوخة وهي مائة وعشرون أو مائة واثنان وثلاثون. قال: الأول : هي مرتبة كمال النبوة ٣٠ والثاني هو كمال النبوة والولاية هي الحقيقة المحمدية ١٣٢. ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ كيف يشاء مما يشاء من المواد البسيطة والأجزاء الأوَّلية والجواهر الفردة[٢٥٦]. ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بمراتب الضعف والقوة والمواد المتقاربة. ﴿ٱلْقَدِيرُ﴾ على إخراج المعلومات من مكان الغيب إلى موطن الشهادة إما بالكمال والنقصان والغيب.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ وتظهر القيامة. ﴿يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ وإنَّما سمِّيت بها لإنَّها تقوم في آخر ساعة من الساعات الدنيوية أو لأنَّها تقع بغتة وبديهة كما يقول لمن يستعجله وجرت علماً، واسماً مخصوصاً بها، كما سمي لكثريا والكواكب للزهرة على طريقة الغلبة والتَّغليب يُقسم المجرمون وأهل المعاصي ويحلفون بالله وأسمائه وصفاته بأنَّهم. ﴿مَالَبِثُواْ﴾ وما مكثوا في الدنيا في حال الحياة وأوَّل العُمُر أو في القبور أو فيما بين بناء الدُّنيا إلى وقت البعث أربعين سنة ، قالوا لا نعلم أهي أربعون سنة أو أربعون ألف سنة ؟ وذلك وقت يفنون فيه ويتقطع عذابهم وإنَّما يُقدِّرون لبثهم بذلك القدْر وهو ساعة على وجه استقصارهم له أو ينسون أو يكذبون. ﴿كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾ أي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتَّحقيق في الدُّنيا وهكذا كانوا يبنون أمرهم على خلاف الأمر الواقع والمراد من الأوَّل الدنيا إلى آخرها ليس إلا ساعة إما لكمال دهشتهم أو لأنَّ مدة الدنيا بالنسبة إلى مدة الآخرة والأيام الإلهية كساعة من ساعات الدُّنيا لما تقرر من أنَّ يوماً من الأيام الإلهية خمسون ألف سنة ومقدار كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً من أيام السنة الربوبية وهي ﴿وإنَّ يوماً عند ربك كألف سنة﴾[٢٥٧]، ومدة الدنيا التي نحن فيها سبعة آلاف سنة وأنت خبير بأنَّ سبعة آلاف سنة نسبتها إلى السنة الإلهية التي هي

---

٢٥٦ الجوهر: ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع وهو مختصر في خمسة هيولي وصورة وجسم ونفس وعقل لأنه إما أن يكون مجردا أو غير مجرد، فالأول: أي المجرد إما أن يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف أو لا يتعلق والأول أي ما يتعلق العقل . والثاني: أي ما لا يتعلق النفس. *تعريفات*، ص ١٠٨ .

٢٥٧ الحج: ٤٧/٢٢.

ثلاثمائة وستون يوماً، وكل يومٍ مقداره خمسون ألف سنة يكون مقدار كل يومٍ من أيام هذه السنة ألف سنة يكون، أقلَّ من ساعة بكثير والغرض من هذا الكلام تحقير أيام الدنيا وبيان حقارتها وصغرها وقلتها لا الحصر.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ من الملائكة والإنس والجن ﴿وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ من الإنس والمؤمنين بالحق.

﴿لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ أي: في اللَّوح المحفوظ أو علم الله وقضائه أو فيما كتبه أي أوجبه بحكمته أو البرزخ المعادي. ﴿ومن وراءهم برزخٌ إلى يوم يُبعثون﴾[٢٥٨] ردَّ ما قالوه وحلفوا عليه.

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِ﴾ وأطلعهم على الحقيقة؛ ثم ضلوا ذلك بتقريعهم على إنكار البعث بقولهم: ﴿فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ إنَّه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه، والفاء جواب الشرط المحذوف ، يعني إن صح ما قلتم فهذا يوم البعث كما قيل :

قالوا خراسان[٢٥٩] أقصى ما يراد بنا ثم القول فقد جئنا خراسان[٢٦٠].

---

٢٥٨ المؤمنون: ١٠٠/٢٣.

٢٥٩ ـ خراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو، وهي كانت قصبتها، وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون، ومن الناس من يدخل أعمال خوارزم فيها ويعد ما وراء النهر منها وليس الأمر كذلك، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحا، ونذكر ما يعرف من ذلك في مواضعها، وذلك في سنة ٣١ في أيام عثمان، رضي الله عنه، بإمارة عبد الله بن عامر ابن كريز، وقد اختلف في تسميتها بذلك فقال دغفل النسابة: خرج خراسان وهيطل ابنا عالم بن سام بن نوح، عليهما السلام، لما تبلبلت الألسن ببابل فنزل كل واحد منهما في البلد المنسوب إليه، يريد أن هيطل نزل في البلد المعروف بالهياطلة، وهو ما وراء نهر جيحون، ونزل خراسان في هذه البلاد التي ذكرناها دون النهر فسميت كل بقعة بالذي نزلها، وقيل: خر اسم للشمس بالفارسية الدرية وأسان كأنه أصل الشيء ومكانه، وقيل: معناه كل سهلا لأن معنى خر كل وأسان سهل، والله أعلم، وأما النسبة إليها ففيها لغات، في كتاب العين: الخرسي منسوب إلى خراسان، ومثله الخراسي والخراساني ويجمع على الخراسين بتخفيف ياء النسبة . وقال البلاذري: خراسان أربعة أرباع، فالربع الأول إيران شهر وهي

يعني إن صح أن خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا وتوجَّهنا إلى خراسان.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ من قولك استعتبني فأعتبته أي استرضاني فأرضيته وذلك إذا كنت جانياً عليه وحقيقة أعتبته أزلت عتبه ألا ترى إلى قوله :

غضبتْ تميمٌ أن تُقتّلَ عامر[٢٦١] يومَ النِّسار فأعتبوا بالصّيلم[٢٦٢].

كيف جعلهم غضباً ثم قال: فأعتبوا أي أزيل غضبهم والعتب والعتاب والمعنى لا يقال لهم أرضوا ربَّكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى: ﴿لا يخرجون منها ولا هم يُستعتبون﴾[٢٦٣].

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾ أي بيّنا لهم. ﴿فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ في غرابتها وقصصنا عليهم كلَّ قصةٍ عجيبةِ الشَّأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم المبعوثين يوم القيامة وقصتهم، وما يقول لهم وما يقولون، ولكنهم لقسوة قلوبهم مجّ أسماعهم حديث الآخرة. ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ﴾

نيسابور وقهستان والطبسان وهراة ويوشنج وباذغيس وطوس واسمها طابران، والربع الثاني مرو الشاهجان وسرخس ونسا وأبيورد ومرو الروذ والطالقان وخوارزم وآمل وهما على نهر جيحون، والربع الثالث، وهو غربي النهر وبينه وبين النهر ثمانية فراسخ، الفارياب والجوزجان وطخارستان العليا وخست واندرابة والباميان وبغلان ووالج، وهي مدينة مزاحم بن بسطام، ورستاق بيل وبذخشان، وهو مدخل الناس إلى تبت، ومن اندرابة مدخل الناس إلى كابل، والترمذ، وهو في شرقي بلخ، والصغانيان وطخارستان السفلى وخلم وسمنجان، والربع الرابع ما وراء النهر بخارى والشاش والطراربند والصغد، وهو كس، ونسف والروبستان وأشروسنة وسنام، قلعة المقنع، وفرغانة وسمرقند، قال المؤلف: فالصحيح في تحديد خراسان ما ذهبنا إليه أولا وإنما ذكر البلاذري هذا لأن جميع ما ذكره من البلاد كان مضموما إلى والي خراسان وكان اسم خراسان يجمعها، فأما ما وراء النهر فهي بلاد الهياطلة ولاية برأسها وكذلك سجستان ولاية برأسها ذات نخيل، لا عمل بينها وبين خراسان، *معجم البلدان* ، ٢ ،٣٥٠.

٢٦٠ *تفسير الزمخشري*، *الكشّاف*، ٣،٤٩٤.

٢٦١ بني عامر بين مكة والعراق وقيل ركبة جبل بالحجاز وقال الزمخشري هي مفازة على يومين من مكة يسكنها اليوم عدوان وعن الأصمعي أن ركبة بنجد وهي مياه لبني نصر بن معاوية ، *معجم البلدان*، ٣ ،٦٣.

٢٦٢ بن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، *اللباب في علوم الكتاب* ، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوضدار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان ،ط: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م، ١٥،٤٣٢.

٢٦٣ الجاثية: ٣٥/٤٥ .

من آيات القرآن. ﴿لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ﴾ أي: جئتنا بزورٍ وباطلٍ

وذلك منهم أمر طبيعي ، وحال النهي ضمني أو صريح لأنَّ كلَّ أحدٍ من الآحاد وعين من الأعيان والأفراد تدبرهم الله بوصف الجمال والنور ونعت الجلال والضمور، فإذا كان الحكم بوصف الجمال والنور اقتضى الإيمان والانقياد والإذعان، وما يترتَّب عليه من الطاعات والعبادات صريحاً والجلال ينتفي الكفر والعصيان ضمناً في المؤمنين كما يحقق من أنَّ كل مولود يُولد معه مولود ضِمني حتى يأمره بالشَر والكفر والعصيان والضر كما ورد في الحديث: (من ما منكم من أحدٍ إلا وله مولود جني قيل: وإياك يا رسول الله ؟ فقال: وإياي إلا أنَّ شيطاني قد أسلم بيدي لا يأمُرُني إلا بالخير)[٢٦٤] وهذا المولود في الكفار صريح وفي المؤمنين ضمني. ففي الكفار كفرهم جبلي يقتضي الكفر وفي المؤمنين ضمني، ولذلك الاقتضاء غرض عريض ومراتب أضيض لكل اقتضاء اسم من الطبع والرّين والختم والغشاوة وغير ذلك.

﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ لأنَّ العلم من مقتضيات نور الوجود، والجهل من مستدعيات العدم والظلم والجلال.

﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بالنصر والظفر . ﴿حَقّٞ﴾ وثابت وواقع. ﴿وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ﴾ أي: ولا يحملنك على الخفة والقلق جزع. ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: يقولون ويفعلون لا عن يقين فإنهم قوم شاكرون ضالون لا يستعبد ذلك منهم.

قال النبي عليه الصلاة والسلام: (من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله بين السَّماء والأرض وأدرك ما ضيّع في يومه وليلته)[٢٦٥]

---

٢٦٤ لم اجده بهذا اللفظ ، ولكن اصله هكذا في صحيح المسلم، برقم (٢٨١٤) : قال حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وقَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا - جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ» قَالُوا: وَإِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ. *الطبراني* (٧٢٢٢)، *ومسند احمد* برقم (٣٨٥٥) وغيره.

٢٦٥ يحيى المرشد بالله بن الحسين الموفق بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني، *ترتيب الأمالي الخميسية للشجري*، رتبها: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي، تح : محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١ ،١٢٥ .

٤ . سورة لقمان

﴿بسم الله﴾ الذي أنزل على لقمان النفس المطمئنة الحكمة الإلهية بالمشيئة الأزلية. ﴿الرحمن﴾ ﴿الذي أرسل رسوله بالهُدى ودينِ الحق ليُظهره على الدين كُلِه ولو كره المشركون﴾ [٢٦٦] بالجمعية الجاهلية.

﴿الرحيم﴾ الذي جعل الإنسان الكامل مظهراً جامعاً للكلمات الرَّبانية والحكميات العلمية والنظرية وأنت خبير بأنَّ ﴿ألم﴾هُهنا غير ﴿ألم﴾ في الروم وفي غيره لفظاً ومعنىً، أما لفظاً: فإنَّ التكلُّم به غير التَّكلُّم والتَّلفظ بغيرها، وأما معنى: فلأنَّ المعنى تابعٌ للفظ وإنما ذكر ﴿ألم﴾ في أربعة مواضع إشارة إلى الأدوار الأربعة النورية الأصلية المستقلة البسيطة. ﴿وألر﴾ في ثلاثة مواضِع تلويحاً إلى الأدوار الثلاثة النورية الفرعية، وهي الأدوار الثلاثة المنسوبة إلى الأسماء الثلاثة الذاتية التي هي بمنزلة المواليد الثلاثة، وهي السميع، البصير ،المتكلم وفي تخليل ﴿ألمر﴾ بين ﴿ألر﴾ التي ذكر في ستة مواضع إشارة إلى المرتبة الجامعية والرتبة الرافعة من دركات حفيض البسائط إلى درجات أوج الجمعية ثم يذكر بعده في صورتين.

﴿الٓمٓ﴾ إشارة إلى الأدوار البسيطة نوريته وظليته ووجودي وعدمي جمالي وجلالي وقد فصَّلنا الكلام في هذا الباب لكشف المرام في ﴿ألمص﴾ الذي يومئ إلى تنوع الكمال الجمعي والجمع الكمالي وتطور المرتبة الجمعية وتبين رتبة المعية. ﴿تِلۡكَ﴾ إشارةٌ إلى الأعيان النورية التي ذكرت في الصدر ضمناً . ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ ذي الحكمة أو وصف بصفة الله عزَّوجل على الإسناد المجازي، ويجوز أن يكون أصل الحكيم قائله، فحذف المضاف إليه مقامه فبانقلابه مرفوعاً بعد الجر استكن في الصفة المشبهة. ﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٗ﴾ بالنصب على الحال من الآيات، والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة وبالرَّفع على أنَّه خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف. ﴿لِّلۡمُحۡسِنِينَ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ بيان

---

٢٦٦ الصف: ٩/٦١ .

لإحسانهم ولا تخصيص بهذه الثلاثة وتكرير ضَّمير التوكيد لما حيل بينه وبين خبره. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ وإعادة الضمير إشعار بأنَّ الأعيان الموصوفين قد انحصر عليهم الفلاح بالصفات المذكورة.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ ما يلهي ويشتغل الناس عما يعني لهم إلى ما لا يعنى بهم عن شيء أصلاً، كالأحاديث التي لا أصل لها وكالأساطير التي لا اعتبار فيها، والمضاحيك وفضول الكلام إضافة اللَّهو إلى الحديث بمعنى من وهي إضافة الشيء إلى ما هو منه كقولك: ثوب قطن وقميص قر[٢٦٧] وجبة حرٍ وخاتم فضة ومنطقة ذهب وغير ذلك، والمعنى من يشري اللهو من الحديث لأنَّ اللَّهو يكون من الحديث ومن غيره، فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر[٢٦٨]، كما جاء في الحديث: (الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش)[٢٦٩] ، ويجوز أن تكون الإضافة بمعنى من التبعيضية كأنَّه قيل: ومن الناس من يشري بعض الحديث الذي هو اللَّهو منه. ويشري إما من الشرى على ما روي عن النضر من

---

٢٦٧ قر: القاف والراء أصلان صحيحان يدل أحدهما على برد والآخر على تمكن. بن فارس ، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، *معجم مقاييس اللغة* ، تح: عبد السلام محمد هارون، ٥ ،٧ .

٢٦٨ وقال ابن الصلاح: بلغنا عن أبي بكر أحمد بن هارون البرديجي الحافظ أنه: الحديث الذي ينفرد به الرجل ولا يعرف متنه من غير روايته، لا من الوجه الذي رواه منه، ولا من وجه آخر، ابن الصلاح، أبوعمرو عثمان بن عبد الرحمن أبوعمرو تقي الدين المعروف بابن الصلاح ، *معرفة أنواع علوم الحديث* ، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح ، المحقق: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين الفحل ، دار الكتب العلمية ،ط : الأولى، ١٦٩،١. الحوامدي، محمد بن أحمد عبد السلام خضر الشقيري الحوامدي (المتوفى: بعد ١٣٥٢هـ)، *السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات*، المصحح: محمد خليل هراس، دار الفكر، ص،٤٣.

٢٦٩ لا أصل له،أورده الغزالي في *الإحياء*، ١٣٦،١. وقال عبد الوهاب بن تقى الدين السبكي في"*طبقات الشافعية*"١٤٥،٤-١٤٧، لم أجد له إسنادا . الحوامدي، محمد بن أحمد عبد السلام خضر الشقيري الحوامدي (المتوفى:١٣٥٢هـ)، *السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات*، المصحح: محمد خليل هراس، دار الفكر، ص، ٤٣.

يشري كتب الأعاجم[٢٧٠] أو من قوله: ﴿إشتروا الكفر بالإيمان﴾[٢٧١] ،أي استبدلوه منه واختاروه عليه. ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه أو قراءة كتابه.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بالتجارة وما يلزمها من الرِّبح والخسارة، حيث يستبدل الضَّلال بالهُدى، والباطل بالحق، والخطأُ بالصَّواب، والعقاب بالثواب. أو بحال ما يشتريه حيث استبدل اللَّهو بقراءة القرآن. ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ أي ويتَّخذ سبيل الله سخريةً وإستهزاءً. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ من الإهانة وهي التحقير والإستخفاف لإهانتهم الحق وإستيثار الباطل عليه.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ أي أعرض عن الحق حال كونه متكبراً.

﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ في الموطن الأوَّل بالمسامع الأزلية في المراتع الأولية. ﴿كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ ثقلاً وسداً ولا وقر فيهما لاستماعهما سائر المسموعات فشابه حاله حال من لم يسمع أصلاً. ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ فيه تهكم واستهزاء. ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي أنذرهم بعقاب مرجع ،وعقاب مؤلم ،والجملةُ المصدرة الأُولى: حال من مستكبر، والثانية : من لم يسمعها ويجوز أن يكون مستأنفين والأصل في كان المخففة كأنَّه، والضمير للشأن ويجوز أن يكون إنشائيةً بياناً لألى كما في قوله تعالى: ﴿أُولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾[٢٧٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بالإخلاص وكمال الاختصاص. ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي: حسنات فيها كل نعمة وما يتنعم به من المآكل والمشارب والمناكح والملابس

---

٢٧٠ العجم: ضد العرب ورجل أعجمي ليس بعربي وقوم عجم وعرب والأعجم الذي لا يفصح . الخليل بن أحمد الفراهيدي ،*كتاب العين*، تح: مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ١ ،٢٣٧ .

٢٧١ آل عمران: ١٧٧/٣.

٢٧٢ الأعراف: ٧/ ١٧٩.

والمسموعات من النعمات الملائمة والإيعاد المناسبة والنقرات المطبوعات والأصوات الحسنة المسموعات وهذه ألذُّ النعمات وأبرز اللَّذات وأغز الشَّهوات.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗا﴾ مصدر إنَّ مؤكدان الأول: مؤكد لنفسه. والثاني: مؤكد لغيره، لأنَّ قوله لهم جنات النعيم في معنى قوله: وعدهم الله جنات النعيم فأكَّد الوعد بالوعد، وإما حقاً فدال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدها جميعاً قوله: ﴿لهم جنات النعيم﴾. ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلبه شيءٌ ولا يعجزه بقدر على الشيء وضده، فيعطى النَّعيم من يشاء والبؤس من يشاء إلا ما تقتضيه الحكمة ويوجبه العدل والمشية.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ السبع والعرش[٢٧٣] والكرسي[٢٧٤] . ﴿بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا﴾ معتمداً كان أو غير معتمد، وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمورة على قوله ﴿بغيرعمدٍ ترونها﴾ كما تقول لصاحبك: أنا بلا سيف ولا رمح تراني . إما مستأنفة لا محل لها من الإعراب، أو صفة لعمد ترونها فلا يلزم نفي العمد مطلقاً لأنَّ انتفاء الخاص لا يستلزم إنتفاء العام، وأيضاً أنَّ الكلام إذا كان منفياً مقيداً يتوجه إلى القيد بمعنى أنَّ رؤية العمد منفية لا نفس العمد يعني أنَّها معمدة بعمد، ألا ترى وهي استمساك بقدرته وقوته، أو بتماسك أجزاءها بعضها بعضاً على وجه يكون نسبتها

---

٢٧٣ عرش العين الراء والشين أصل صحيح واحد يدل على ارتفاع في شيء مبني ثم يستعار في غير ذلك من ذلك العرش قال الخليل، العرش سرير الملك ، وهذا صحيح قال الله تعالى (ورفع أبويه على العرش) *مقاييس اللغة*، ٤ ،٢٦٤.

واماعرش الرحمن: قال ابن كثير: هو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات . *البداية والنهاية*، ١٢،١.

٢٧٤ الكرسي: واختلف المفسرون في معنى الكرسي في هذه الآية، فأولى الأقاويل وأصحُّها: ما قال ابن عباس، في رواية عطاء، وأبو موسى والسدي: أنه الكرسي بعينه، وهو لؤلؤ، وما السموات السبع في الكرسيِّ إلا كَدَراهم سبعة أُلْقِيَتْ في تُرْس، ومعناه: أن كرسيَّهُ مشتمل بعظمة على السموات والأرض.

النيسابوري ، أبو الحسن، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، *التَّفْسِيرُ البَسِيْط*، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه .عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،ط : الأولى، ١٤٣٠ هـ ، ٣٥٤،٤ .

إلى الداخل والخارج على السواء، فلا يحتاج إلى العمد الخارجية فلا يسقط وإلا لم يكن نسبة أجزائها إلى الداخل والخارج على السواء، كالكرات المجوفة فإنَّها لا تحتاج إلى الجدران الأربع والسَّقف والسَّطح وأنَّ كلها جدران وسقف وسطح، لتساوي نسبة بعض أجزائها إلى البعض وإلى الكل، ولذا وقعت الأرض في الوسط لأنَّ نسبة أجزاء السَّماوات إلى الأرض على السواء، فتجاذب جميع أجزاء السَّماء والأرض ويتدافعها من جميع الجهات، فيلزم الوسط فيكون نسبة أجزاء الأرض إلى أجزاء السَّماء على السَّماء فكيف يقع ويسقط على الأرض؟ هذا هو إمساك حق السماء على الأرض.

﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي جبال شامخات وأجسام شاهقات خوفاً وكراهةً من أن تتحرَّك الأرض ويميل إلى جهة ثبات أجزائها مقتضى تبدل أحيازها وتحول أوضاعها، لعدم أولَوية بعض أو ضاعها إليها دون الأُخرى، وتخير بعض أجزائها في بعض أجزاء الخير دون الآخر ترجيح بلا مرجح، والقادر المختار بحكمته البالغة أوقع جميع أجزاء الأرض في تمام الأحيان دفعةً واحدةً، وجعل الجبال العظام الشاهقة والأجسام المرتفعة على أطراف الأرض ليبقى على وضعها الطبيعي. ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ لاستقرارها بجميع أجزائها وإمكان تمكن الأجسام المتحركة وغير المتحركة على أطراف الأرض وغير أطرافها. ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ من كل صنف كبير المنفعة كثير المرتعة[٢٧٥]، استدلَّ بذلك على أنَّه كامل الخلقة والقدرة شامل الحكمة.

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى جميع الأسماء والأجسام العنصرية أي مجموع ما ذكر مخلوق لله. ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: شيء خلقته معبوداتكم هي غير الله هذا إلزام وتسكيت وإقحام لهم أي: أيّ شيء من الموجودات المتخالفة يخلقون شيئاً من الكائنات وأنواع المكونات. ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ على أنفسهم إضراب عن تبكيتهم إلى التَّسجيل عليهم

٢٧٥ المرتع : إسم مكان من رتَعَ ،الموضع ترتع فيه الماشية . *المعجم الوسيط*، ٣٢٧،١ .

بالتورُط . ﴿فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ ليس بعده ضلال لإحضار أنواع الضَّلالة عليهم، وضع المظهر للدَّلالة على انهماكهم في الضَّلالة وانغماسهم في الظُّلم والجَهالة.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ﴾ ابن باعوراء ابن أُخت أيوب[٢٧٦] النبي أو ابن خالته.

قيل: كان من أولاد آزر[٢٧٧] إبراهيم وعاش ألف سنة وأدرك داود[٢٧٨] عليه السلام وأخذ منه العلم.

﴿ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ وكان يفتي قبل مبعث داود عليه فلما بعث داود ارتفع عن الفتوى وانقطع.

قيل: كان قاضياً في بني إسرائيل وأكثر الأقاويل أنه كان حكيماً لا نبياً.[٢٧٩]

(عن إبن عباس رضي الله عنهما: ما كان لقمان نبياً ولا ملكاً ولكن كان راعياً أسود فرزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته كما قصّ أمره في الكتاب ليتمسكوا بوصيته)[٢٨٠].

قال عكرمة والشعبي[٢٨١]: كان نبياً.

وقيل: خيّر بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة.[٢٨٢]

---

٢٧٦ أيوب: بن موص بن رزاح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل. وقال غيره هو أيوب بن موص بن رغويل بن العيص بن إسحاق بن يعقوب. وقيل غير ذلك في نسبه، وحكى ابن عساكر أن أمه بنت لوط عليه السلام. وقيل: كان أبوه ممن آمن بإبراهيم عليه السلام يوم ألقي في النار فلم تحرقه. والمشهور الأول لأنه من ذرية إبراهيم، كما قررنا عند قوله تعالى: {ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون} [الأنعام: ٨٤] *البداية والنهاية* ، ٥٠٦،١ .

٢٧٧ تارخ اب خليل الله ابراهيم (عليه السلام) بن ناحور بن ساروغ بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام. *البداية والنهاية*، ٣٢٤،١ .

٢٧٨ داود: بن إيشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عويناذب بن إرم بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الخليل عبد الله ونبيه وخليفته في أرض بيت المقدس . *البداية والنهاية*، ١٢،٢.

٢٧٩ تفسير الزمخشري *الكشّاف*، ٤٩٩،٣.

٢٨٠ *الزمخشري* ، *الكشّاف*، ٤٩٩،٣ . النيسابوري *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، ٤٢٤،٥ .

٢٨١ *الزمخشري* ، *الكشّاف*، ٤٩٩،٣

٢٨٢ مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: ٩٢٧ هـ)، *فتح الرحمن في تفسير القرآن*، إعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، دار النوادر (إصدارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلامِيّة - إدَارَةُ الشُؤُونِ الإسلاَمِيّةِ)، ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ٣٠٤،٥.

روي[٢٨٣] أنه دخل على داود وهو يسرد الدرع وقد ليّن الله الحديد في يده كالطين، فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت فلما أتمَّها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت، فقال لقمان: الصمت حكم وحكمة وقليل فاعله فقال له داود: بحق ما سميت حكيماً.

وروي[٢٨٤] أن مولاه أمره بذبح شاة وأن يخرج منها أطيب مضغتين، فأخرج اللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال هما أطيب ما فيها إذا طابا وأخبث ما فيها إذا خبثا.

عن سعيد بن مسيب[٢٨٥] لأسود: لا تحزن فإنَّه كان من خير الناس ثلاثة السودان: بلال، ومهجع مولى عمر، ولقمان.

﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِ﴾ إن هي المفسرة لأنَّ إيتاء الحكمة في معنى القول، وقد نبّه الله سبحانه وتعالى على أنَّ الحكمة الأصلية، والعلة الحقيقية هي العمل بهما وعبادة الله وطاعته والشُّكر له حيث فسَّر إيتاء الحكمة بالبعث على الشُّكر، وهو إدراك المنعم ومعرفته وذكر نعمته وإحصاء آثار جوده وكرمه. ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تُحصوها﴾[٢٨٦].

﴿وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦ﴾ لأنَّ نفعه عائدٌ إليها وهي دوام النِّعم واستحقاق مزيدها في الظاهر والباطن، إما ظاهر فظاهر، وإما الباطن فهو معرفة المنعم والتقرب إليه ومشاهدة أفضاله وعموم إحسانه.

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بحقوق نعم الله ولم يرفع الرأس إليها . ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ بذاته وفي أسمائه وصفاته وفي أجزاء فيوض حكمته ونصوص معرفته على عباده.

---

٢٨٣ *الزمخشري*، ٣ ،٥٠٠ .

٢٨٤ - حدثنا أبو أسامة، عن أبي الأشهب، قال : حدثني خالد بن ثابت الربعي ، قال جعفر : وكان يقرأ الكتب ، إن لقمان كان عبدا حبشيا نجارا ، وإن سيده ، قال له : اذبح لي شاة ، قال : فذبح له شاة ، فقال : ائتني بأطيبها مضغتين ، فأتاه باللسان والقلب، قال : فقال: ما كان فيها شيء أطيب من هذين ؟ قال: لا ، فسكت عنه ما سكت، ثم قال: اذبح لي شاة، فذبح له شاة، قال: ألق أخبثها مضغتين، فألقى اللسان والقلب، فقال له: قلت لك ائتني بأطيبها، فأتيتني باللسان والقلب، ثم قلت لك: ألق أخبثها مضغتين، فألقيت اللسان والقلب، فقال: ليس شيء أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا. ابن أبي شيبة *مُصنف*، الحديث٣٥٤٣٥ .

٢٨٥ بابن البيع، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، *المستدرك على الصحيحين* ، تح : مصطفى عبد القادر عطا، ٣٢١،٣ رقم الحديث ٥٢٤٢ .

٢٨٦ النحل:١٦/ ١٨ .

﴿حَمِيدٌ﴾ قد حمد ذاته بذاته وبأوصاف أسمائه وآثار مقتضيات صفاته.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ﴾ اسمه أنعم[٢٨٧] أو أشكم[٢٨٨] وماثان[٢٨٩] .

قيل: كان ابنه وامرأته كافرين فما زال بهما[٢٩٠] .

﴿يَٰبُنَيَّ﴾ تصغيران مضاف إلى ياء المتكلم فأُدغم أحد اليائين إلى الآخر وحُذفت الألف للاستغناء عنها. ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ حتى أسلما. ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لأنَّ التسوية بين من لا نعمة إلا هي منه ومن لا نعمة له ومنه أصلاً، بل لا يتصور أن يكون هو ظلم عظيم لا يكتنه عظمه ولا ينتهي شينه ووخمه.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ وأمرناه . ﴿بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا﴾ أي تهنُّ وهناً. ﴿عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي حال كون أُمه يضعف ضعفاً فوق ضعف، أي: يزداد ضعفها أو يتضاعف شيئاً فشيئاً لأنَّ الحمل كلَّما عظُم يزداد عظمُها ازداد ثقلاً وضعفاً.

﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ أي فصيل الطِّفل عن الرضاع كما قال ﴿والوالدات يُرضعن أولادهنَّ حولين كاملين][٢٩١] وهي غايته والأمر موكول إلى اجتهاد الأُم فإن علمت أنَّه يقوى على الطَّعام فيما دون ذلك فصلته وإلا كملته. ﴿فِى عَامَيْنِ﴾ متواليين . ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ أن تفسير لوصينا.

---

٢٨٧ الخازن، *لباب التأويل في معاني التنزيل* ، ٣، ٣٩٨. الهرري، *تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن*، ٢٢،٢٤٠ .

٢٨٨ الهرري، *تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن*، ٢٢،٢٤٠.

٢٨٩ الهرري، *تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن*، ٢٢،٢٤٠.

٢٩٠ قول إمام القشيري، وهوبدالكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم القشيري إمام الصوفية، وصاحب الرسالة القشيرية في علم التصوف، ومن كبار العلماء في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر، 376هـ 465 - هـ ، الملقب بـزين الإسلام.

٢٩١ البقرة: ٢٣٣/٢.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ وسعيا في حقك. ﴿أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ﴾ أي تجعل شريكاً بي ما ليس.

﴿لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ من الأصنام أراد بنفي العلم به نفيه بعينه، أي لا تُشرك بي ما ليس بشيء أي لا تُشرك بالعدم الصرف. ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في الإشراك وسائر المعاصي . ﴿وَصَاحِبْهُمَا﴾ أمر، أي: أطعهما في الاستصحاب. ﴿فِي﴾ أمر ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ ومصالحهما أي: صرنا صاحبين أو مصاحبين. ﴿مَعْرُوفًا﴾ أي: استصحاباً حسناً أي بخُلُق جميل، وحلم جزيل، وبرّ، وصلة ، وحسن اتصال ووصلة وغير ذلك مما يقتضيه نعت الكرم وصفة المروءة وطريقة الفتوة.

﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ ورجع لديّ وعاد بين يديّ يعني اتبع مقتضى دينك ومرتضى اعتقادك ويقينك لا دينهما، وإن كنت مأموراً بحسن المعاشرة ومحصوراً على لطف المحاضرة. ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ ومرجعهما ومرجع الكل فأُجازيك على إيمانك وإطاعتك لهما صلة ووصلة، وأُجازيهما على كفرهما، وأجازي الكل على ما فعلوا من الكفر والطاعة والمعصيات وخلوص العقيدة وصفاء الإيمان وضياء الإيمان.

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ﴾ أي: الخصلة المحمودة أو المذمومة. ﴿إِن تَكُ﴾ من تكون فحذفت الواو لالتقاء الساكنين، والنون للتخفيف يعني إن تك تلك الخصلة ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ أي: مقدار ثقل حبة. ﴿مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ مثلاً في الصغر، والضمير المؤنث ضمير القصة وكان تامة،﴿فَتَكُن﴾ تلك الخصلة أو آثارها ومقتضياتها .

﴿فِي صَخْرَةٍ﴾ أي: حجر صماء صلب. ﴿أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ السبع التي يكون ما فيها ثابت غير متغير ولا متبدل بل يكون محفوظاً. ﴿أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ السبع في أخفى مكان وأحرزه كجوف صخرة. ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ ويحضرها فيحاسب عليها. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ بعلمه سار في جميع

الكائنات وعموم أصل المكنونات والكل حاضر عنده وهو ناظر لها، ﴿خَبِيرٌ﴾ عالم بها ظاهرها وباطنها فاستوى الحضور والغيبة لديه .

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المطلقة أو المكتوبة لتكميل نفسك وتحصيل قرب القلب بربك، فإنهما لا تحصلان إلا بالصلاة لأنَّها عبادة جامعة تعمُّ البدن والنَّفس والقلب والفؤاد والصدر والسرّ لقوله ع م: (لاصلاة إلا بحضور القلب الحديث)[٢٩٢]. ﴿وَأۡمُرۡ﴾ الخلق ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ بالمعروف لقوله ع م :(مر بالمعروف)[٢٩٣] أي: بما يكون معروفاً وحسناً مألوفاً ومطبوعاً معطوفاً إليه، موافقاً للحكمة الإلهية لقوله تعالى: ﴿أُدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[٢٩٤]. ﴿وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ تكمُلاً لغيرك بالتزيين البدني بالأحكام بالأحكام الشرعية والأعلام العرفية والتزكية النفسية عن القبائح العقلية والفضائح العملية والتصفية القلبية عن الأخلاق الردية والأوصاف الدنية والتجليات السرية عن صور الأغيار، ودور الأطوار والتجليات الروحية عن مشاهدة أفعال الغير والتجليات الخفية بمشاهدة التجليات الإلهية، وبالتحقق بالتجليات الأفعالية والأسمائية والذاتية.

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ في سبيل الجهاد الأكبر وطريق الاجتهاد الأكثر. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على البليات.

---

٢٩٢ لم أقف عليه.

٢٩٣ الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى، *مسند أبي داود الطيالسي* ،المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، ٢ ،١٠٤ رقم الحديث ٧٧٥ .

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، *السنن الكبرى* .

المحقق: محمد عبد القادر عطا، ١٠ ،١٦١رقم الحديث ٢١٣١٣.

٢٩٤ النحل: ١٢٥/١٦.

﴿مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ لما عرفه الله من الأُمور التي قطعها قطع إيجاب وإلزام، كما قال ع م: (لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الَّليل ولم يقطعه بالَّليل)[٢٩٥]، ومنه أنَّ الله يحب أن يُؤخذ برخصه كما يُحب أن يُؤخذ بعزائمه، ومنه قولهم: عزمة من عزمات ربنا ومنه: عزمات الملوك إذا قال لبعض من تحت يده عزمت عليك ألا فعلت كذا ؟ إذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بُدٌّ من فعله ولا مندوحة في تركه وحقيقته أنَّه من تسمية المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الأُمور، أي: مقطوعاتها ومعزوماتها ويجوز أن يكون مصدر في معنى الفاعل أصله من عازمات الأُمور، فهذه الآية مُؤذنة بقدم هذه الطاعات وأنَّها كانت مأموراً بها في سائر الأُمم، وأنَّ الصَّلاة لم تزل عظيمةُ الشأن سابقة القدم على ما سواها لما فيها من خصائص العرفان، ولا يواظب عليها إلّا من هو كامل الإخلاص في الإيمان، ولذا رجحت على ما سواها موصى بها في الأديان كلها.

﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ بالتشديد والتحقيق بالألف يقال: أصعر خده وصعّره وصاعره، كقولك أعلاه وعلاه وعالاه بمعنى واحد، والصَّعر والصيد داء، أي: لا تحقر نفسك عند الناس لطمع الدنيا. ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا﴾ أي: تمرح مرحاً أو وقع المصدر موقع الحال، بمعنى مرحاً أو لأجل المرح والأشر، أي: لا يكن غرضك في المشي إلا البطالة والأشر والبطارة، كما هو شأن كثير من أهل الزمان من غير أن يكون غرضهم كفاية مهم ديني أو دنيوي لحق قوله تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس﴾[٢٩٦]. ﴿مُخۡتَالٍ﴾ مقابل للماشي . ﴿مَرَحًا﴾ وكذلك . ﴿فَخُورٍ﴾ للمصعر خده كبراً.

﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾ أي: توسط واعتدل فيه حتى يكون مشياً بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثيب الشطار، قال رسول صلعم: (سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن)[٢٩٧]

---

٢٩٥ أخرجه النسائي بلفظ (أنبأ أحمد بن الأزهر قال حدثنا عبد الرزاق عن بن جريج عن بن شهاب عن سالم عن بن عمر عن حفصة أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له) رقم الحديث(٢٦٤٣)

٢٩٦ الأنفال: ٤٧/٨.

٢٩٧ الألباني، *سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة* ، ص ،٥٥ .

وأما قول عائشة في عمر رضي الله عنهما كان إذا مشى أسرع[٢٩٨] فإنَّما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت قرئ بقطع الهمزة، أي: شدَّد في مشيك، من أقصد الرامي إذا شدَّد سهمه نحو الرَّمية.

﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ﴾ أُنقص منه واقصر من قولك، يقال فلان نقص من فلان إذا قصره ووضع منه. ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ﴾ وأوحشها ،وأخسها ،وأكرهها من قولك شيء نكر إذا أنكرته النفوس واستوحشته ونفرت عنه. ﴿لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ والحمار مثل في الذم البليغ من أنَّهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون: الأُذن الطويل يكنى عن الأشياء المستقذرة وقد عدّ مساوئ الآداب أن يجري ذكر الحمار في المجلس أولى المروءة والفطانة وحسن الرؤية؛ ومن العرب من لا يركب الحمار إستنكافاً من اسمه وفيه ما هو أشدّ حذراً وهو سراية البلادة منه إلى راكبه، إذ مجرد الملابسة تُؤثر، كما اشتهر الصحبة تُؤثر فتشبيه الرافعين أصواتهم وتمثيل أصواتهم بالنهاق ثم إخلاء الكلام من أدات التشبيه وإخراجه مخرج الاستعارة وإن جعلوا حميراً وأصواتهم نهاقاً مبالغةً شديدةً في الذَّم والتهجين وإفراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على أنَّه من كراهة الله بمكان، وتوحيد الصوت باعتبار الجنس[٢٩٩] لا الإفراد[٣٠٠].

﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الكواكب السبعة السيارة والنجوم الثابتة والملائكة المدبرة والنفوس العاملة بأنَّ حركهم وأمرهم لتدبير أحوال الإنسان من التغذية والتنمية وتوليد المثل.

﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من المعادن والنبات والحيوان لتصل منافعها إليكم ولتحصيل المعرفة ووفور إدراك ومرور المشاعر الشاعرة العشرة لاستحصال بادي النتائج الإلهية والمعارج الرَّبانية واستحصال الأحوال والحالات العالية والمقامات الرفيعة لأنَّ الغرض إيجاد السماوات والأرض

---

٢٩٨ أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥هـ)، *الباعث على إنكار البدع والحوادث*، المحقق: عثمان أحمد عنبر، دار الهدى، القاهرة، ط: الأولى، ١٣٩٨ – ١٩٧٨، ص ،٨٢ .

٢٩٩ الجنس: كلي مقول على كثيرين مختلفين بالحقيقة في جواب ما هو. المناوي، *التعاريف*، ص،٢٥٦ .

٣٠٠ الفرد: ما تناول شخصا واحدا دون غيره ذكره ابن الكمال وقال الراغب ما لا يختلط به غيره فهو أعم من الوتر وأخص من الواحد. المناوي، *التعاريف*، ص،٥٥٣ .

والجن والإنس إلا ليعبدون الله ويعرفونه من حيث الذات والأفعال والأسماء والصفات ولذا استحق الإنسان لأن يتسخر كل الكائنات له من الجواهر المجردة والعقول والأرواح والنفوس العاملة والأجرام[٣٠١] السماوية والأجسام[٣٠٢] العنصرية كل منها فيكم لمصلحة العقل للعلوم والإدراك[٣٠٣] والنفس للعمل والروح للحياة والجسم لقبول الفيض الإلهي.

﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ﴾ كالحواس الظاهرة، والأجزاء الناثر والجوارح الشاعرة والبقاء المتجددة الدائرة والصحة السائرة.

﴿وَبَاطِنَةٗ﴾ من القوى المدركة وغير المدركة من الأرواح النباتية والحيوانية والإنسانية والأعضاء الحاملة لها كالكبد والقلب والدماغ وما يتبعها من العلوم والإدراكات والمعارف والأفعال والأحوال.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾ أي: يخبر عن صحة هذه الأُمور المذكورة ووقوع هذه الأحوال المزبورة. ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ لأنَّه ما بلغ إلى مقام هذه الأُمور ليتحقَّق عنده علمها. ﴿وَلَا هُدٗى﴾ أي: ما وصل إليه علم هذه الأُمور من نبي ولا من كامل حكيم فاضل. ﴿وَلَا كِتَٰبٖ﴾ نازلٍ منَ الله تكون هذه الأحوال ثابتة فيه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ﴾ وتقبلوا . ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ على محمد من القرآن الذي فيه علوم الأوَّلين والآخرين.

---

٣٠١ الجرم : بالضم القطع والجناية وبالكسر الجسد مطلقا والجسد الصافي. القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، *دستور العلماء*، ص،٢٦٨ .

٣٠٢ الجسم : جوهر قابل للأبعاد الثلاثة وقيل الجسم هو المركب المؤلف من الجوهر. الجرجاني، *التعريفات*، ص،١٠٣.

٣٠٣ الإدراك : هو عبارة عن كمال يحصل به مزيد كشف على ما يحصل في النفس من الشيء المعلوم من جهة التعقل بالبرهان أو الخبر. أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، *الكليات*، ص،٦٦.

﴿قَالُواْ﴾ ما نتبع هذا الكتاب ولا نقبل ما فيه من الأحكام والشرائع . ﴿بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ﴾ من عبادة الأصنام والرُّكوب على مطية المعاصي والكفران والتبري من أهل العلم والعرفان من الأنبياء وسائر أفراد الإنسان.

﴿أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ الذي أضلَّهم عن طريق الهُدى وأدلَّهم إلى الغباوة والغواية والطُغيان والهوى.

﴿يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ وعقاب سوء المصير.

﴿وَمَن يُسۡلِمۡ﴾ ويفوض ويجعل ذاته ونفسه وقلبه وكليته بأن يتوكَّل ويفوض أمره ظاهراً وباطناً. ﴿وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ بأن يظهر في مقام الإساءة الإحسان . ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ من باب التمثيل، مثل حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من جبل شاهق فاحطاط لنفسه بنفسه.

﴿إلي المصير﴾ يصير ويرجع عاقبة الأُمور تقديم. المجرور مفيد للحصر. ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بالله وبما جاء منه. ﴿فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓ﴾ لأنَّه بالتَّحقيق. ﴿إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾ ولدينا أوَّلهم وآخرهم ومآلهم. ﴿فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ نُمَتِّعُهُمۡ﴾ زماناً . ﴿قَلِيلٗا﴾ بدنياهم. ﴿ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾ شبه إلزامهم التعذيب وإزهاقهم إياه بإضطرار المضطَّر إلى الشيء الذي لا يقدر على الإنفكاك منه والغلظ مستعاره من الأجسام البسيطة الكثيفة كالأرض المراد شدة . والثقل على المعذب ودوامه وبقاؤه ولوأمه.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ من الكواكب وغيرهما التي ذكرنا ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ إذاً لكل مجهولٍ على ما تقتضيه الفطرة السَّليمة التي مقتضاها الإسلام؛ كما ورد في الحديث: وبتلك الفطرة ينتصرون ما بدل على هذا.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على إلزامهم وإلجائهم على الاعتراف بما يوجب بطلان اعتقادهم.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إن في ذلك إلزامهم وإلجائهم.

﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خلقاً وعباداً إذ لا يستحقُّ العبادة فيهما غيره. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن حمد الحامدين وطاعة المطيعين وعبادة العابدين وكفر المشركين وعصيان العاصين، وفي الحديث القدسي: (يا ابن آدم إنَّ أوَّلكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم لوا كانوا على قلب عبد مؤمن ما زاد في مُلكي شيء لو أنَّ أوَّلكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم لو كانوا على قلب عبد فاجر ما نقص من مُلكي شيء)[٣٠٤].

﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ الذي يحمد بذاته ويمدح بأسمائه وصفاته من غير إحتياج إلى غير.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ أي: ثبت أنَّ البحر المحيط بسبعة مداد يمد سبعة أبحر مملوءاً بالمداد والواو للحال كون البحر المدود فأغنى عن ذكر المداد يمده لأنَّه من مد الدواة وأمدها ورفعه للعطف على محل إنَّ ومعمولها ويمده حال أو الإبتداء على أنَّه مستأنف والواو للحال يعني جعل البحر الأعظم بمنزلة الدواة والأبحر السبعة مملوءة مداداً، فهي تصب فيه مداداً أبداً صباً لا ينقطع، ولو أنَّ أشجار الأرض تكون أقلاماً والبحر وممدود بسبعة أبحُر وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات .

---

٣٠٤ *مسلم*، باب تحريم الظلم ، ٢٥٧٧.

﴿مَّانَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ لو نفدت البحور وتلاشت الأقلام كما قال: ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلماتُ ربي ولو جئنا بمثله مدداً﴾[٣٠٥]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ قوي قادر على كل الأشياء لا يعوقه عائق ولا يمنعه مانع خالق. ﴿حَكِيمٌ﴾ عالم محكم متقن أحكامه وأفعاله.

﴿مَّاخَلۡقُكُمۡ وَلَابَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ أي: إلا كخلقها وبعثها. فإنَّ نسبة قدرته وإرادته المخصصة إلى الكل في الإيجاد والبعث كنسبتها إلى نفس واحدة لا تفاوت بين الخلقين والبعثين، لأنَّه لما تحقق الخلق والبعث نسبته إلى القليل والكثير والصغير والكبير على السواء لعدم تناهي مرتضى قدرته ومقتضى إرادته.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ يسمع دواعي الطالبين واستدعاء الراغبين لا يفوت عن سماعه شيء أصلاً لا قليل ولا كثير ولا خفي ولا جلي. ﴿بَصِيرٌ﴾ يبصر استعداد الأشياء التي تطلب الظهور والوجود.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ أعني يدرج أجزاء اللَّيل في أجزاء النَّهار ، ويندمج فيها إندماج السَّواد، في البياض ، وتندمج أجزاء البياض، في السَّواد وذلك عند تجاوز النير الأعظم من نقطة الانقلاب الشتوي صاعداً إلى الأوج فيندمج سواد الليل في بياض النَّهار شيئاً فشيئاً إلى تمام الليل والنهار. هكذا تندرج أجزاء سواد اللَّيل في أجزاء بياض النَّهار؛ وذلك يختلف بحسب اختلاف عروض الآفاق فإنَّ العرض إذا بلغ تمام الميل الكل وهو سبق وجلب في نقطة الشتوي فح تندمج جميع أجزاء سواد اللَّيل في جميع أجزاء بياض النهار. فإذا تماس النير الأعظم بالأُفق فلا تغرب الشمس في ذلك اليوم، فيكون طوال النَّهار في هذا العرض أربعة وعشرون ساعة، فتصير جميع أجزاء ظُلمة اللَّيل بياض النهار. وإذا انقلبت الشمس إلى النصف الآخر وانعكس الأمر انتكس الحكم.

---

٣٠٥ الكهف: ١٠٩/١٨ .

﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ في هذا الأمر في هذا العرض فإنَّ حال القمر أيضاً متفاوتة يكون في نصف الشَّهر إذا كان عرضه شمالياً فوق الأرض، وفي النصف الآخر إذا كان عرضه جنوبياً تحت الأرض في جانب الشمال. وفي جانب الجنوب ينعكس الأمر. ﴿كُلٌّ﴾ منهما .

﴿يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ في الشَّمس في آخر السنة وفي القمر في آخر الشهر، أو إلى آخر الدورة النورية الجمالية وإلى آخر الكورة الظلية الجلالية وهي القيامة والفرق بين قوله: ﴿إلى أجل مسمى﴾ وقل ﴿لأجل مسمى﴾ أنَّ الأجل ههنا منتهى الجري وتم عرضه حقيقةً ومجازاً وكلا المعنين حاصل في الغايات.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ أي بمعمولاتهم أو بأعمالهم. ﴿خَبِيرٞ﴾ وعالم بصير ظاهراً وباطناً.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكر من سعة النية وشمول القدرة وعجائب الصنع وعموم الإرادة وهجوم الحكمة وإختصاص الباري .

﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ أي: الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته أو الثابت إلهيته. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ المعدوم في حدّ ذاته لا يوجد ولا يبصروا لا يجعله أو الباطل إلهيته . ﴿وَأَنَّ ٱلۡكَبِيرُ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ بذاته وأسمائه وصفاته . ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾ المحيط بكل شيء المتسلط عليه بالأُلوهية.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ أي لسبب تحصيل أنواع نعمه وتهيء أسبابه وهو استشهاد آخر على تمام قدرته وكمال حكمته وشمول إنعامه والباء للصلة أو الجار. ﴿لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ وعلاماته ودلائله وأماراته.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي تسخير الشمس والقمر أو في إجراء الفلك في البحر وإرادة آياته وإستبصار آماراته. ﴿لَآيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على الوثاق وجهاد نفسه في التفكر في الآفاق والأنفس . ﴿شَكُورٍ﴾ يعرف النعم ويتعرف أو المؤمنين عطف على صبار فإن الإيمان بضعان، صبر، وشكر، كما ورد في الحديث: (الإيمان بضعان[٣٠٦]: نصف في الصبر، ونصف في الشكر)[٣٠٧] .

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ﴾ متراكم ومرتفع ومنخفض موج فوج. ﴿كَٱلظُّلَلِ﴾ أي: كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال من جبال وسحاب أو غيرهما. ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ متحققين بكمال الخلوص ووفور الإخلاص.

﴿لَهُ ٱلدِّينَ﴾ والجزاء يجازهم على إخلاصهم لخلوهم عما ينازع الفطرة الأُولى السليمة من الهوى والرعونة والرياء والتقليد وكدورة الدعوى. ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ﴾ وأخلصهم وأخرجهم ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ ثابت ومقيم وثابت على طريق القصد الذي هو الاعتدال في التوحيد والاقتصاد في التفريد. ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ جبار متكبر غدّار مكّار متعظم . ﴿كَفُورٍ﴾ المنعم الظاهرة والمنج الباطنة الفاجرة.

---

٣٠٦ الحديث (الإيمان نصفان، نصف في الصبر ونصف في الشكر) ،الديلمي ،أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الهمذاني الملقب إلكيا، سنة الوفاة ٥٠٩ هـ، *الفردوس بمأثور الخطاب* ،تح: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، سنة النشر - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، بيروت، ١،١١١.

٣٠٧ أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري، *مسند الشهاب*، تح: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، رقم الحديث ،١٥١.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ﴾ وأُحذر من قهر غضبه، وثوران قهره وانتقامه وسخطه. ﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي﴾ ولا يغني ولا ينتفع. ﴿وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ لكمال الحيرة ووفور الدهشة وغلبة الغيرة. ﴿وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ﴾ نافع ومغني . ﴿عَن وَالِدِهِۦ﴾ لكمال اشتغاله بنفسه.

﴿شَيۡـٔٗا﴾ من النفع والشفاعة لأنَّ الكافر لا يتصور في الآخرة منه نفع ما فضلاً عن الشفاعة.

﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ ثابت لا دافع له ولا رافع لمقتضاه . ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ ولا تخدعنَّكم كثرة لذاتها وحطامها ومشتهياتها وشرمها وكرمها لسرعة زوالها وقلة ثباتها ومشوبها بالغصص ومجبولها مصبوب بالفرض.

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ هو الشيطان أو الدنيا أو تمنيكم في المعاصي المغفرة.

قيل: الغرّة بالله أن يتمادى الرَّجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة، أو ذكر حسناتك وسيئاتك،[٣٠٨] لأنَّ الشيطان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجزيكم على المعاصي بسيئاتكم السيئات السابقة وتذكرك عن السيئات تجري على الأقلام على ارتكاب الذنوب والمساوئ والمذمومات.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي علم وقت ظهورها.

روي أنَّ رجلاً محارباً وهو الحارث بن عمرو أتى رسول الله صلعم فسأل عنها فقال: (إني قد ألقيت حياتي في الأرض وقد أبطأت عنّا السماء فمتى تمطر وأخبرني عن إمرأتي ما في بطنها أذكر هو أم أنثى؟ وما أعمل غداً ؟ وأين أموت ؟ [٣٠٩] فنزلت، وقال: عنده مفاتح الغيب خمسة) وتلا هذه الآية[٣١٠].

---

٣٠٨ الزمخشري، *الكشّاف*، ٣، ٥١٠ .

٣٠٩ مصطفى درويش محيي الدين بن أحمد (المتوفى : ١٤٠٣هـ)، *إعراب القرآن وبيانه*، دار الإرشاد للشئون الجامعية سورية، (دار اليمامة بيروت) ، (دار ابن كثير بيروت) ط: الرابعة ، ١٤١٥ هـ، ٧، ٥٦٧

٣١٠ *الزمخشري الكشّاف*، ٣ ، ٥١١.

﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ والمطر. ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ مذكر ، أو مؤنث ، أو خنثى مشكل[٣١١] أو غير مشكل. ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ وما الخير، والشر، والنفع، والضرّ، والطاعة، والعصيان، والكفر، والإيمان، أينما يعزم على شيء ولا توفق له بل يفعل خلافه.

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ في مكانه أو غيره في البرّ، والبحر، بالقتل، والغرق، أو الحرق كما لا يدري في أيّ وقت يموت.

(روي أنَّ ملك الموت مرّ على سليمان فكان ينظر إلى رجل من هذا؟ قال: ملك الموت؛ فقال: كأنَّه يريدني فمر الرِّيح أن تحملني وتلقيني في الهند ففعل. فقال: الملك كان دوام نظري إليه تعجباً منه فإنِّي أُمرتُ أن أقبضَ روحه بالهند وهو عندك)[٣١٢] ، وإنَّما جعل العلم لله والدراية للعبد لأنَّ فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العالمين فيدل على أنَّه إن عمل حيلة وأبعد فيها ومعالم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف تغيره فما لم يتعين له دليلاً عليه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بالأشياء وأحوالها ولوازمها كلها بعد بواطنها وخفياتها كما يعلم ظواهرها ولوازمها الوجودية والعوارض الخارجية.

قال النبي عليه الصلاة والسلام: (من قرأ سورة لقمان كان لقمان رفيقاً له، يوم القيامة وأعطى من الحسنات عشراً عشراً بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر)[٣١٣].

---

٣١١ الخنثى المشكل: من له آلة الرجل وآلة المرأة ولم تظهر علامة علم بها أنه ذكر أو أنثى . وإنما يتأتى الإشكال ما دام صغيرا فإذا بلغ يزول الإشكال بعلامة أخرى وتلك العلامة إما خروج اللحية فيحكم بكونه غلاما عند ذلك أوعظم ثدييها فيحكم بكونها أنثى عند ذلك. القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، *دستور العلماء*، ٢ ،٦٥.

٣١٢ مصنف إبن أبي شيبه، ٨ ، ١١٨.

٣١٣: الجرجاني، يحيى المرشد بالله بن الحسين الموفق بن إسماعيل، رتبها: القاضي محيي الدين محمد، تح: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان .ط : الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ، ١ ،١٣١.

٥. سورة السجدة

﴿**بسم الله**﴾ الذي جعل الأرواح في عالم الملكوت والأمر ساجدين لكمال ربوبيته شاهدين لجماله في مراتب تكوينية.

﴿**الرحمن**﴾ الذي دبّر أمر المخلوقات أولاً من السماء الأحدية وفلك التجلي الذاتي إلى الأرض الإستعدادية التي أشار إليها بقوله: (لا يسعني أرضي ولا سمائي) وجوداً وما يترتب عليه علماً وشهوداً وما يركب بهما، إيماناً، وطاعةً، وكفراً، ومعصيةً، وإنكاراً، وجحوداً.

﴿**الرحيم**﴾ الذي عرج وأعاد ورجع وأفاد عود الكائنات وفود الممكنات من مضيق حضيض الكثرات إلى أوج فلك غيب الهوية في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وإلى ذروة تدوير الوحدة الذاتية والأحدية الجمعية في يوم كان مقداره ألف سنة.

﴿الٓمٓ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي: بحق ألف امتداد النفس الرحمانية التي مادة الامتدادات الثلث وهي الأبعاد المثلثة ولام الأُلوهية وميم المرتبة الجمعية الإلهية والكونية في النشأتين (م ي م) وهو آدم في النشأتين (بم بم ع آدم آدم) أي هو تنزيل الكتاب.

﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ إشارة إلى الأدوار الأربعة النورية وهي العظمى والكبرى والوسطى والصغرى. وجوه الإعراب مشيرة إلى هذه فالمبتدأ إشارة إلى فردارية الدورة العظمى التجلي الذاتي الذي هو بالعنوان الذاتي والأخبار الثلاثة المتوالية يشير إلى الأدوار الثلاثة التي تكون بالعنوان الوصفي أعني التجلي الاسمي والفعلي والآثاري ويحتمل أن يكون تنزيل الكتاب مبتدأ وما بعده خبره ويحتمل أن يكون من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ لأن قولهم هذا مفترى إنكار لا يكون من رب العالمين وكذا قوله:

﴿بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ وما فيه من تقرير أنه من الله وهذا أُسلوب حسن صحيح محكم أثبت أولاً أنَّ تنزيله من رب العالمين وأن ذلك لا ريب فيه ثم أضرب عن ذلك إلى قوله.

﴿أم يقولون افتراه﴾ لأن (أم) هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل. (الهمزة) للإنكار أضرب عن ذلك إلى إثبات أنه الحق من ربك نظيره أن يعلل العالم في المسألة بعلة صحيحة جامعة قد أحرز فيها أنواع الاحتراز كقول المتكلمين: النظر أول الأفعال الواجبة على الإطلاق والتي يغري عن وجوهها مكلف ثم تعرض عليه فيها ببعض ما وقع احترازاً منه فيرده بتلخيص أنه احترز من

ذلك ثم يعود إلى تقرير كلامه وتمشيه لا يقال كيف نفى الارتياب وقد وقع ما هو أطم وأغلب وأعلى منه وهو قولهم افتراه، لأنَّ معنى لا ريب فيه أنه لا مدخل للريب في أنه تنزيل الله لأن نافي الريب ومحيط معه ما لا ينفك عنه من الفعل الذي إذا تأمل فيه ارتدع عنه وما الافتراء فإما من هو متعنت مع علمه أنه من الله الظهور الإعجاز له أو جاهل تقوله قبل التأمل بالتقليد لأنه سمع من الناس.

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ وهم قريش لم يبعث الله إليهم رسولاً قبل محمد عليه السلام أو باعتبار الفترة الطويلة. ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون على الترجي من رسول الله صلعم، كما كان لعلّه يتذكر على الترجي من موسى وهارون.

الثاني: أن يستعار لفظ الترجي للإرادة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وما فيها. ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا وإنما آثر العدد لأنه عدد كامل مساوٍ بسائطه لما فيه من الثلث والسدس والنصف أعني الواحد والاثنين والثلاثة والمجموع أن يساوي الكل، أعني الست إشعار بأنّ أفعال الله وآثار قدرته وأنوار حكمته كلها كاملة، وأنَّ مراتب الوجود سبب لهذا السرد هي مرتبة الذات والأسماء والصفات والأفعال ومرتبة الخيال والبرزخ والآثار والكون الجامع، والإنسان الكامل الرافع، أعني اللاهوت والجبروت والملكوت والبرزخ والملك والناسوت. ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾ تقرر واستولى واستقر في آخر الأمر. ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ الصورة النوعية والهيئة الجمعية أعني الإنسان الكامل، (خلق الله آدم على صورته أو على صورة الرحمن) [٣١٤]، هذه العبارة مكتوبة في جميع الكتب الإلهية وفي الإنجيل: أنَّه قد خاطب الله تعالى الملائكة حيوا وتعالوا حتى ينزل على الأرض ويخلق خلقاً على صورتنا.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ الأمر الإلهي والإنسان الكوني مبتدأ، ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الأحدية ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ القابلة والعرض الاستعدادية أولاً في الأحدية الجمعية بالشئونات الذاتية، وفي الواحدية

٣١٤ *البخاري*، صحيح البخاري، باب يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم ٢٢٩٩.

بالصور العلمية والأعيان الثابتة والحقائق والماهيات الكونية، ثم في عالم الملكوت بالصور الروحية، ثم في المرتبة البرزخية بالمثل النورية والصور السبحة، ثم في عالم الملكوت بالهيآت الجسمانية، ثم في مرتبة الكون الجامع وهي عرش العروج وفرش النزول والولوج، مالك من دونه من ولي ولا شفيع على معنين:

أحدهما: أنكم إذا جوزع رضاءه لم تجدوا لأنفسكم ناصراً لأولياء ينصركم ويشفع لكم.

والثاني: أن الله وليكم وناصركم ومعينكم الذي يتولى مصالحكم وشفيعكم أي ناصركم على سبيل المجاز لأنَّ الشفيع ينصر المشفوع له، فهو كقوله: ﴿وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾[٣١٥] فإذا أخذ لكم لم يبق ولي ولا نصير يدبر الأمر، أي الأُمورية من الطاعات من العبادات والأعمال الصالحات من السماء الربوبية إلى الأرض العبودية، ثم لا يعمل ولا يصعد إليه ذلك المأُمورية من الطاعات صالحاً كما يريده الأمر وترتضيه إلا في مدة متطاولة، لقلة عباده الخالص المخلص. ونذره الأعمال الصالحة الصاعدة التي يصعدها النية الصافية والأمنية الوافية يدل عليه قوله، ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ ﴿أفلا تتذكرون﴾ الأمر بوفاء العهود.

﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ أي: من أيام المردة المرتبة العالية المبدأية فإنَّ يوماً من أيامها مقداره ألف سنة من أيام مرتبة الملك والشهادة، وذلك بما تفرد من أن دوائر المدارات اليومية المتوازية الموازية لمنطقة الفلك الأعظم كلَّما بعدت من المركز تكون أعظم. وأنَّ أفلاك جميع المراتب المرتبة الست وتمام العوالم الخمس منطبقة متطابقة مناطقها، والمدارات الموازية لها متوازية. فمناطق أفلاك عالم الملك والشهادة لكونها أقرب من مركز نقطة القلب التي تدور عليها دوائر مناطق أفلاك تمام المراتب. كما أشار إليها رئيس الكمل الشيخ العربي: الحمد لله الذي أدار الأفلاك بأنفاس بني آدم أصغره من مناطق أفلاك عالم البرزخ ومن دوائرها الدائرة على حقيقة القلب التي هي برزخ بين الملك والملكوت فيكون مدة قطعها أصغر، وكذا مناطق سماوات عالم الأمر ومرتبة الأرواح أعظم من مناطق أفلاك البرزخ، فيكون مدة قطعها أكثر كما مرّ من قوله تعالى: ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبراً جميلاً﴾[٣١٦].

---

٣١٥ الشورى: ٣١/٤٢ .

٣١٦ المعارج: ٤/٧٠-٥ .

﴿ذَٰلِكَ﴾ السماء التي يكون ابتداءً تدبير الأعيان المتعينة الكونية منها وهو عالم الأرواح ومرتبة الأمر والملكوت. ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ الذي لا يدركها بالمشاعر الظاهرة والباطنة .

﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أعني الملك وعالم الأجسام[٣١٧] الكثيفة قد يعبر عنها بالأرض إذا عبر عن عالم المجردات[٣١٨] بالسماوات وهي التي تدرك بالمشاعر[٣١٩] والحواس الظاهرة[٣٢٠]. وأما عالم البرزخ فهي التي يحكم عليها ويدرك أعيانها وأحوالها الحواس الباطنة دون الظاهرة، فعلى هذا عالم الغيب يعم البرزخ وعالم الأرواح والملكوت والجبروت وأعيانها. وأما عالم اللاهوت فهو غيب الغيوب، فالمراد بالتدبير كأن تعيين المعلومات المطلقة فح تعم الشئونات الذاتية والأعيان الثابتة والعقول في المرتبة الواحدية. وعالم الجبروت والأرواح والنفوس في عالم الملكوت، والأشباح في عالم البرزخ والأجرام الفلكية والأجسام العنصرية وما يتركب منها من المواليد الثلاثة في عالم الملكوت، وإن كان المراد بالتدبير تعليق الأرواح بالأبدان والنفوس بالأجرام والأجسام، فالغيب هو عالم الأرواح والبرزخ والشهادة هو عالم الملك والأبدان والأجسام. ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ القوي القادر على تعيين الأعيان المطلقة في المراتب والعوالم المذكورة، أو على تعليق الأرواح والمثل النورية والأشباح بالأبدان، والأجرام والأجسام، فعلى الأول يكون الغيب عاماً لكل ما لا يدرك بالحواس الظاهرة، فيتناول عالم البرزخ وعلى الكمال يكون الغيب مخصوصاً بالملكوت

---

٣١٧ الجسم: هو ما يتصل بمحسوسه في مقابلة الأذى وهو إيلام النفس وما يتصل بأحوالها وتشعر الضمة في الضر بأنه من علو وقهر والفتحة بأنه ما يكون عن مماثل ونحوه وقل ما يكون عن الأذى، المناوي، محمد عبد الرؤوف، *التوقيف على مهمات التعاريف*، سنة الوفاة ١٠٣١،تح: محمد رضوان الداية، دارالفكرالمعاصر، دار الفكر،سنة النشر ١٤١٠، بيروت، ص،٤٧٣.

٣١٨ المجردات : وهو مظهر عالم الأعيان الثابتة وهو مظهر الأسماء الإلهية والحضرة الواحدية وهي مظهر الحضرة الأحدية، الجرجاني، *التعريفات* ، ص،١٢٠.

٣١٩ الشعور: أول الإحساس بالعلم كأنه مبدأ إنباته قبل أن تكمل صورته وتتميز ذكره الحرالي. الجرجاني، *التعاريف*، ص،٤٣١

٣٢٠ والحواس خمس فِي الْعرف الْعَام وَهِي الْبَصَر والسمع والشم والذوق واللمس وَتسَمى الْحَواس الظَّاهِرَة، إبراهيم مصطفى،أحمد الزيات،حامد عبدالقادر،محمد النجار، *المعجم الوسيط*، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، ١٧٢،١ .

والجبروت واللاهوت وأعيانها، والشهادة تعم البرزخ وما فيه من المثل النورية والأشباح لأنها تدرك بالحواس والمشاعر الباطنة وأعيانها، وهي أوَّل ما يصور بالحبور اللَّطيفة البرزخية ولا يُدركها إلا القوة المتخيلة ولا يُدرك معانيها الجُزئية التي يتضمنها تلك الصور إلا القوة الوهمية .

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ لإعادتها وترجعها إلى شحثها الأُولى وأصلُها الأزلي والمقام الأصلي.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ﴾ أولاً في عالم الواحدية والجبروت بالصور العلمية، ثم في عالم الملكوت بالصور الروحية، ثم في المرتبة البرزخية بالصور الجسدية والمثل البرزخية، ثم في المرتبة الملكية والشهادة بالصور الجسمانية ثم في عالم الناسوت بالصورة النوعية والهيئة الكلية الجمعية وإليه الإشارة بقوله: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن طِينٍ﴾ وهو بالنسبة إليه حسن إذ إنسان هذه الدورة وهي الدورة الأخيرة من الدورة الصغيرة من الأدوار الأربعة النورية الجمالية مخلوق من الطين الذي جمع العناصر الثلاثة وهو المرتبة الطينية الرابعة فإنَّ لكل عُنصر من العناصر الأربعة أربع طبقات وأربعة مراتب فالدورة الأخيرة تناسب المرتبة الأخيرة من الأرض وهي الطين.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ﴾ ذريته سُميت به لأنَّها تنسل وتنفصل منه وتخرج من صلبه. ﴿مِن سُلَٰلَةٖ﴾ خلاصة، لأنَّها نسل من بين الكدر وفعالة بناء للقلة. ﴿مِّن مَّآءٖ﴾ متين متميزة .

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ وعدَّله وقوَّمه نحو: ﴿ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾[٣٢١].

﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ من باطنه وعيّنه لأنَّه ظاهر، وباطن، وأوَّل ، وآخر، لأنَّه خلقه على صورته. ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ﴾ يسمع كلام الله. فلو كان المراد السمع الظاهر لاختص بالسمع الحيواني المخصوصي بإدراك الأصوات والحروف. ويخرج منه كنت سمعه وبصره وما ورد في الحديث: (لكل قلب عينان وأُذنان وإذا أراد الله لعبد خيراً فتحهما)[٣٢٢].

---

٣٢١ التين: ٤/٩٥ .

٣٢٢ *لم أقف عليه*.

﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ جمع بصر وهي ما يُدرك الأشكال والألوان والمقادير. فليس المراد البصر الظاهري الحيواني؛ وإلا لخرج ما ذكر في الحديث[٣٢٣]. فالمراد منهما أعمُّ ليتناول ما في الحديث ، ولما في الحديث القدسي: (لا يزال العبد يتقرَّب إليَّ بالنَّوافل حتى أُحبه فإذا أحببتُهُ كنتُ سمعه وبصره فبي يسمع وبي يبصر)[٣٢٤].

﴿وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ جمع فؤاد وهو وجه القلب الذي يلي الروح وهو يشاهد وجه الله وتجلياته الآثارية ،والأفعالية ،والأسمائية ،والذاتية.

﴿فمن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً﴾[٣٢٥]﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾[٣٢٦] الآية .

﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ أي يكون شكرهم قليلاً وفي زمان قليل.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا﴾ في إختفانا، وغُيبنا، ودُفنا. ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من ضل الماء في اللَّبن إذا غاب فيه ونفذ فيه وتستر به.

﴿أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭ﴾ أي: خلقنا خلقاً جديداً بعد الموت والقائل أُبي بن خلف وجمعه باعتبار الاتباع وملاحظة الأشياع. ﴿بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ﴾ أي: مشاهدة تجلياته ومعاينة لقائه في الصور مكوناته.

﴿كَٰفِرُونَ﴾ جاحدون، وسائرون، ومنكرون، فلَّما ذكر كفرهم بالإنشاء أضرب عنه إلى ما هو أبلغ في الكفر وهو أنهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالإنشاء وحده.

﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾ ألا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع إلى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء والتوفى هو

---

٣٢٣ حديث *السابق*.

٣٢٤ *البخاري*، صحيح البخاري، باب التواضع، ٦١٣٧.

٣٢٥ الإسراء: ١٧/ ٧٢.

٣٢٦ النجم: ٥٣/١٢

استيفاء النَّفس مدة التصريف في الجسم والبدن. قال: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾[٣٢٧].

وقال: ﴿أخرجوا أنفسكم﴾[٣٢٨] وهو أن يقبض كلها لا يترك منها. مأخوذ من قولك: توفيت حقي واستوفيته إذا أخذته وافياً كاملاً من غير نقصان. والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع منها: تقصيته، وإستقصيته، وتعجلته، واستعجلته.

عن مجاهد: زُويت لملك الموت الأرض وجعلت له مثل الطشت يتناول منها حيث يشاء أو يتوفاهم ومعه أعوان من الملائكة[٣٢٩].

قيل: ملك الموت يدعو الأرواح كلها فتجيبه ثم يأمر أعوانه بقبضها[٣٣٠].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يجوز أن يكون الخطاب لرسول صلى الله عليه وسلم وفيه وجهان:

أحدهما: أن يراد به التمني كأنَّه قال وليتك ترى كقوله عليه السلام للمغيرة: لو نظرت إليها. والتمني لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون لأنَّه تجرع منها القصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله تمني أن يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء، والخزي، والغم، ليشمت بهم وأن يكون لو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرأيت أمراً فظيعاً أو لرأيت أسوء حال ترى ويجوز أن يخاطب به كل أحد كما يقول: فلأن لئيم إن أكرمته أهانك، وإن أحسنت إليه أساء إليك. فلا تريد به مخاطباً بعينه كأنَّك قلت: إن أكرم وإن أحسن إليه. (ولو، وإذ) كلاهما للماضي وإنَّما جاز ذلك لأنَّ المترقب من الله بمنزلة الموجود المقطوع به في تحققه ولا يقدر لنرى ما يتناوله كأنَّه قيل ولو تكون منكم الرؤية. (وإذ) ظرف له يستغيثون بقولهم.

﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ فلا يغاثون. يعني: أبصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك وكنا عُمياً وصماً. ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ إلى الدنيا بقوانا وإدراكاتنا وقدرتنا ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ أي عملاً مقبولاً ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ أي: ذوو إيقان ويقين وصاحبي إيمان وإيقان.

---

٣٢٧ الزمر: ٣٩/٤٢ .

[٣٢٨] الأنعام: ٦/ ٩٣.

[٣٢٩] *الطبري*، ٢١، ٩٨.

[٣٣٠] *الزمخشري*، ٣، ٥١٦.

﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾ على سبيل الإلجاء والقسر. ولكنَّنا بنينا الأمر على الاختيار لا الاضطرار ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ﴾ أي: ثبت قضائي وتحقق حكمي وثبت ندائي وهو: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ﴾ أي: مشاهدة يوم القيامة الذي يعاين فيه لقاء الله والفوز بمعاينة وجهه الكريم (سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر)[٣٣١].

قيل: ذاقوا العذاب نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة وقلة الكفر فيها والإستعداد لها .[٣٣٢]

والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعني أن الانهماك في الشهوات[٣٣٣] والانسلاك في تتبع اللذات أذهلكم وألهاكم عن تذكر العاقبة. وسلط عليكم نسيانها[٣٣٤] ثم قال: ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمۡ﴾ على المقابلة أي جزيناكم جزاء نسيانكم .

وقيل : هو بمعنى: الترك. أي: تركتم الفلك في العاقبة. فتركناكم من الرحمة[٣٣٥] وفي استئناف قوله: ﴿إنا نسيناكم﴾ وبناء الفعل على إنَّ واسمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى: فذوقوا هذا أي أنتم فيه من نكس الرؤس والخزي والغم.

﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾ الثابت المخلَّد في جهنم . ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ أي بسبب ما عملتم من المعاصي والكبائر الموبقة.

---

٣٣١ *البخاري*، صحيح البخاري، باب فضل صلاة العصر٥٢٩، *ومسلم*،باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة، ٦٣٣.

٣٣٢ تفسير الزمخشري، *الكشّاف*، ٥١٧،٣ .

٣٣٣ الشهوة: هي الشوق إلى طلب أمر ملائم للطبع أو حركة النفس طلبا للملائم. واعلم أن الشهوات ثلاثة شهوة البطن وشهوة الفرج وشهوة الجاه. النكري، *دستور العلماء*، ١٦٤،٢ .

٣٣٤ أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، سنة الوفاة ٧٤٥هـ، *تفسير البحر المحيط* ، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التح :زكريا عبد المجيد النوقي .أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، مكان النشر لبنان، بيروت، ٧،١٩٧ .

٣٣٥ أبو حيان الأندلسي، *تفسير البحر المحيط*، ٧،١٩٧ .

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ المؤمنون والأعيان الموقنون. ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ ووعظوا، ونصحوا.

﴿بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾ وتواضعاً لله ،وخشوعاً ،وانقياداً ،وخضوعاً ،وشكراً على ما رزقهم من الإسلام.

﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ونزهوا الله من نسبة القبائح إليه وأثنوا عليه حامدين له إشارة إلى كمال الجمعية بين مقتضى دورة الجمال ومرتضى كورة الجلال وهما التشبيه[٣٣٦] والتنزيه[٣٣٧] اللذين صفة الفاعل المحذوف وأُقيمت مقامه كما أشرنا إليه.

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أشار إلى أن مقتضى النور والجمال قد غلب على مرتضى الظل والجلال وأخفاه وقهره وأبقاه على الإستكبار.

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ أي يرتفع ويرتعد إضلاع خلفهم. ﴿عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ والفرش الموضوعة للنَّوم كغاية عن ترك الإضطجاع والنَّوم على الجُنب والظَّهر والبطن. ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ داعين خالقهم ومربيهم عابدين له.

﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي لأجل الخَوف عن عذاب ربهم والطمع بكمال رحمته وعموم رأفته ووفور نعمته.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ والمجرور متعلق به مقدم عليه، وهم المجاهدون في سبيل الله المتهجدون المقيمون صلاة اللَّيل التي كانت فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم، واللذين اقتفوا أثره فجعلوها فريضة على أنفسهم وهم الأئمة المعصومون من أهل بيته؛ ولذا أجمعوا على وجوب قضائها إن فاتت في النهار كما قدمنا في صدر الكتاب في باب البسملة وجهرها عن رسول الله صلعم في تفسيرها: قيام العبد من اللَّيل وعنه أيضاً: (إذا جمع الله الأولين والآخرين

٣٣٦- التشبيه: هي الدلالة على اشتراك أحد الشيئين للآخر في أخص أوصافه. *دستور العلماء* ، ١، ٢٠٢ .

٣٣٧- التنزيه: التبرئة ونزهت الله عن السوء برأته منه. *التعاريف* ، ١، ٢٠٩ . وقال الجرجاني التنزيه: عبارة عن تبعيد الرب عن أوصاف البشر، الجرجاني، *التعاريف* ، ١، ٩٣ .

يوم القيامة جاء منادٍ ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع القوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء، والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعاً إلى الجنة ثم يحاسب سائر الناس)[٣٣٨].

وعن أنس رض: (كان أُناس من أصحاب رسول الله صلعم يصلون من صلاة المغرب إلى العشاء الآخرة فنزلت فيهم) [٣٣٩].

وقيل: (هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها)[٣٤٠].

قيل: هي صلاة التهجد وصلاة العتمة يعمها.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ على بناء المفعول والفاعل، وهو الله يجوز فيه الوجوه الثلاثة: التكلم، والخطاب، والغيبة. من قرة أعين أي لا تعلم النفوس كلهن ولأنفس واحدة منهن ولا ملك مقرب ولا نبي مرسل أيّ نوع عظيم من الثواب أدخر الله تعالى لأولئك وأخفاه عن جميع خلائقه لا يعلمه إلا الله مما تقرّ به عيونهم. ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها.

ثم قال: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ فحسم أطماع المتمنين، وعن النبي صلعم يقول الله تعالى: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[٣٤١].

عن الحسن: أخفى القوم أعمالاً في الدنيا فأخفى لهم ما لا عين رأت لها [٣٤٢].

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ هما محمولان على لفظ من. ﴿لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ محمولاً على المعنى بقرينة.

---

٣٣٨ *تفسيرابن أبي حاتم*، ٨، ٢٦١٠. المَرْوَزِي ،أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي ،مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر،اختصرها: العلامة أحمد بن علي المقريزي، ١، ٣٦ .

٣٣٩ *أخرجه أبوداود* بهذا اللفظ (١٣٢١) عن أنس بن مالك، في هذه الآية: {تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون} السجدة : ١٦، قال: كانوا يتيقظون ما بين المغرب والعشاء يصلون، وكان الحسن يقول : قيام الليل.

٣٤٠ النيسابوري، *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، ٥، ٤٧٣.

٣٤١ *البخاري*، صحيح البخاري، باب ماجاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ٣٠٧٢ . *ومسلم*، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢٨٢٤ .

٣٤٢ *تفسير القرطبي*، ١٤، ١٠٥ . *وتفسير الزمخشري، الكشّاف*، ٣ ، ٥٢٠ .

﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ نوع من الجنان. قال الله تبارك وتعالى: ﴿ولقدرآه نزلةً أُخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى﴾[٣٤٣] سميت بذلك لما روي عن إبن عباس قال: تأوي إليها أرواح الشهداء[٣٤٤].

قيل: هي عن يمين العرش، وقرئ جنة المأوى على التوحيد[٣٤٥].

﴿نُزُلَۢا﴾ عطاء النازل ثم صار عاماً.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ﴾ وخرجوا عن طاعة الله كافراً، ومشركاً، أو ظالماً من أهل الإيمان الذي إجترى على قلب المؤمنين بغير حق. ﴿فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ عذاب الدنيا من القتل والأسر وما محِنوا به من السنة سبع سنين.

قيل: هو عذاب القبر[٣٤٦].

﴿دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ عذاب الآخرة أي نذيقهم عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة والوصول إليه.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ عما كانوا عليه ويتوبوا عنه من الكفر، والشرك، والظلم، والفسق أي: لعلهم يريدون الرجوع رجوعاً كما سميت إرادة القيام قياماً إذا قمتم إلى الصلاة.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآ﴾ فلم يتفكر فيها؛ ثم لاستبعاد الأعراض عنها مع كمال وضوحها وعموم لووحها وإرشادها إلى اكتساب أسباب سعادة النشأتين وهو:

---

٣٤٣ النجم: ١٣/٥٣.

٣٤٤ *الزمخشري*، *الكشّاف*، ٣، ٥٢٠.

٣٤٥ *الزمخشري*، *الكشّاف*، ٣، ٥٢٠.

٣٤٦ *الزمخشري*، *الكشّاف*، ٣، ٣١٣.

التذكر بها والتفكر والنظر فيها. ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ أي إنا منتقمون ونكافيهم من المجرمين بالعذاب الأدنى والأعلى.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾ وأعطينا . ﴿مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ أي في شك وريب من لقاء ربك الكتاب فإنه حق ثابت مطابق للواقع لقوله: من ﴿وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾[٣٤٧] . أو من لقاء موسى الكتاب أو لقائك موسى وبالعكس وذلك يوجب الثبت ﴿وكلاً نقصُّ عليك من أنباء الرُّسل ما نثبِّت به فؤادك﴾[٣٤٨].

﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ كما جعلناه هدى لك ولأُمتك فلا تكُ في شك منه.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ﴾ من بني إسرائيل. ﴿أَئِمَّةً يَهْدُونَ﴾ الناس ويدعونهم إلى قبول ما في التوراة من الأحكام الإلهية. ﴿بِأَمْرِنَا﴾ وإرادتنا. ﴿لَمَّا صَبَرُواْ﴾ على صنوف المجاهدات وصفوف المشاق والبليات.

﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ يؤمنون إيماناً بلغ إلى كمال اليقين ومرتبة عين اليقين.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بأن يميِّز بين الحق من الباطل والمحق من المبطل. ﴿فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا من أمر الدِّين وحكم أرباب اليقين.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف والضمير في لهم لأهل مكة كأنَّه قيل أبقوا وثبتوا على الكفر ولم يهديهم والفاعل ما يدل عليه.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ لأنَّكم لا يقع فاعلاً فلا يقال: جاءني كم رجل. تقديره أولم يهد لهم كثرة أهلاكنا القرون أو هذا كما هو مضمونه ومعناه كقولك: يعصم لا إله إلا الله الدماء والأموال. ويجوز أن يكون فيه ضمير الله بدلالة القراءة بالنون.

---

٣٤٧ النمل: ٢٧/ ٦.

٣٤٨ هود: ١١/١٢٠.

﴿مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ الماضية والأدوار السالفة لعاد، وثمود، وقوم لوط ،وأصحاب مدين وغير ذلك . ﴿يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡ﴾ يعني أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الإهلاك. ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ تدل على كمال قدرته وشمول حكمته وعموم إرادته ومشيئته . ﴿أَفَلَا يَسۡمَعُونَ﴾ الآيات والبينات المعهودة.

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ﴾ ونطرده ونجر به. ﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ﴾ المنقطع نباتها المرتفع غلاتها. ﴿فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا﴾ عن إبن عباس هي أرض اليمن[٣٤٩] . ﴿تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡ﴾ من الزَّرع النابت والرَّبيع الثابت .

﴿أَفَلَا يُبۡصِرُونَ﴾ ولا يشاهدون هذه الحالات فيستدلون على كمال قدرته وعموم قوته وعموم حكمته وهموم فضله ورأفته.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أي الظفر ، والنصر ، وعده الله لكم علينا هل يقع إن كانت دعواكم صادقة.

﴿قُلۡ﴾ يا محمد إنَّ . ﴿يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ﴾ والظفر ، والنصر . ﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ وجحدوا وأنكروا آيات وحقية بيناته.

﴿إِيمَٰنُهُمۡ﴾ بالتقليد، وباللسان وذلك لما كان المؤمنون لدى أذية الكفار إياهم يستفتحون على المشركين. قالوا: متى هذا الفتح الذي يوعدنا به ويخوفنا؟ فأمر الله الرَّسول أن يقول هذا القول ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ ويمهلون، ويتركون، ويمهلون .

﴿فَأَعۡرِضۡ﴾ يا محمد في هذه الحالة . ﴿عَنۡهُمۡ﴾ واتركهم ولا تبال بتكذيبهم إياك.

---

٣٤٩ الجاوي، محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا، *مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد*، تح: محمد أمين الصناوي، ٢٤٤،٢ .

﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ غلبتهم عليكم والأمر ينعكس.

عن النبي صلعم: من قرأ سورة ألم تنزيل الكتاب ، وتبارك الذي بيده الملك، أعطى من الأجر كأنَّما أحيا ليلة القدر[٣٥٠].

وقال: من قرأ ألم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان في بيته ثلاثة أيام [٣٥١].

صدق الله وصدق رسول الله.

---

٣٥٠ الجرجاني، *دَرْجُ الدُّرر في تَفسيرِ الآيِ والسُّوَر*، تح: وَليد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة، بريطانيا، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ٣،١٣٩٤ .

٣٥١ جاء هذا الحديث بلفظ آخر (عن جابر- رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا ينام كل ليلة حتى يقرأ: ألم تنزيل الكتاب، وتبارك الذي بيده الملك)، ابن السُّنِّي، *عُجالةُ الرّاغِب المُتَمَنِّي في تخريج كِتَابِ «عَمَلِ اليَوم وَاللَيلة»* ،أبو أسامة، سليم بن عيد الهلالي، دار ابن حزم للطّبَاعة وَالنشر وَالتَوزيع، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢ هـ٢٠٠١ م، ٢،٧٦٩ .

٦ . سورة الأحزاب

﴿**بسم الله**﴾ الذي هزم أحزاب النفس وقواها. ﴿**الرحمن**﴾ الذي أهَّل نوع الإنسان بقبول إمامه كمال الجامعية وحمولها فروعها وأُصولها، جموعها وفصولها. ﴿**الرحيم**﴾ الذي جعل كثرة الصلاة وسيلة للنَّفس ووصولها .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ واحفظ نفسك من التعرض بغضب الله وقهرمانه بالالتفات إلى الغيز الخطاب عام وإن كان في الظاهر للنبي، كما علمت في قوله ﴿ولو ترى إذ المجرمون﴾[٣٥٢] الآية الخ.

عن أبي ذر قال: قال لي أُبي بن كعب كم تعدون سورة الأحزاب ؟ قلت: ثلاثاً وسبعين آية، قال: فوالذي يحلف به أُبي بن كعب إنَّها كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول[٣٥٣] ولقد قرأنا منها آية الرجم ﴿الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾ لعلَّ أراد أَبي ذر أن ذلك من جملة المنسوخات. وأما ما حُكي أنَّ تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة رض فأكلتها شاة داجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض؛ هذا ما في الكشاف. ولعُمري أنَّ مثل هذا الكلام والطَّعن مع اشتماله ظاهراً على التناقض يوجب توسيع الوهن في الدِّين والتشنيع على أهل الله وكون هذه الصحيفة في بيت عائشة لا ينافي كونها منسوخة وآية النسخ أكلها الداجن وإيراد النداء بغير اسم النبي تعليم من الله تع لعباده طريق تعظيم النبي بأن ينادي عما يدل على شرفه، وكماله، واسمه، الدال على تعينه وذاته المستحضر وقد يدرك في غير النداء ويقصد منه الأخبار فقط دون التعليم والتلبيس نحو ﴿ولقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز﴾[٣٥٤]، ﴿وقال

---

٣٥٢ السجدة: ٣٢ /١٢.

٣٥٣ روى عبد الله بن الإمام أحمد في "*زوائد المسند* " (٢١٢٠٧) ، وعبد الرزاق في "*المصنف* " (٥٩٩٠) ، وابن حبان في "*صحيحه*" (٤٤٢٨) ، والحاكم في "*المستدرك*" (٨٠٦٨) ، والبيهقي في "*السنن*" (١٦٩١١) ، وابن حزم في "*المحلى*" ١٢،١٧٥ ، من طريق عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ ، عَنْ زِرٍّ، قَالَ: قَالَ لِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: أَيَّنْ تَقْرَأُ سُورَةَ الْأَحْزَابِ؟ أَوْ كَأَيِّنْ تَعُدُّهَا؟ " قَالَ: قُلْتُ لَهُ: ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ آيَةً ، فَقَالَ: قَطُّ ، لَقَدْ رَأَيْتُهَا وَإِنَّهَا لَتُعَادِلُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَلَقَدْ قَرَأْنَا فِيهَا: (الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) قال ابن حزم رحمه الله هَذَا إسْنَادٌ صَحِيحٌ كَالشَّمْسِ، لَا مَغْمَزَ فِيهِ انتهى. وقال ابن كثير رحمه الله وَهَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ، وَهُوَ يَقْتَضِي أنه قد كَانَ فِيهَا قُرْآنٌ ثُمَّ نُسِخَ لَفْظُهُ وَحُكْمُهُ أَيْضًا، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ انتهى من *تفسير ابن كثير* ٦،٣٣٥.

٣٥٤ التوبة، ١٢٨/٩.

الرسول يارب﴾[٣٥٥] ، ﴿ولقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة﴾[٣٥٦] ، ﴿والله ورسوله أحق أن يُرضوه﴾[٣٥٧] ، ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾[٣٥٨] وغير ذلك.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ ولا تُساعدهم على شيءٍ ولا تتابع رأيهم الفاسد طمعاً منهم الدخول في الدين ل ﴿إنك لا تسمع الموتى ولا تُسمع الصُم الدُعاء﴾[٣٥٩] الآية ، ولا تقبل منهم رأياً ولا مشورة، لأنَّهم أعداء الله وخصماء أرباب الإيمان وأصحاب اليقين، ولا يريدون إلا الضرر في الدِّين والغرر لأهل الإيمان ولأصحاب حق اليقين.

(رُوي أنَّ رسول الله لما هاجر إلى المدينة وكان يُحب إسلام اليهود، وقريظة، والنضير، وبني قينقاع، وقد بايعه أُناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم وإذا أتى منهم قبيح غير مشروع تجاوزعنهم وكان يسمع منهم فنزلت)[٣٦٠].

وروي أنَّ أبا سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وأبا الأعور السلمي، قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن أُبي، ومعتب بن قشير، والجد بن قيس : فقالوا لرسول الله: أُرفض ذكر آلهتنا، وقل أنَّها تشفع، وتنفع، وتدع ربك فشقَّ ذلك على رسول الله وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت. أي: اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تُطع الكافرين من أهل مكة، والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا إليك [٣٦١].

روي أنَّ أهل مكة دعوا رسول الله صلعم إلى أن يرجع عن دينه ويعطوه شطر أموالهم وأن يزوّجه شيبة بن ربيعة بنته، وخوفه منافقوا المدينة أنَّهم يقتلونه إن لم يرجع فنزلت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما في نفوسهم من النفاق والمرة والخداع وكمال الشقاق[٣٦٢].

---

٣٥٥ الفرقان ، ٣٠/٢٥ .

٣٥٦ الأحزاب: ٣٣ /٢١.

٣٥٧ التوبة: ٦٢/٩.

٣٥٨ الأحزاب: ٣٣/ ٦.

٣٥٩ النمل: ٨٢/٢٧ .

٣٦٠ *الزمخشري، الكشّاف*، ٣، ٩٥.

٣٦١ *الزمخشري، الكشّاف*، ٣ ، ٥٢٧.

٣٦٢ *الزمخشري، الكشّاف*، ٣، ٥٢٧.

﴿حَكِيمًا﴾ حاكماً عليهم على مقتضى الحكمةِ، ومرتضى المشيئة، وظهور الصواب والمصلحة، ودفع الحطة، والمفسدة على مقتضى الحال ،والوقت، الأُمور مرهونة بأوقاتها.

﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ من النهي عن طاعتهم. ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: اجعله وكيلاً في جميع الأُمور في الغيبة، والحضور، وأسند إليه أمرك، جهرك، وسرك، ونفعك، وضرك.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦ﴾ لأنَّ القلب بيت الله، ومن نور التَّوحيد فلا يكون إلا واحداً، ولأنَّ القلب أوَّل ما كون الله من أجزاء البدن فإنَّ أوَّل ما خلق الله في النُّطفة بعد إستحالتها علقة، ثم مضغة واحدة في الوسط، ثُم حركتها صعوداً ، وهبوطاً فخلق من النُّطفة الأُولى مادة القلب، ومن النُّطفة الصاعدة مادة الدَّماغ، ومن الهابطة مادة الكبر، ثم سائر الأجزاء، والجوارح، والأعضاء ثم جعل النُّطفة الأُولى مادة الروح الحياتي، والسالبة مادة الروح النباتي، وإنسانية مادة الروح النفساني، وأيضاً أنَّ الله تعالى خلق لإدراك الأشياء المفردة من المعاني والصور قوة واحدة بسيطة وهي القوة العاقلة. ولتدبير الأفعال البدنية المفردة قوة واحدة وهو النَّفس العاملة وأمّا الإدراكات المركبة والأفاعيل المتقدمة المترتبة وللصُّورة الجمعية، والهيئة الكلية، الإحاطية، الوحدانية، فلا بُدَّ أن يكون لها من قوة مركبة وهي القلب. خلقهُ الله تعالى من إزدواج القوة العاقلية ،والنَّفس العاملة ،والهيئة المركبة ،والصورة الجمعية الأحدية، وهذا المولود واحدٌ لا يقبل التَّعدد والتكثُّر وأيضاً قد علمت أنَّ الغرض من القلب : هو إدراك الأمر الواحد النوعي والكمال الجمعي والجمع الكمالي والقلب الواحد يكفي لإدراكه لا يحتاج إلى قلب آخر. ﴿وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾ يعني أنَّ الله تبارك وتعالى كما لم يرَ في حكمته أن يجعل للإنسان قلبين كما علمت، لم يرَ أيضاً أن تكون المرأة الواحدة أُمًا لرجلٍ زوجاً له؛ لأنَّ الأُمَّ مخدومة يخفض لها جناح الذُّل والزَوج مستخدمة متصرف فيها بالأفراش، والتمتع، والإنتعاش، وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان.

﴿وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾ جمع دعى، كأولياء، جمع ولي، وأنقياء، جمع نقى، أي: يجعل الزَّوجة والدعى الذين لا ولادة بينهما، ولو جمع الزوجة والأُمومة في امرأة واحدة للزم أن يكون الرَّجل الواحد دعيا لرجل وإبناً له لأنَّ البنوة أصالة في النسب، وعراقة منه، والدعة الصادق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشَّيء الواحد أن يكون أصيلاً غير أصيل. هذا مثل

ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيراً، وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتراه حكيم بن حزام لعمَّته خديجة فلَّما تزوَّجها رسول الله صلعم وهبته له، وطلبه أبوه، وعمه، فخير فاختار رسول الله صلعم فأعتقه، وكانوا يقولون: زيد بن محمد. فأنزل عزوجل هذه الآية وقوله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم﴾[٣٦٣].

وقيل: كان أبو معمر رجلاً من أحفظ العرب وأرواهم فقيل له ذو القلبين[٣٦٤].

وقيل: هو جميل بن أسد الفهري وكان يقول هو: إن لي قلبين[٣٦٥] وهو معلق إحدى أحدِ نعليه بيده والأُخرى في رجله فقال له ما فعل الناس فقال لهم ما بين مقتولٍ ،وهاربٍ، فقال له ما بال أحدى نعليك في رجلك، والأُخرى في يدك ؟ فقال ما ظننت إلّا أنَّهما في رجلي فاكذب الله قوله وقولهم، وضربه مثلا في الظهار، والتبني .

وعن إبن عباس: كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فأكذبهم الله[٣٦٦].

وقيل: سهى في صلاته فقالت اليهود له قلبان قلب مع أصحابه وقلب معكم[٣٦٧].

وعن الحسن نزلت في أنَّ الواحد يقول: نفس تأمُرني ونفس تنهاني[٣٦٨]، والتنكير في رجل وإدخال (من) الإستغراقية على قلبين تأكيدان، لما قصد من المعنى كأنَّه قال ما جعل الله لأُمة الرِّجال ولا لواحد منهم قلبين البتة في جوفه وفائدة ذكر الجوف كفائدة الصدر في قوله تعالى: ﴿القلوب التي في الصدور﴾[٣٦٩] ، وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التَّصور والتَّجلي للمدلول عليه لأنَّه إذا سمع به تصوَّر لنفسه جوفاً يشتمل على قلبين فكان أسرع إلى الإنكار، والظهار: أن يقول لامرأته أنتِ عليَّ كظهر أُمي ونحوه في العبارة عن اللفظ، لبى المحرم إذا قال: لبيك، وأفف الرَّجل إذا قال: أُفٍ وفي الجاهلية كان الظِّهار طلاقاً وكانوا يتجنبون المرأة المظاهرة منها

---

٣٦٣ الأحزاب: ٤٠/٣٣.

٣٦٤ *الزمخشري، الكشّاف*، ٥٢٨،٣ .

٣٦٥ *الزمخشري، الكشّاف*، ٥٢٨،٣ .

٣٦٦ الأصبهاني، محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري، (المتوفى: ٤٠٦هـ)، *تفسير ابن فورك*، تح: علال عبد القادر بندويش (ماجستير)، جامعة أُم القرى - المملكة العربية السعودية، ط: الأولى: ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م، ٨٠،٢.

٣٦٧ الخطيب الشربيني، *السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير*، ٢٢٠،٣ .

٣٦٨ الأصبهاني، *تفسير ابن فورك*. ٢٢٠،٣ .

٣٦٩ الحج: ٤٦/٢٢.

كما يتجنبون المطلقة، إذ المراد من قوله: أنتِ عليَّ كظهر أُمي، أنتِ حرام عليَّ كظهر أُمي في الإستمتاع.

﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ الذي ذكرتموه إلى آخره أو بعضه. ﴿قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡ﴾ لا حقيقة له ولا معنى موجود في الأعيان.

﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ﴾ ما له حقيقة وثبات في نفس الأمر.

﴿وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ الذي توصل إلى الحق والحقائق وإلى معرفته وكمال طاعته وعبادته المقرونة بكمال الخلوص والإخلاص.

﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ أي: أنسبوهم إليهم وكان المقصود من قوله لحقه وكان الرَّجل في الجاهلية إذا أعجبه جلد الرجل، وظرفه، ضمّه إلى نفسه وجعل له مثل نصيب الذَّكر من أولاده من ميراثه وكان ينسب إليه فيقال فلان بن فلان.

﴿هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ تعليل له الضمير المصدر أُدعوا. وأقسط فعل التفضيل قصد به من الزيادة مطلقاً من القسط والعدل ،ومعناه البالغ في الصدق.

﴿فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ﴾ على التعيين أشخاصاً معينة . ﴿فَإِخۡوَٰنُكُمۡ﴾ جزاء الشرط، مرفوع على الجزئية، ومبتدأه محذوف أي فهم إخوانكم. ﴿فِي ٱلدِّينِ﴾ يعني وإن لم يكن لكم علم بخصوصية آبائهم إلا أنَّه ثابت بإعتبار أنَّهم إخوانكم في الدِّين. ﴿وَمَوَٰلِيكُمۡ﴾ وهذا القدر من الانتساب كافٍ في الميراث، والتوريث ،والولاية ،فقولوا هذا أخي وهذا مولاي ويا أخي ويا مولاي.

﴿وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ﴾ وحرج، وإثم. ﴿فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ﴾ فيما فعلتموه في الانتساب والإرث مخطئين جاهلين قبل ورود النهي أو بعده على النسيان أو سبق اللسان. ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ﴾ واعلم أنَّ التَّبني، والانتساب بالابن بأن يقول: ابني لا عبرة له عندنا، وعند أبي حنيفة

يوجب عتق مملوكٍ ولا يثبت النَّسب لمجهوله وأمّا معروف النَّسب فلا يثبت إلّا أنَّه إن كان عبداً عُتق.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ عن الخطأ ،والعمل إذا تاب العامد. ﴿رَّحِيمًا﴾ أدخل من عفى عنه في رحمته.

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الكاملين في الإيمان الواصلين لحقيقة اليقين، والإتقان في الإيقان.

﴿مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ وأولادهم ومن كل محبوب ومرغوب (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)[٣٧٠].

ومنه أيضاً: (ما من مؤمن إلّا أنا أولى به في الدنيا والآخرة)[٣٧١] .

وفي قراءة ابن مسعود النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم.

قال مجاهد: كل نبي فهو أب أُمته ولذا صار المؤمنون إخوة فالنَّبي صلعم أبوهم.

﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ وذو القربات. ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾ في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الإسلام بالهجرة والموالاة في الدِّين. ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ واللَّوح المحفوظ أو فيما أوحى الله إلى نبيه وهو هذه الآية ، أو آية المواريث ، أو فيما فرض الله. ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ بحق الهجرة إلى أن يتعلق. ﴿إِلَّآ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗا﴾ استثناء من أعم العام في معنى النَّفع ،والإحسان كما يقول القريب أولى من الأجنبي إلّا في الوصية يريد أنَّه أحق منه في كل نفع من ميراثه ،وهبة ،وهدية ،وصدقة ،وغير ذلك إلّا في الوصية ،والمراد بفعل المعروف

---

٣٧٠ أخرجه البخاري في" كتاب *الإيمان*" باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان" رقم (١٥)؛ وأخرجه النسائي في" كتاب *الإيمان*" "باب علامة الإيمان "رقم (٥٠٢٩)؛ وأخرجه ابن ماجه في" *المقدمة* " "باب في الإيمان "رقم(٦٧)

٣٧١ البيهقي، *السنن الكبرى*، ٦،٢٣٨.

،التوصية ،لأنَّه لا وصية لوارث ،وإنَّما عُدي بإلّا في معنى تسدوا ، وتزلوا . والمراد بالأولياء ، المؤمنون ، والمهاجرون للولاية في الدِّين .

﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ المذكور في الآيتين جميعاً. ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ المشار إليه ثابتاً. ﴿مَسۡطُورٗا﴾ مبيناً مزبوراً.

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ أي: أُذكر حين أخذنا من النبيين جميعاً. ﴿مِيثَٰقَهُمۡ﴾ وعهودهم بتبليغ الرِّسالة ،والدعاء ،والدعوة عموم الخلق إلى الدَّين القويم والطريق المستقيم: وهو الإسلام. ﴿وَمِنكَ﴾ خصوصاً. ﴿وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ﴾ وتخصيصه بالوصف، لاختصاصه بمزيد الشرف.

﴿وَأَخَذۡنَا﴾ في المعهد الأوَّل والمرصد المؤل في بمقام (ألستُ بربكم) ﴿مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ عظيم الشأن أو مؤكداً باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف.

﴿لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡ﴾ ليسأل الله يوم القيامة عند توافق الأشهاد والمؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة مَن أشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم ؟ قالوا بلى عن صدقهم، عهدهم، وشهادتهم ، فيشهد لهم الأنبياء بأنَّهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين وليسأل الصادقين المصدقين للأنبياء عن تصديقهم لأنَّ من قال للصادق صدقت كان صادقاً في قوله أو ليسأل الأنبياء ما الذي أجابتهم به أُممهم ؟ وتأويل مسألة الرُّسل تبكيت الكافرين بهم كقوله تعالى: ﴿ءأنت قُلت للناس اتخذوني وأُمي إلهين من دون الله﴾ ؟ [٣٧٢] .

وتقديم الرَّسول على نوح وغيره، إشعارٌ بأنَّ نبوته ،ذاتية ،متقدمة على نبوات سائر الأنبياء ولذا صار أب الأنبياء طراكما علمت.

قال النبي عليه السلام: (إنِّي عند الله لخاتم النبيِّين وإنَّ آدم لمنجدل في طينته) .[٣٧٣]

وأيضاً قال: (كنت نبياً وآدم بينَ الرُّوح والجسد)[٣٧٤].

---

٣٧٢ المائدة: ١١٦/٥ .

٣٧٣ إبن حبان، محمد بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي،سنة الوفاة ٣٥٤، *صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان*، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، سنة النشر ١٤١٤- ١٩٩٣، بيروت، ٣١٣،١٤.

٣٧٤ *ابن أبي شيبة*: ٣٢٩،٧ حديث٣٦٥٥٣ .

﴿وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ لأنَّهم نقضوا عهودهم الذي عقدوا في المعهد الأوَّل .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ وهم الأحزاب.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ وهم الملائكة، وكانوا ألفاً، بعث عليهم صباً باردة في ليلة شاتية فأخصرتهم وأبردتهم.

قال النبي ع م: (نصرت بالصباء، وأهلكت عاد بالدبور، وسفت التُّراب على وجوههم، وضرب الله عليهم، وأمر الملائكة فقلعت الأوتاد، وقطعت الأطناب، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وماجت الخيول بعضها في بعض، وقذف في قلوبهم، وكثرت الملائكة في جوانب عسكرهم، فقال طلحة بن خويلد الأسدي: أما محمد فقد بدأكم بالسِّحر فالنجاء النجاء، فانهزموا من قتال وحين سمع رسول الله بإقبالهم ضرب الخندق على المدينة، أشار إليه بذلك سلمان الفارسي رحمه الله، ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره، والخندق بينه، وبين القوم، وأمر بالذراري، والنساء، فرفعوا في الآطام، واشتد الخوف، وظن المؤمنون كل الظن ونجم النِّفاق وظهر من المنافقين حتى قال معتب بن قشير: كان محمد يعدنا كنوز كسراء ، وقيصر لا نقدر أن نذهب إلى الغائط وكانت العرب قد أقبلت في عشرة آلاف من الأحابيش وهي : كنانة ، وأهل تهامة ، وقائدهم أبو سفيان ، وخرج غطفان في ألف ومن تابعهم من أهل نجد ، وقائدهم عيينة بن حصن، وعامر بن الطفيل في هوازن، وضامتهم اليهود، ومن قريظة، والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلّا الترامي بالنبل، والحجارة حتى أنزل الله النصر)[٣٧٥].

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ من أعلى الوادي من قِبل المشرق بنو غطفان. ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أسفل الوادي من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملةً واحدةً حتى نستأصل محمداً. ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصاً.

---

٣٧٥ ابن مَنْدَه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى (المتوفى: ٣٩٥هـ) ، *التوحيد ومعرفة أسماء الله عزوجل وصفاته على الاتفاق والتفرد*،حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: الدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دار العلوم والحكم، سوريا، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ١ ،٧٣ .

وقيل: عدلت عن كل شيء فلم تلتفت إلّا على عدوها لشدة الرَّوع[٣٧٦].

﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ جمع حنجرة: وهي رأس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم ، والحلقوم مدخل الطَّعام ، والشراب قالوا إذا انتفخت الرئة من شدة الفزع ، أو الغضب ، أو الغم الشديد ربت القلب وارتفع بارتفاعها إلى رأس الحنجرة. ومن ثم قيل، للجبان: انتفخ سحره. ويجوز أن يكون مثلاً في الإضطراب القلبي ووجيبها وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة .

﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ خطاباً للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والأقدام، والضعاف القلوب الذين هم على حرفٍ واحدٍ، والمنافقون الذين لم يوجد الإيمان إلا باللسان؛ فظنَّ الأوَّلون بالله أنَّه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزَّلل ، وضعف الإحتمال ، وأما الآخرون فظنُّوا بالله ما حكى عنهم وظنَّ المنافقون بأنَّ المسلمين يستأصلون.

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إشارةٌ إلى أمر الأخرات ونصبها. ﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ من شدة الفزع.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف إيمان، ونفاق.

﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ وعداً باطلاً قائله معتب بن قشير قال: يعدنا محمد فتح فارس، والروم، وما هو إلّا وعد غرور.

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ هم أوس بن قيظي ومن وافقه على رأيه، وعبدالله بن أُبي وأصحابه. ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾ إسم المدينة أو إسم أرضٍ وقعت المدينة في ناحية منها. ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ بفتح الميم وضمها ، أي: لا قرار لكم ولا مكان تقيمون فيه أو يقومون. ﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ إلى المدينة وأمروهم بالهرب.

---

٣٧٦ سعيد حوى، *الأساس في التفسير*، ٨، ٤٤٠١ .

قيل: قالوا لهم ارجعوا كفاراً وأسلموا محمداً وإلّا ليست يثرب لكم بمكان[٣٧٧]. ﴿وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ﴾ للرجوع حال كونهم. ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ﴾ غير حصينة أن يعيدون بل هي حصن حصينة. ﴿إِن يُرِيدُونَ﴾ أي: ما يريدون بهذا الكلام . ﴿إِلَّا فِرَارٗا﴾ من القتال ،والمحاربة.

﴿وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا﴾ المدينة ، أو بيوتهم من العساكر من أطرافها وجوانبها ، وحذف الفاعل للإيمان ، بأنَّ دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيّان في اقتضاء الحكم المرتب عليه. ﴿ثُمَّ سُئِلُواْ﴾ عن ذلك الفزع ، وتلك الرجفة . ﴿ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ الردة، والرجعة الى الكفر، ومقاتلة المسلمين. ﴿لَأٓتَوۡهَا﴾ وأعطوها. ﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ﴾ أي: بالفتنة وما ألبثوا إعطاءها.

﴿إِلَّا يَسِيرٗا﴾ ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف. أو ما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم إلا يسيراً فإن يهلكهم والمعنى أنَّهم يتعلَّلون بإعوار بيوتهم، ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله، والمؤمنين وعن مصافة الأحزاب الذين ملؤهم هولاً، ورعباً هؤلاء الأحزاب كما هم لو كسبوا عليهم أرضهم، وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل: لهم لو كانوا على المسلمين لسارعوا إليه وما تعلَّلوا بشيءٍ وما ذلك إلا لمقتهم وبغضهم الإسلام ،وشدة عداوتهم أهله وحبهم الكفر، والفسوق ،والعصيان وتهالكهم على حربه.

﴿وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ﴾ أي: من قبل، أي: قبل ظهور الفتنة، واللبث فيها ورسوله عطف على الله.

قيل: هم قوم غابوا عن بدر ،فقالوا لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلن[٣٧٨].

---

٣٧٧ *الزمخشري* ، *الكشّاف*، ٣،٥٣٦ .

٣٧٨ القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، ١٤،١٥٠ .

﴿لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ﴾ ولا يظهرون الأدبار عن الفرار ،وعن الزَّحف. ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ مطلوباً. ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ﴾ عن القتال. ﴿إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ﴾ ولا ينتفعون بالتأخُر عنه، وأنَّ ذلك التمتع، والانتفاع لا يكون.

﴿إِلَّا﴾ زماناً ﴿قَلِيلًا﴾ عن بعض المروانية: أنَّه مرَّ بحائطٍ مائلٍ فأسرع في المشي فتليت هذه الآية فقال: نحن نطلب ذلك القليل.

﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وقهره ،وشدة بطشه ،وغضبه. ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ والمتأخرين المتبطرين.

﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ لدى انتهاء القتال .

﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ وسارعوا لدينا عن رسول الله ع م: هم المنافقون الذين كانوا يقولون لإخوانهم من ساكني المدينة من أنصار رسول الله ع م ما محمد وأصحابه إلّا أكلة رأس ولو كانوا لحماً لألتقمهم أبو سفيان وأصحابه، فخلوهم، وهلموا إلينا وسارعوا وقربوا أنفسكم لدينا وإنَّما سوى فيه بين الواحد والجماعة هذا عند أهل الحجاز، وأما تميم فيقولون هلمَّ يا رجل وهلموا يا رجال.

﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: إلا زماناً وإتياناً قليلاً.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ جمع الشح، وهو البخل، أي: بخلا عليكم بالمعاملة، والنفقة في سبيل الله، أو الظرف نصبه على الحال من فاعل يأتون، أو المعوقين أو على الذم.

﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ لفظ المغشي عليه، أو كدوران عليه، أو مشبهين به، أو مشبه بعينه.

﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ﴾ وحيزت الغنائم، وجمعت، ووقعت القسمة نقلوا ذلك الشُّح بتلك الضنة، والرفرفة عليكم إلى الخير وهو المال، والغنيمة، ونسوا تلك الحالة الأُولى واجترءوا عليكم. ﴿سَلَقُوكُم﴾ ضربوكم. ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ نصبها على الحال، أو الذَّم، وليس بمكرر بلا فائدة لأنَّ كلا منهما مقيَّد بوجه. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ﴾ بالإخلاص، وصميم القلب .

﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ الإحباط وإفشاء ما في صدورهم. ﴿يَسِيرًا﴾ إشعار بأنَ الإحباط المذكور أمر تدعو إليه الدواعي ولا يصرف عنهم صارف.

﴿يَحْسَبُونَ﴾ ويظنون أنَّ. ﴿ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ﴾ ولم ينهزموا ،ولم يتغلبوا. ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾ كرة ثانية غداة بالمسلمين. ﴿يَوَدُّواْ﴾ ويحبوا. ﴿لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ﴾ أي: تمنَّوا بأنَّهم لم يتوجهوا إلى عداوة المسلمين وقصد محاربهم بل كانوا خارجين عن البدو وداخلون بين . ﴿ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ﴾ أي: الأحزاب كل قادم من جانب المدينة. ﴿عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾ وعن أخبار ما جرى بينكم. ﴿وَلَوْ كَانُواْ﴾ المنافقون داخلين. ﴿فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ﴾ بالأعداء، وبمخالفي المسلمين. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلّا تعلة، ورياءً، وسمعةً ولم يكن المخلصين بينهم إلّا نفراً قليلاً.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ﴾ خصلة.

﴿حَسَنَةٌ﴾ وعادة سنية، وقدوة مستحسنة: وهي التثبت، والصبر، والتمكن في الحرب؛ كما ثبت في حرب يوم الأُحد حتى كُسرت رُباعيته وشج وجهه فعليكم بالتَّأسي به الاقتداء به فيما هو من سائر الأُسوة الحسنة. ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ﴾ وحسن جزائه. ﴿و﴾ ثواب. ﴿وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ زماناً كثيراً أو ذكراً غفيراً.

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ أشار إلى مدح المؤمنين المخلصين وبيان علوِّ شأنهم، وكمال التَّأسي، والاقتداء بمن آمنوا به وبما جاء به وبمن أرسل. ﴿قَالُواْ﴾ على سبيل علم اليقين، بل عين اليقين .

﴿هَٰذَا﴾ أي: المشار إليه. ﴿مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ﴾ أي: الأمر الذي وعدنا الله بأنّا غالبون عليهم وهو قوله: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم﴾[٣٧٩] الآية الخ.

﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ حيث قال: سيشتدُّ الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم[٣٨٠]، وأيضاً قال: إنَّهم سائرون إليكم بعد تسعٍ، أو عشرٍ، أي: في آخر تسع ليالٍ، أو عشرٍ، فلما رأوهم قد أقبلوا[٣٨١]، للميعاد إيماء إلى الخطب، أو البلاء.

﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾ بالله، وبمواعيده. ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لقضاياه، وأقداره، وأحكامه.

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ قد نذر رجال من الصحابة أنَّهم إذا لقوا حرباً مع رسول الله ثبتوا، وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وحمزة ، ومصعب بن عمير وغيرهم.

﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ ووطره يعني: الموت المتمنى بأن قاتل حتى أُستشهد وهو حمزة ، ومصعب، وأنس بن النضر.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ الشهادة كعثمان ، وطلحة. ﴿وَمَا بَدَّلُواْ﴾ العهد والنذر، والوعد.

﴿تَبْدِيلًا﴾ رُوي أنَّ طلحة ثبت مع رسول الله ع م يومَ أُحد حتى أُصيبت يده. قصة تعريض لأهل النِّفاق بمن بدَّل من أهل النفاق، ومرض القلوب جعل المنافقين كأنَّهم قصدوا عاقبة السوء

---

٣٧٩ البقرة: ٢/ ٢١٤.

٣٨٠ الهرري، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الشافعي، *تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن* ،إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي،دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م ، ٢٢،٤٧٤.

٣٨١ الهرري، *تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن*، ٢٢،٤٧٤.

وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقين عاقبة الصدق لوفائهم لأنَ كِلا الفريقين مسوق إلى عاقبته من الثواب ، والعقاب فكأنَّهما إستويا في طلبهما[٣٨٢].

﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ كمال درجة الشهادة ونعيمها . ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بأسوء العذاب. ﴿إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ هذا تعليل للمنطوق وللعرض به . ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا ﴾ للمؤمنين عفواَ منهم أن جراً منهم جرائم . ﴿رَّحِيمًا﴾ للكافرين إن تابوا ،ورجعوا.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: الأحزاب. ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ مغيظين . ﴿لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا﴾ غير ظافرين وهما حالان، يتداخلان، ويتعاقبان. ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ بالريح ، وبالملائكة ، والجنود الإلهية.

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: عاونوا الأحزاب وعاضدوهم ولشوكة ألديك وهي مخلبه التي في ساقه لأنَّه يتحصن بها.

(روي أنَّ جبرائيل ع م أتى رسول الله صلعم صبيحة الليلة التي انهزم الأحزاب ورجع المسلمون إلى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبرائيل؟ قال من متابعة قريش فجعل رسول الله يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فإنَّ الله تعالى داقهم دق البيض على الصفا وإنَّهم لكم طعمة فأذن في الناس أنَّ من كان سامعاً ، مطيعاً فلا يصلي العصر إلّا في بني قريظة فما صلىّ كثير من الناس العصر إلّا بعد العشاء الآخرة لقول رسول الله صلعم فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلعم تنزلون على حكمي ؟ فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به. فقال سعد: حكمت فيهم أن يقتل مقاتلهم وتسبي ذراريهم ونساءهم. فكبر النبي صلعم فقال: لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة. ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقاً وقدمهم وضرب أعناقهم وهم من ثمان مائة إلى تسعمائة)[٣٨٣].

---

٣٨٢ أبو حفص، سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي، المتوفى:٧٧٥هـ، *اللباب في علوم الكتاب*، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، لبنان،ط: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م، ٥٢٩،١٥ .

٣٨٣ *تخريج أحاديث الكشاف* (١٠١٢): هَذَا كُله فِي سيرة ابْن هِشَام فِي غَزْوَة بني قُرَيْظَة عَن ابْن إِسْحَاق من قَوْله إِلَّا قَوْله عَلَيْهِ السَّلَام لقد حكمت بِحكم الله من فَوق سَبْعَة أَرقعَة فَإِنَّهُ أسْندهُ حَدثنِي عَاصِم بن عُمَيْر بن قَتَادَة عَن عبد الرَّحْمَن بن عَمْرو بن سعد ابْن معَاذ عَن عَلْقَمَة بن وَقاص اللَّيْثِيّ قَالَ قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وقيل: كانوا ستمائة مقاتل ، وسبعمائة أسير[٣٨٤].

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ الخوف . ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ﴾ بضم السين.

روى أنَّ رسول الله ع م جعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار فقالت الأنصار في ذلك فقال إنَّكم في منازلكم وقال عمر: إما تخمس كما خمست يوم بدر؟ قال إنما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله [٣٨٥].

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا﴾ يعني الفارس، والروم أو كل أرضٍ تفتح إلى يوم القيامة.

قيل: المراد نساؤهم مجاهد أرادت نساء النبي صلعم شيئاً من الدنيا من الهبات وزيادة نفقة وتغايرن، فغمَّ ذلك رسول الله ع م فنزلت فبدأ بعائشة ر ض وقد كانت أحبهنَّ إليه فخيَّرها وقرأ

وَسَلَّمَ لسعد لقد حكمت فيهم بِحكم الله من فَوق سَبْعَة أَرقعَة ثمَّ قَالَ قَالَ ابْن إِسْحَاق ثمَّ خرج رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سوق الْمَدِينَة فَخَنْدَق بهَا خَنْدَق ثمَّ بعث إِلَيْهِم فَضربت أَعْنَاقهم فِي تِلْكَ الْخَنَادِق فَخرج بهم إِلَيْهِ أَرْسَالًا وهم سِتّمائَة أَو سَبْعمِائة وَالْمُكثر يَقُول كَانُوا بَين الثَّمَانمِائَة إِلَى التسْعمائَة وَبَقِيَّة الحَدِيث مفرق فِي طول الْقِصَّة إِلَّا قَوْله فَإِن الله داقهم دق الْبيض عَلَى الصَّفَا فَإِنَّهُ قَالَ بدله إِنِّي عَامِد إِلَيْهِم فَمُزَلْزِل بهم وَرَوَاهَا بِهَذَا اللَّفْظ أَبُو نعيم فِي دَلَائِل النُّبُوَّة فَقَالَ فِي الْفَصْل الثَّامِن وَالْعِشْرين وَهُوَ فصل الْمَغَازِي ثَنَا عبد الله بن مُحَمَّد فِي جمَاعَة قَالُوا ثَنَا عبد الله ابْن مُحَمَّد الْبَغَوِيّ ثَنَا الحكم بن مُوسَى ثَنَا مُبشر بن إِسْمَاعِيل الْحلَبِي ثَنَا معَاذ ابْن رِفَاعَة حَدثنِي أَبُو الزُّبَيْر عَن جَابر قَالَ لما رابط النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بني النَّضِير وَطَالَ الْمكْث بهم أَتَاهُ جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَام وَهُوَ يغسل رَأسه فَقَالَ عَفا الله عَنْك يَا مُحَمَّد مَا أسْرع مَا مللتهم وَالله مَا نَزَعْنَا من لِأُمَّتِنَا شَيْئا مُنْذُ نزلت عَلَيْهِم قُم فَشد عَلَيْك سِلَاحك وَالله لأذقنهم كَمَا يدق الْبيض عَلَى الصَّفَا قَالَ فَأَتْبَعته بَصرِي حَتَّى تقذفذ فِي الْمَدِينَة فَلَمَّا رَأينَا ذَلِك نهضنا إِلَيْهِ فَفَتحهَا الله انْتَهَى، ١٠٣،٣.

٣٨٤ الخطيب الشربيني، ٢٣٨،٣ .

٣٨٥ *تخريج أحاديث الكشاف*: رَوَاهُ الْوَاقِدِيّ فِي كتاب الْمَغَازِي حَدثنِي معمر عَن الزُّهْرِيّ عَن خَارِجَة بن زيد عَن أم الْعَلَاء قَالَت لما غنم رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بني النَّضِير قسم مَا أَفَاء الله عَلَيْهِ فَأعْطَى الْمُهَاجِرين وَلم يُعْط أحدا من الْأَنْصَار من ذَلِك الْفَيْء شَيْئا إِلَّا رجلَيْنِ كَانَا مُحْتَاجين سهل بن حنيف وَأَبا دُجَانَة مُخْتَصر.. وحَدثني أَبُو بكر بن عبد الله عَن الْمسور بن رِفَاعَة قَالَ وَقبض رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَمْوَال وَالْحَلقَة فوجدوا من الْحلقَة خمسين درعا وَخمسين بَيْضَة وثلاثمائة وَأَرْبَعين سَيْفا وَكَانَ الَّذِي ولي قبضهَا مُحَمَّد بن مسلمة وَيُقَال إِنَّهُم غَيَّبُوا بعض سِلَاحهمْ فَقَالَ عمر يَا رَسُول الله أَلا نُخَمِّسُ كَمَا خمست مَا أُصِيب من بدر فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام لَا أجعَل شَيْئا جعله الله لي دون الْمُؤمنِينَ بقوله مَا أَفَاء الله عَلَى رَسُوله من أهل الْقرى الْآيَة كَهَيئَةِ مَا وَقع فِيهِ السهْمَان للْمُسلمين، *مُخْتَصر*. ١٠٤، ٣.

عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، فرؤي الفرح في وجه رسول الله صلعم، ثم اختارت جميعهنَّ اختيارها، فشكر لهنَّ الله ذلك [٣٨٦] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ﴾ وهيّأ. ﴿لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ في الاخرة ،وهو لقاء الله رضاؤه ورضوانه.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ﴾ معصية كبيرة.

﴿مُّبَيِّنَةٖ﴾ ظاهرة، ومظهرة نفسها بنفسها. إفشاء بين الخلق. ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾ وذلك لأنَّ ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهنَّ وأقبح من غيرها، لأنَّ زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة ، وزيادة النعمة على المعاصي، وليس لأحدٍ منَّ النساء من فضل نساء النبي وكون الجزاء ثواباً وحسناً يتبع الفضل وكون الجزاء عقاباً يتبع كون الفعل قبيحاً فمتى أرادوا الفعل، والفضل ازداد العصيان قبحاً ، ومتى ازداد العصيان قبحاً ازداد العذاب شدة ، ونار العذاب حدة ، ولذا فضل حد الأحرار على حد الأرقاق والعبيد التي ساهم البهائم والحيوانات العجم في البيع، والشراء ، وكذا الكافرين في حكم البهائم حتى أنَّ أبا حنيفة وأصحابه لا يرون الرَّجم على الكافر إذ مناط التَّكليف الشَّرعي هو: العقل المتحد.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ التعذيب وتضعيفه من حيث أنهنَ أزواج النبي. ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ﴾ ويطيع من القنوت وهو الطاعة. ﴿لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ﴾ قياساً على العذاب وضعفه .

﴿وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا﴾ لأنَّ الأطراف، والأضداد المترتبة على أمرٍ واحدٍ باعتبار الوضعين المتأتين المتساويين لا بُدَّ وأن تكون متساوية.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ﴾ أي كجماعة واحدة.

---

٣٨٦ أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي ، *تفسير النسفي* (*مدارك التنزيل وحقائق التأويل*) ، ٣،٢٨ .

﴿مِّنَ﴾ جماعات. ﴿ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: إذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم يوجد منهنَّ جماعةً واحدةً يساويكنَّ في الفضل ، والسابقة ومثله قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم﴾[٣٨٧] ، تسوية بين جميعهم وأنَّهم على الحق المبين.

﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ أي: أردتن التقوى والحذر عن غضب الله وثوران سخطه وفورات قهره وانتقامه وسقطه وإن كنتنَّ متقيات.

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ فلا تجبن بقولكنَّ جواباً، خاضعاً ليناً خنثاً ووهناً على وهنٍ مثل كلام المريبات. ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ أي: فجور ، وريبة ، وشك منصوب لكونه في جواب أحد الأشياء الستة، وقرئ بالجزم عطفاً على محل النهي على أنهنَّ نهين عن الخضوع بالقول ونهى مريض القلب عن الطمع كأنَّه قيل لا تخضعن فلا تطمع.

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ بعيداً عن الطمع بجدٍ ، وخشونة من غير تخنُّث، أو قولاً حسناً مع كونه خشناً.

﴿وَقَرْنَ﴾ بالكسر من وقر يقر وقاراً أو من قر، يقر حذفت الراء الأُولى من راءي (أقررن) ثم نُقلت كسرتها إلى القاف كظلن ومسن ، ويحتمل أن يكون من قار ، يقار ومنه القارة لاجتماعها.

﴿فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ ولا تسكن في البروج ، والبناء الرفيعة أي: ولا يتكلمن ويحدثن بالتَّبرج، والتَّعظيم. ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ وهي الزمن التي ولد فيها إبراهيم خليل ع م كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرِّجال .
وقيل: ما بين آدم ، ونوح عليهما السلام[٣٨٨] .

---

٣٨٧ النساء ٤/ ١٥٢.

٣٨٨ القرطبي، تفسير القرطبي، ١٤،١٧٩ .

وقيل: بين إدريس ، ونوح ، أو زمن داود ، وسليمان والجاهلية الأُخرى هي بين ، عيسى ، ومحمد صلعم ويجوز أن تكون الجاهلية الأُولى هي الكفر قبل الإسلام ، والجاهلية الأُخرى جاهلية الفسوق ، والفجور في الإسلام أي: لا تبرج في الإسلام تتشبهن بها بأهل جاهلية الكفر[٣٨٩].

﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المكتوبة ، والسنن المزبورة. ﴿وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ من المواشي السائمة ، والنقود، والحبوب التالعة بالنصاب.

﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ أي: أهل بيت رسول الله ثم بيَّن أنَّه إنَّما نهاهنَّ ، وأمرهنَّ ، ونصحهنَّ ، ووعظهنَّ ، لئلا يقارب أهل بيت رسول الله الإثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس والتقوى الطهر، لأنَّ عرض المقترف للمقبحات يتلوَّث بها ويدنس ويتدنس كما يتلوث بدنه بالأرجاس وفي هذه الاستعارة ما ينفر أُولو الألباب عمّا كرمه الله لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وأمرهم به ، ونصب أهل البيت إمّا على النِّداء أو على المدح بدل على أنَّ نساء النبي من أهل بيته.

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ واقران ما يوحى في بيوتكنَّ ومساكنهنَّ لأنَّها مهابط الوحي، ومساقط الفيض الرباني ، وأمرهنَّ أن لا ينسينَّ ما يُتلى فيها من الكتاب الجامع بين أمرين هو: آيات بينات يدلُّ على صدق النبوة، ولأنَّه معجزة بنظمه ، وشرائع ، وحكمة بمضاهيه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ في ذاته، وأسمائه، وصفاته، خبيراً في أفعاله، وآثاره، ظاهراً، وباطناً يعلم ما ينفعكم ويصلح لكم في دينكم ودنياكم وبمن لنبوته يصلح ولكمال عناية يفلح وعلم أنَّ الكلام ينزل بحسب المصالح منجَّماً ومفصَّلاً ومجملاً.

روي: أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير، أفينا خير نذكر به ؟ إنا نخاف أن لا ينال منا طاعة السائلة أم سلمة[٣٩٠].

---

٣٨٩ القِنَّوجي ، *فتحُ البيان في مقاصد القرآن* ، ١١،٨٤ .

٣٩٠ *أخرجه الطبراني* عن أم سلمة: ٢٣،٢٦٣ ح٥٥٤ . ورواه عن ابن عباس *ابن جرير في التفسير* ٢٢،١٠. *وأحمد في مسنده* ٦،٣٠ ص. وحسنه الحافظ ابن حجر في، *الآمالي*: ص،٣٤.

روي أنَّه لمّا نزل في نساء النبي صلعم: ما نزل قالت نساء المسلمين فما نزل فينا شيء ؟ فنزلت ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ المسلم من دخل في السِّلم بعد الحرب وهو المنقاد الذي لا يعانده، أو والمفوض أمره إلى الله المتوكل عليه من أسلم وجهه إلى الله[٣٩١].

﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ والمؤمن هو المصدق بالله، وبرسوله، وبما جاء به، وبما يجب أن يصدق به ويذعن، وتقبل.

﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ القانت القائم بالطاعة المواظب على ما فرض الله على عبده.

﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ الصادق: هو الذي يثبت ويحبس نفسه على مرارة الطاعات الشاقة، والعبادات الداقة ويصدق في نيته، ويحقق في أُمنيته.

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ والصابر: هو الذي يحبس نفسَه على الطّاعات، والعبادات، ويثبت على مرارة المجاهدات ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ الخاشع: هو المتواضع لله، والمنقاد، والمتخاشع لأمر الله ، والمطاوع لحكم الله بقلبه ، وجوارحه ، وغيبه في أطوار كماله ونقصه وعينه.

قيل: يعني الخاشع: هو الذي إذا صلىّ لا يعرف من هو في يمينه ويساره[٣٩٢].

﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ المتصدق هو: من صدق في مقتضى إيمانه بمن أوجب عليه أن يخرج مما رزقه تع حق الله من الأموال الظاهرة ، والباطنة ، وينفق ، ويعطي ، ويتصدق على المستحقين من الأصناف الثمانية المذكورة في باب صرف الزكاة ، والصدقات .

قيل: من يتصدق في كل أُسبوع بدرهم فهو من المتصدقين.[٣٩٣]

---

٣٩١ الطبري، الحديث أخرجه ابن جريرفي تفسيره عن قتادة مرسلا، ١٠،٢٢.

٣٩٢ عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، *رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز*، ط: الأولى ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، ١٥٧،٦ .

٣٩٣ أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، *تفسير القرآن*، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم، دار الوطن، السعودية، ط: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ٢٨٤،٤.

﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ الصائم : من صام رمضان وأيام البيض من كل شهر ثلاثة أيام ثلاثة عشر، وأربعة عشر، وخمسة عشرز إشعاراً بأنَّ مبادئ الأعمال، والأقوال، والأحوال ثلاثة: القوة الحيوانية، والقوة النفسانية، التي هي: المتصرفة في البدن لأن يستعد لقبول الفيض الإلهي، والثالثة النَّفس الإنسانية التي هي الروح الإلهي، الذي هو مظهر التجليات الإلهية، الذاتية، والأسمائية، والأفعالية، والآثارية، والصورة الإنسانية.

﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ وحافظ الفروج: هو أن لا يجاوز في المبتغيات الشهوية عن الحد والشرعية عن الند.

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ والظاهر من الذكر، وإن كانَ عاماً يتناول الخفي والجهر إلّا أنَّ المتبادر من بعض الآيات والآحاديث المراد من الذِّكر هو الخفيّ ﴿واذكر ربَّك في نفسك تضرُّعاً وخيفةً ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾[٣٩٤].

قال النبي ع م: (الذِّكر الخفى لا يسمع الملائكة يفضل على الذِّكر الذي يسمعه سبعين ضعفاً فلا يسمعه ويتكلم به إلّا القلب الذي له عينان، وأُذنان ، ولسان لقوله عليه إنَّ للقلب عينين ، وأُذنين إذا أراد الله لعبد خيراً فتحهما)[٣٩٥].

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ وعفواً عن هذه الفرق، وستراً على ذنوبهم، ومعانهم .

﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ عوضاً عن طاعاتهم ، وجزاءً لمجاهداتهم، وهو شهود التجليات المذكورة والتحقوا بها. ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ

---

٣٩٤ الأعراف: ٢٠٥/٤ .

٣٩٥ رواه أبو يعلى في "*المسند* " ١٨٢،٨. والبيهقي في "*شعب الإيمان* " ٨٣،٢. والديلمي في "*الفردوس*" ٢٤٩،٢. وغيرهم من طريق معاوية بن يحيى الصدفي ، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة. وابن الحجر في "*تهذيب التهذيب*" ٢٢٠،١٠، ولذلك حكم أهل العلم على حديثه هذا عن الذكر الخفي بالضعف قال البيهقي رحمه الله " : تفرد به معاوية بن يحيى الصدفي، وهو ضعيف، *انتهى بشعب الإيمان* ٨٤،٢ .

أَمۡرِهِمۡ﴾ (خطب رسول الله صلعم زينب بنت جحش بنت عمَّته أُميمة بنت عبدالمطلب على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها عبد الله فنزلت فقال رضينا يا رسول الله فأنكحها وساق إليها مهرها ستين درهماً، وحماراً ، وملحفةً ، ودرعاً ، وإزاراً، وخمسين مُداً من طعامٍ، وثلاثين صاعاً من تمرٍ)[٣٩٦].

قيل: هي أم كلثوم بنت عقبة بنت أبي معيط وهي أوَّل من هاجرت من النساء وهبت نفسها للنبي فقال قبلت زوجها زيداً فسخطت هي وإخوتها وقال إنَّما أردنا رسول الله فزوجها عبده [٣٩٧]، والمعنى ما صح لرجلٍ ولا امرأةٍ من المؤمنين والمؤمنات إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرةُ والاختيار وجمع ضمير المجرور مع أن حقه المفرد كما يقول جاءني من رجل فلا امراة إلا من شأنه كذا وكذا بناءً على المعنى لا اللفظ لأنَ وقوعهما في سياق النفي يفيد العموم. والخيرة ما يتخير به.

﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وخالف أمرهما وتخلف عن حكمهما. ﴿فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ ظاهراً .

﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ﴾ بالإسلام الذي هو أجلُّ النِّعم وبتوفيقك لعتقه، ومحبته ،واختصاصه فهو متقلب في نعمة الله، ونعمة رسوله، وهو زيد بن حارثة.

﴿أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ﴾ زينب. ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ ولا تطلقها والنهي عنه تنزيه لا تحريم لأنَّ الأولى أن لا يطلق .

وقيل: أراد فاتق الله ولا تذمها بالنسبة إلى الكبر وأذّى الزوج.[٣٩٨]

﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ﴾ في أن يحدث فيك بالطعن، والتشنيع.

---

٣٩٦ الآلوسي، *روح المعاني*، ٢٠٢،١١ .

٣٩٧ النيسابوري، *غرائب القرآن ورغائب الفرقان* ، ٤٦١،٥ .

٣٩٨ الأنجري، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الصوفي (المتوفى:١٢٢٤هـ) *البحر المديد*، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط: الثانية ، ٢٠٠٢ م ـ ١٤٢٣ هـ، ٤٧،٦.

﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾ في كل الأحوال وذلك أنَّ رسول الله صلعم (رآها بعدما نكحها زيداً فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك أنَّ نفسه صلعم كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ولو أرادتها لأختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرها لزيد ففطن وألقى الله في نفسه كراهة صحبتها ورغبة الرَّسول عنها فقال لرسول الله إني أُريد أُفارقها فقال ع م: ما لكَ أرابك شيء منها ؟ قال: لا والله ما رأيت منها إلّا خيراً، ولكنَّها تتعظم عليَّ لشرفها فقال له أمسك عليك زوجك واتق الله)[٣٩٩].

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾ ثم طلّقها بعدُ فلمّا اعتدّت قال رسول الله صلعم: (ما أجدُ أحداً أوثق منك في نفسي أخطب على زينب فقال زيد فانطلقت فإذا هي تخمر عجينتها فلمّا رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطت أنْ أنظُر إليها حين علمت أنَّ رسول الله يخطبك ففرحت وقالت ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي فقامت إلى مسجدها فنزل القرآن زوجناكها فتزوجها رسول الله ودخل بها وما أولم على امرأةٍ من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز ،واللَحم حتى إمتدَ النَهار)[٤٠٠].

﴿لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ﴾ متعلق بزوجناكها وتعليل لها. ﴿فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ﴾ وقد عرفت الأدعياء قبل هذا فإنهما هي التبني من غير ولادة. ﴿إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗا﴾ فبالحري أن يعاتب الله ورسوله حين كتمه وبالغ في كتمه بقوله. ﴿أمسك عليك زوجك واتق الله﴾ لأن لا يرضي له الإتحاد الضمير والظاهر الثبات في مواطن الحق حتى لا يقتدي به المؤمنون فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وإنْ كانَ مُراً وإلّا في وتخفي وتخشى الناس والله أحقُّ للحال أي:

---

٣٩٩ *القرطبي*، تفسير القرطبي، ١٤، ١٩٠. *الطبري*، تفسير الطبري، ١٢،٢٢. *الرازي*، تفسير الرازي، ١٣، ١٨٤. ابن القيم في كتابه، *الجواب الكافي*، ص ،٢٤٧ ، *الزمخشري*، *الكشّاف*، ٣،٢٦٢ .

٤٠٠ *الكافي الشافي*، ٣،٥٢٤. أبو عَوانة ، يَعقُوب بن إسحَاق الإسفرَاييني (المتوفى ٣١٦ هـ)، *المسنَد الصَّحيح المُخَرّج عَلى صَحِيح مُسلم*، تح: عَبَّاس بن صفاخان بن شهَاب الدّين، وبَابا إبْرَاهِيم الكميروني ، تنسيق وإخراج: فَرِيق مِن البَاحِثين بكليَّةِ الحَديثِ الشَّريفِ وَالدّرَاسَاتِ الإسلاميَّة بالجَامِعَة الإسلاميَّة، المملَكة الْعَرَبيَّة السَّعُودية، ط : الأوُلى، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م، ١١ ،٣١١ .

تقول لزيد أمسك عليك زوجك مخفياً في نفسك إرادة أنْ لا يمسكها وتخفى خاشياً قالة الناس وتخشى الناس حقيقاً في ذلك إذا بلغ حاجته من شيءٍ له فيه همة.

قوله: فلما قضى منها وطراً: المعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها وطلّقها وانقضَت عدّتها زوجناكها.

وقراءة أهل البيت: زوجتكها قرأه الحسن ابن علي على أبيه رضي الله عنهم وقرأه علي على رسول الله صلعم.

﴿أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ جملة اعتراضية معنى: وكان أمر الله الذي يريد أن يكون مقبولاً ، مكوناً لا محالة وهي مثل لما أراد كونه من تزويج رسول الله زينب وفي نفي الحرج عن المؤمنين في إجراء أزواج المتبنين مجرى أزواج البنين في تحريمهنَّ عليهم بعد انقطاع علاقة الزَّواج بينهم وبينهنَّ، فيجوز أن يراد بأمر الله المكون لأنَه مفعول بكنَّ وهو أمر الله.

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ قسم له وأوجب من قولهم: فرض لفلان في الدِّيوان كذا، ومنه فروض العسكر لرزقاتهم.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ اسم موضع، المصدر كقولهم: تراباً ، وجندلاً مؤكد لقوله تعالى: ﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له﴾.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾ كأنَّه قيل سنَّ الله ذلك الأمر سُنةً في الأنبياء الماضين وهو أن لا يحرج عليهم في الإقدام على ما أباح الله لهم. ووسع عليهم في باب النِّكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر والسراري، وكانت لداود عليه السلام مائة امرأة ، وثلثمائة سرية ، ولسليمان عليه السلام ثلثمائة وسبعمائة.

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ أي: قضاءً مقضياً وحكماً مبتوتاً. ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ تعريض بعد تصريح. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ كافياً ، محاسباً على الصغيرة والكبيرة من مثله.

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ أي: أبا رجل واحدٍ منكم على الحقيقة حتىّ يُثبِّت بينه، وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح. ﴿وَلَٰكِن﴾ كان.

﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ يعني: لو كان له ولد من النكاح بالغ مبلغ الرجال لكان نبياً فلم يكن خاتم النبيين كما روى (أنَّه قال عليه في ولده إبراهيم حين توفي لو عاش لكان نبياً)[٤٠١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ أي: بضروب الثَّناء من التَقديس، والتَسبيح، والتَمجيد، والتَنزيه.

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: في كافة الأوقات، قال رسول صلعم: (أُذكروا الله على فم كل مسلم)[٤٠٢]، وروى (في قلب كل مسلم)[٤٠٣].

---

٤٠١ روي عن أنس رضي الله عنه بسند صحيح قال: "لو عاش إبراهيم ابنُ النبي صلى الله عليه وسلم، لكان صدِّيقًا نبيًّا". *مسند أحمد* ١٩،٣٥٩ . كما أخرج *البخاري في صحيحه* ٦١٩٤ ، من طريق إسماعيل بن أبي خالد قال: "قلت لابن أبي أوفى: رأيتَ إبراهيمَ ابنَ النبي؟ قال: مات صغيرًا، ولو قُضِيَ أن يكون بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيٌّ، عاش ابنه؛ ولكن لا نبي بعده.

٤٠٢ قال الزيعلي في *تخريج الكشاف* ، ٣،١١٥: قلت غَرِيب بِهَذَا اللَّفْظ.

٤٠٣ اخرجه احمد في مسنده بهذا اللفظ :حدثنا الحسن بن سوار أبو العلاء، حدثنا ليث، يعني ابن سعد، عن معاوية بن صالح، أن عبد الرحمن بن جبير ، حدثه عن أبيه ، عن النواس بن سمعان الأنصاري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعلى جنبتي الصراط سوران، فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: أيها الناس، ادخلوا الصراط جميعا، ولا تتعرجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد يفتح شيئا من تلك الأبواب، قال : ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم. *مسند أحمد*، ٤ ،١٨٢ ، رقم الحديث ١٧٧٨٤.

وعن قتادة: (قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)[٤٠٤].

عن مجاهد: هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب، والفعلان، أعني: أُذكروا وسبحوا، متوجهان إلى البكرة والأصيلة كقولهم صُم، وصل يوم الجمعة، والتسبيح من جملة الذكر وإنَّما اختص من بين أنواعه اختصاص جبرائيل وميكائيل، من بين الملائكة ليبين فضله على سائر الأذكار لأنَّ معناه تنزيه ذاته عمّا لا يجوز عليه من الصِّفات، والأفعال ، وتنزيه من القبائحِ، ومثال فضله على عشرون الأذكار فصل وصف العبد بالنَّزاهة من أدناس المعاصي ،والطهر من أرجاس المآثم على سائر أوصافه، من كثرة الصلاة، والصيام، والتوقر على الطاعات كلِّها، والاشتمال على العلوم، والاشتهار بالفضائل ، ويجوز أنْ يُريد بالذِّكر وإكثاره تكثير الطاعات والاقبال على العبادات فإنَّ كلَّ طاعةٍ وكل خير من جملة الذِّكر ثمَّ خصَّ من ذلك التَّسبيح بكرةً، وأصيلاً، وهي الصلاة في جميع أوقاتها لفضل الصلاة على غيرها أو صلاة الفجر والعشائين لأنَّ أدائها أشقُ ومراعاتها أشدُ وأدق.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ عطف على الضمير المستكن بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم.

﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: من ظلمات الكفر ، والجهل ، والمعصية ، أو البطالة ، والبعد من مصاحبة أهل الله إلى نور الإيمان، والعلم، والعقائد ، الحقة ونور الطاعة ، والاشتغال بما يعينه فإنَّ البطالة معنى القلب وإلى نور مصاحبة أهل الحق.

قال النبي عليه السلام: (إصحبوا مع الله فإن لم يستطيعوا فأصحبوا مع من يصحب مع الله ليوصلكم بركات صحبته إلى الله من سره أن يجلس مع الله فليجلس مع أهل التصوف)[٤٠٥].

﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ أوصلهم الله إلى مرتبة عين اليقين ، وحقّ اليقين ، ليتمَّ الذِّكر بأنواعه وإنَّما أُستعير لمن ينعطف على غيره حنواً عليه ترؤفاً كعائد المريض في انعطافه عليه ، والمرأة

---

٤٠٤ عن مصعب بن سعد، عن أبيه - رضي الله عنه - قال: جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: علِّمني كلامًا أقوله، قال: ((قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، سبحان الله رب العالمين، لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم))، قال: فهؤلاء لربى، فما لي؟ قال: قل: ((اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني)) أخرجه مسلم رقم: (٢٦٩٦) .

٤٠٥ القشيري، *الرسالة القشيرية* ، ١٣٥،١.

في حنوّها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرَّحمة والتَّرؤف ومنه قولهم صلى الله عليكم. أي: يرحم عليك وترأُف، والمراد بالصلاة: الشرك وهو العناية بصلاح أمركم وظُهور شرفكِم . وقيل: الترحم، والانعطاف المنوى، مأخوذ من الصلاة المشتملة للانعطاف الصوري الذي هو الرُّكوع، والسجود ، واستغفار الملائكة، ودعائهم، والمؤمنين الرَّحم عليهم سيَّما وهو سبب الرَّحمة من حيث أنَّهم أجابوا الدَّعوة يجيئهم إضافة المصدر إلى المفعول أي يُحبون يوم القيامة به يوم لقائه عند الموت أو الخروج عن القبر ودُخولِ الجنة.

﴿سَلَٰمٌ﴾ إخبار بالسَّلام عن مكروه وآفة. ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمًا﴾ أي: الجنة ، ونعيمها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا﴾ أي: على من بعث إليهم بتصديقهم ، وتكذيبهم ، وهدايتهم، وضلالتهم، وشقاوتهم. ﴿وَمُبَشِّرٗا﴾ بالفوز بالجنة ،ونعيمها. ﴿وَنَذِيرٗا﴾ بالنّار، وجحيمها.

﴿وَدَاعِيًا﴾ وطالباً ، ومدللاً. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى الإقرار به وبتوحيده وبما تحت الإيمان به من الذات، والأسماء ، والصِّفات ، وإيجاد المكونات ، وتكوين الكائنات .

﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾ بتبشيره وإرادته وتسهيله أطلق له من حيث أنَّه أسبابه وإنَّما قيد به الدعوة إيذاناً بأنَّه أمرٌ صعب لا يتأتى إلّا بمعونة من جنابة قدسه. ﴿وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ تستضيء به عن ظلمتك الجهالة وتقيش من نوره نور البصائر.

﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا﴾ وهو شهود التجليات والتحقق بالأسماء، والصفات وبهذا يتفضل المؤمنين الكاملون ، والعارفون الفاضلون في درجات الإيمان على سائر الأُمم.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ بالله، والمشركين به. ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ بأنَّهم لا يُطابق لسانهم بما في جنانهم.

﴿وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ﴾ إهانتهم واستهزائهم، ولا تكن بهم في مقام المجازاة ، والانتقام ، وإجراء المفاوضة في معرض المعارضة ،ومطرح المنافقة ومحل المجازات بالمؤاخذات على كفرهم ولذا قيل أنَّها منسوخة. ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وفوّض أمرك إلى الله لأنَّه يكفيهم .

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ موكولاً إليه الأمر في الأحوال كلِّها ولعلَّه تع إذا وصف الرَّسول بخمس قابل كُلا منها بخطاب يناسبه فحذف معامل الشاهد وهو المراقبة لأنَّ بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالأمر، ببيان المؤمنين ، والنذير بالنهي ، عن مراقبة الكفار والمبالات بأذاهم والداعي إلى الله ببشره بالأمر بالتوكل عليه السراج المنير بالاكتفاء فإنَّ من أناره الله برهاناً على جميع خلقه كان حقيقاً بأن يكتفي به عن غيره.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ تجامعوهن وتدخلوهن وعند أبي حنيفة الخلوة الصحيحة في حكم الدخول.

﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ ﴾ أيام ومدة يتربصن بأنفسهنَّ يستوفين عددها مأخوذ من عددت الدَّراهم فأعدَّها. والإسناد إلى الرِّجال للدَّلالة على أنَّ العدة حق الأزواج إذ الغرض منها إبراء الرَّحم عن نقل الماء كما أشعر به قوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ إن لم يكن مهر مفروض فالمتعة واجبة عندنا، دون أبي حنيفة إلّا لها وحدها دون سائر المطلَّقات وإنْ كانَ معروضاً لها بالمُتعة مختلف فيها فبعض على النَّدب ، والإستحباب[٤٠٦].

وأمَا الواجب المفروض لها فنصف المفروض لأنَّه قبل الدخول[٤٠٧].

﴿وَسَرِّحُوهُنَّ﴾ وأخرجوهن. ﴿سَرَاحًا﴾ وإخراجاً. ﴿جَمِيلًا ﴾ معروفاً بلا ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيرها بالطَّلاق السُّني لأنَّه مرتَّب على الطَّلاق والضَّمير لغير المدخول بهنَّ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ﴾ وأعطيت. ﴿أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهنَّ .

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ لأنَّ المهر أجر على البعض ويفسد الإحلال بإعطائها معجلة لا لتَّوقف الحل عليه بل لامتياز الأصل له، كتقيد إخلال المملوكة لكونها مسنونة بقوله: ﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ﴾ فإنْ قلتَ لم قال ﴿اللاتي أتيت أُجورهن﴾ ﴿ومما أفاء الله عَلَيْكَ﴾ ﴿واللاتي هاجرن معك ﴾

---

٤٠٦ *الزمخشري،الكشاف*، ٣،٥٥٨.

٤٠٧ *الزمخشري،الكشاف*، ٣،٥٥٨، بتصرف.

وما فائدة هذه التخصيصات؟ قلت قد اختار الله لرسوله الأفضل والأولى واستحبه بالأطيب الأزكى كما اختصه بغيرها من الخصائص وآثره بما سواها من الأثر وذلك أنَّ تسمية المهر في النَّقد أولى، وأفضل من ترك التَسمية، وإنْ وقع العقد جائزاً بدونها وله أنْ يمسَّها وعليه مهر المثل إنْ دخل بها، والمُتعة إنْ لم يدخل بها وسوق المهر إليها عاجلاً أفضل مِن أنْ يُسميه ويُؤجله وكان التَّعجيل ديدن السَّلف وسننهم وما لا يعرف بينهم غيره؛ وكذلك الجارية إذا كانت سبية مالكها وخطبة سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب أحلّ وأطيب مما يشتري من شق الجلب والسبي على ضربين: سبي طيبة، وسبي خبيثة، ويدل عليه قوله تع: ﴿مما أفاء الله عليك﴾ لأنَّ فيء الله وغنيمته لا يطلق إلّا على الطَّيب دون الخبيث كما أنَّ رِزق الله يجب إطلاقه على الحلال، لا الحرام واللاتي هاجرن مع رسول الله صلعم من قرابته غير المحارم أفضل من المهاجرين وعن أُم هانئ بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلعم فاعتذرت إليه فعذرني الله ثم أنزل هذه الآية فلم أحل له لأنِّي لم أُهاجر معه كنت من الطُّلقاء وأحللنا لك ثم وقع لها أن تهب لك نفسها ولا تطلب مهراً من النِّساء المؤمنات إنْ اتفق ذلك، ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك.

عن ابن عباس رضي الله عنه: لمْ يكنْ عندَ رسول الله أحدٌ منهُنَّ بالهبة.[٤٠٨]

قيل: الموهوبات أربع: ميمونة بنت الحارث، وزينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصارية، وأُم شريك بنت جابر، وخولة بنت حكيم قرئ إن وهبت بالشَّرط [٤٠٩].

﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَتِكَ ٱلَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ ويحتملُ تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعاضده قول أُم هانئ خطبني رسول الله فاعتذرتُ إليه فعذرني.

﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ نصبت بفعل تغير ما قبله أو عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد لأنَّ (إن)هي للإستقبال، فإنَّ المعنى بالإحلال بالحل، أي: أعلمناك حل إمرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهراً أن انفق ولذلك نكرها، واختلف في اتفاق ذلك والقائل به ذكر أربعاً وهي التي ذكرت والمعدول عن الخطاب إلى الغيبة في قوله: نفسها ايذان بأنَّه مما خص به وأوثر ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على أنَّ الاختصاص تكرمة له لأجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاق الكرامة لنبوته الذاتية التي إستحق بها لأنَّه كان أب الأنبياء واستنكاحها والرغبة فيه وقد استشهد به أبوحنيفة رحمه الله على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لأنَّ رسول الله

---

٤٠٨ أبو حيان الأندلسي، *تفسير البحر المحيط*، ٢٣٣،٧.

٤٠٩ *الزمخشري*، *الكشّاف*، ٣،٥٥٠.

صلى الله عليه وسلم وأُمته سواء في الأحكام إلّا فيما خصَّه الدَّليل[٤١٠]. وقال الشافعي رحمه الله: لا يصح وقد خصَّ رسول الله صلعم بمعنى الهبة ولفظها جميعاً لأنَّ اللَّفظ تابع للمعنى وقد عليه بالمعنى فقد خص باللَّفظ والمدعى للاشتراك في اللَّفظ يحتاج إلى دليل[٤١١].

قيل: يجوز عقد النكاح بالإجارة[٤١٢] لقوله: ﴿اللاتي آتيت أُجورهن﴾ وفيه ما فيه لأنَّ الإجارة عقد مؤقت وعقد النكاح، عقد مؤبَد فهما متنافيان[٤١٣].

﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ شرط للشرط الأوَّل في استخبار الحل؛ فإنْ هبتها نفسها منه لا يوجب له حلها إلّا بإرادته نكاحها فإنَّها جارية مجرى القبول.

﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ نصبها لكونها صفة للمرأة أو حال من ضميره وهب أو صفة مصدر محذوف قرئ بالرَّفع على أنَّها المبتدأ المحذوف أي هذه المرأة خالصة لك من دونهم.

﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ من شرائط العهد ووجوب القسم والمهر في الوطئ حيث لم يقسم.

﴿وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ والجملة اعتراضية بين قوله ﴿لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞ﴾ متعلقة بخالصة للدَّلالة على أنَّ الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو قولك لا بمجرَّد قصد البر أصبح بل بمعنى يقتضي التوسع عليه والتضيق عليهم تارة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا﴾ وعفواً عما ارتكبوا في المناكحات من ترك المهور وتسميتها.

﴿رَّحِيمٗا﴾ بالتعطُّف والترأُف لديهم، روى أنَّ عائشة رض قالت: (إني أرى ربك يسارع في هواك ويبادر في رأيك)[٤١٤].

---

٤١٠ *الزمخشري، الكشّاف،* ٥٥٩،٣ .

٤١١ *الزمخشري، الكشّاف،* ٥٥٩،٣ .

٤١٢ *قول أبو الحسن الكرخي، الزمخشري، الكشّاف،* ٥٥٩،٣.

٤١٣ *قول أبو بكر الرازي، الزمخشري، الكشّاف،* ٥٥٩،٣.

﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ﴾ أي: يُؤخر من يشاء ويُريد ويترك مضاجعها . ﴿وَتُؤۡوِيٓ﴾ تضم يعني يترك ويُؤخر مضاجعه من نسائه. وتضاجع وتضم. ﴿مَن تَشَآءُ﴾ وتمسك من تشاء، ويطلق من يشاء.

عن الحسن ر ض: (كان النبي صلعم إذا خطب امرأة لم يكن لأحد أن يخطبها حتى يدعها)[٤١٥].
وهذه قسمةٌ جامعةٌ لما هو الغرض لأنَّه إنْ تمسَّك أو تطلق وإذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يُقسم وإذا أطلق وعزل فإمّا أن يخلي المعزولة لا يبتغيها ويطلبها.
(روى أنَّه أرجى منهنَّ سودة ، وجويرية، وصفية، وميمونة، وأُم حبيبة، كان يقسم لهنَّ ما شاء وكانت ممن إليه عائشة، وحفصة، وأُم سلمة، وزينب أرجى خمسة وآوى أربعة)[٤١٦].
(روى أنَّه كان يسوّي مع ما أطلق له وخير فيه إلّا سودة فإنَّها وهبت ليلتها لعائشة وقالت: لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نسائك)[٤١٧].

﴿وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ﴾ وطلبت. ﴿مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَ ذَٰلِكَ﴾ التفويض والتبديل إلى مشيئتك.

﴿أَدۡنَىٰٓ﴾ وأقرب. ﴿أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ﴾ أي: إلى قرار عيونهم ويقرر أبصارهم .

﴿وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ﴾ أي: قلة حزنهنَّ ورضائهنَّ جميعاً لأنَّه إذا سوى بينهنَّ في الإبراء ، والإرجاء، والعزل ، والإبتغاء، وارتفع التفاضل ولم يكن لإحداهنَّ مما تريد إلا مثل ما للأُخرى وعلَمنَ أنَّ هذا التفويض إنَّما هو من عند الله تعالى بوحيه واطمأنَت نفوسهنَّ وذهب التَّنافس، والتغاير، وحصل الرضاء، وقرت العيون، وسلَّت القلوب.

---

٤١٤ المقريزى، تقى الدين أحمد بن على المقريزى (م ٨٤٥)، *إمتاع الأسماع بما للنبى من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع*، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤٢٠،١٩٩٩، بيروت، تح: محمد عبد الحميد النميسى، ١٠،٢٠٤ .

٤١٥ جلال الدين السيوطي ، *الدر المنثور*، ٦،٦٣٤ .

٤١٦ *الزمخشري*، *الكشّاف*، ٣،٥٦١ . الأنجري، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) ، *البحر المديد*، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط : الثانية ، ٢٠٠٢ م ـ ١٤٢٣ هـ ، ٦ ، ٦٩ .

٤١٧ أخرجه الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت، *الجامع الصحيح سنن الترمذي*، ، ٥،٢٤٩ حديث ٣٠٤٠.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ من الإخلاص، والتواطؤ، والتصالح، والتطابق، ورضاء رسول الله والتوافق وما فيه من طيب نفسه وغير ذلك.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بما في قلوبكم وصدوركم ونفوسكم من صدر الأعمال والأفعال والثبات والامتياز والأحوال. ﴿حَلِيمًا﴾ حاكماً وموافقاً ومطابقاً لما في نفس الأمر من المقدرات.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾ بعد التسع الذي هو من نصاب أزواج النبي كما أنَّ الأربع نصاب أزواج أُمته فلا يحل لهم أنْ يتجاوزوا النِّصاب.

﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾ أي: حُسن الأزواج المبدلة. وهو حال من فاعل يتبدل دون مفعوله. وهو من أزواج لتوغله في التنيكر، والإبهام ، واختلف في أنها محكمة، أو منسوخة ؟ بقوله ﴿ترجي من تشاء منهنَّ وتؤي إليك من تشاء﴾على المعنى الثاني فإنَّه وإنْ تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولاً أنْ يتبدَّل هؤلاء التِّسع أزواجاً آخر بكلهنَّ أو بعضهنَّ التي أراد الله تع لهنَّ كرامةً وجزاءً على ما اخترن ورضين. فقصر رسول الله صلعم وهو التسع اللاتي مات عنهنَّ: عائشة بنت أبي بكر، حفصة بنت عمر، أُم حبيبة بنت أبي سفيان، سودة بنت زمعة، أُم سلمة بنت أبي أُمية، وصفية بنت حيي الخيبرية، ميمونة بنت الحارث الهلالية، زينب بنت جحش الأسدية، جويرية بنت الحارث المصطلقية، من في من أزواج لتأكيد النفي وفائدتها استغراق جنس الأزواج بالتحريم .

وقيل :معناه لا يحل لك النساء اللاتي نص إحلالهنَّ لك من الأجناس الأربعة.[٤١٨]

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ﴾ استثناء من النساء لأنَّه يتناول الأزواج، والإماء .

وقيل منقطع [٤١٩].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ بحفظ أمركم ولا ينحط من علمه ، وحكمه ما حد لكم.

---

٤١٨ *الزمخشري*، تفسير الزمخشري، ٥٦٢،٣ .

٤١٩ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط : ١٤٢٠ هـ، ٣٧٦،٥

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ متعلق بيؤذن لأنَه متضمن معنى يدعى للإشعار بأنَه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وطلب وإن أذن كما أشعر به قوله: ﴿غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ غير منتظرين وقت الأذن حال من لا تدخلوا وع الإستثناء على الوقت والحال معاً كأنَّه قيل لا تدخلوا بيوت النبي إلّا وقت الأذن ولا تدخلوها إلا غير ناظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلعم فيدخلون ويعيدون منتظرين لإدراكه ومعناه لا يدخلون هؤلاء المتحينون للطَّعام إلّا أنْ يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه وإلا فلو لم يكن لهؤلاء مخصوصاً لمّا جاز لأحدٍ أنْ يدخل بيوت النبي إلّا أنْ يؤذنَ له إذناً خاصاً هو، إلّا أذن إلى الطعام فحسب، قرئ غير ناظرين مجروراً صفة لطعام وليس بوجه لأنَّه جرى غير ما هو له فمن حق ضمير ما هو له أن يبرز إلى اللَفظ فيقال غير ناظرين إنا أنتم كقولك هند زيد ضاربته هي وأني الطعام إدراكه. يقال: أني الطعام أنا. كقولك: قلاة قلىً ومنه قوله تع: (من حميم آن)[٤٢٠] بالغ إناة.

(روي أنَّ رسول الله صلعم أولم على زينب بتمر وسويقٍ وشاةٍ وأمر إنساناً أنْ يدعو بالناس فترادفوا أفواجاً يأكلُ فوج فيخرج فيدخل قوم إلى أنْ قال يا رسول الله دعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقى ثلاثة نفر يتحدَّثون فأطالوا فقال رسول الله صلعم ليخرج فانطلق إلى حجرة عائشة فقال السلام عليكم يا أهل البيت، فقالوا: عليكم السلام يا رسول الله كيف وجدتَ أهلك ؟ فطاف في الحجرات فسلمَّ عليهنَّ ودعون له ورجع فإذا الثلاثة جلوس خرجوا يتحدثون وكان رسول الله صلعم شديد الحياء فتولى فلمّا رأوه متولياً خرجوا فنزلت)[٤٢١].

﴿وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ﴾ في المواضع المدعو إليه . ﴿فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ﴾ في ذلك الأمر المدخول فيه. ﴿فَٱنتَشِرُواْ﴾ وامرحوا وتفرقوا منه ولا تستكنوا فيه فإنَّه خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلعم فدخلوا واستطعموا وقعدوا واجلسوا واطالوا الجلوس فيه وهم قد أُمروا بأنْ لا يدخلوا إلّا بالإذن. ﴿وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ﴾ نهي عن أن يطلبوا الجلوس ليستأنس بعضهم ببعض

---

٤٢٠ الرحمن: ٤٤/٥٥ .

٤٢١ الدِّيار بَكْري، حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري (المتوفى: ٩٦٦هـ)، *تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس*، دار صادر ، بيروت، ١، ٥٠٢ . الزيلعي، *وتخريج الأحاديث والآثار*، ٣ ، ١٢٤ .

لأجل ﴿لِحَدِيثٍ﴾ يحدثه به أو عن أنْ يستأنس بحديث أهل البيت واستئناس يسمعه، ولوحشه مجرور عطف على ناظرين، أو منصوب بفعل مقدَّر أي: لا تدخلوا ولا تستكنوا مستأنسين لحديث.

﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ اللبث، وإطالته. ﴿كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ﴾ يضيق المنزل عليه وعلى أهل بيته واشتغاله بما لا يعنيه. ﴿فَيَسْتَحْيِۦ﴾ الرسول ﴿مِنكُمْ﴾ من إخراجكم بقوله يأمركم بالخروج عنه .

﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أي: من الأمر بالخروج الذي هو الأمر الثابت على قانون الشرع وقاعدة العرف والعادة أي: لا يمتنع منه، ولا يتركه ترك الحي منكم، وهذا أدبٌ أدَّب الله به العقلاء.

عن عائشة رض: (حسبك في الثقلاء إن الله لم يحتملهم وقال وإذا طعمتم فانتشروا)[٤٢٢].

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ الأمر الضروري والحر والصوري أعني ، ﴿مَتَٰعًا﴾ أي: حاجة ينتفع بها.

﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ﴾ والضمير المؤنث لأزواج النبي كان عمر رض يحب ضرب الحجاب عليهنَ محبةً شديدةً وكان يذكره كثيراً ويريد أن ينزل فيه.

(قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو (للتمني) أمرت أُمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت)[٤٢٣].

(روى أنَّه مرَ عليهنَ وهنَ مع النساء في المسجد فقال: لئن إحتجبن فإنه لكن على النساء فضلاً كما أن لزوجكنَ على الرجال الفضل فقالت زينب يا ابن الخطاب إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى نزلت).

وقيل: إن رسول الله صلعم كان يطعم معه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة رض فكره النبي عليه فنزلت[٤٢٤].

---

٤٢٢ سمعت الحسن بن محمد بن الحسن يقول : سمعت محمد بن عبدالله بن محمد يقول : سمعت الغلابي يقول: سمعت ابن عائشة يقول: حسبك في الثقلاء أنّ الله تعالى لم يحتملهم وقال : فإذا طعمتم فانتشروا.. أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ، *الكشف والبيان*، ٥٩،٨ .

٤٢٣ البخاري، صحيح البخاري، باب واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، ٤٢١٣.

﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ مانع من مشاهدتهن . ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ السؤال من وراء الحجاب.

﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الخواطر النفسانية والهواجس الشيطانية.

﴿وَمَا كَانَ﴾ أي: وما صح. ﴿لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ وأن يقولوا ما يكرهه صورة ومعنى .

﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ﴾ أي: أزواج النبي لأنه أب أُمته وأزواجه أُمهاتهم. ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ أي: بعد وفاته أو فراقه. ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ الايذاء، والفراق. ﴿كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ تعظيماً من الله لرسوله وإيجاب حرمته حياً وميتاً واعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسرّ قلبه واستعزر شكره فإنَّ نحو هذا مما يحدث به الرجل نفسه ولا يخلو منه فكره.

﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا﴾ لنكاحهنَّ على ألسنتكم. ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ في صدركم مما يكره إنشاؤه. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ يعلم ذلك فيجازيكم به في الدنيا والآخرة.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ إستيناف لم لا يجب الاحتجاب؟ قال: الآباء والأبناء والأقارب يارسول الله أو يكلمهنَ أيضاً من وراء الحجاب؟ وإنَّما قال الأبناء وإنَّما لم يذكر العم، والخال، لأنَّهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمى العم أبًا، في قوله: ﴿وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق﴾[٤٢٥] ، أولاً يرى الاحتجاب عنهما مخافة أن يضعهما لأبنائهما.

﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ يعني: النساء والمؤمنات. ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ من العبيد والإماء. ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ أمر من الافتعال. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه .

---

٤٢٤ الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*، كتاب الوضوء، باب خروج النساء الى البزار، ٢٤٨،١ ، رقم الحديث ١٤٦ .

٤٢٥ البقرة: ١٣٣/٢ .

﴿شَهِيدًا﴾ حاضراً حاكماً بإثبات الأحوال الظاهرة والباطنة فلا يتفاوت في علمه الجلي والخفي والصغير والكبير والعظيم والحقير.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ أي: يرحم الله النبي ويستغفر الملائكة له ليسر الله ويدعون البشر له. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وأذعنوا بأحكام الله وقبلوا كل ما جاء من الله بذريعة النبي إليهم وإلينا.

﴿صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾ وادعوا له واستغفروا له ويسر عليه كل ما تبعدا لعبد ويجعله بعبد أو الأمر للوجوب إن قصد به الأحداث والإنشاء وإن قصد به الإستمرار والتجدد فالأمر للندب والاستحباب دليل على أنَّ اللفظ المشترك يجوز أن يقصد به المعاني المتغايرة في آن واحد وزمان متحد ويكون في الكل حقيقة لأنَّه موضوع للكل.

﴿وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ أي: قولوا السلام عليكم يا رسول الله والمراد من التسليم ، الدعاء بالسلامة في بدنه، ونفسه عن كل ما يخالف ظاهر الشريعة، ومن الصلاة الدعاء للبعد عن كل ما يشغل القلب والسر عن ذكر الله والتوجه إليه وعن عبادته وطاعته وروحه وحقيقته عن الاتصال بحقيقة الحقائق والإيجاد بها والتحقق بها وبتمام أسمائه وصفاته هذا هو دين الحق كما أشار إليه ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾[٤٢٦] ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا﴾[٤٢٧] الآية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ ومتابعته ويرفضون حدودهم. ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وسخط عليهم.

﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ واعلم أن الصلاة على النبي في التشهد شرطٌ لصحة الصَلاة عند الشافعي وفي غير الصلاة واجب على كل أحد من المؤمنين مرةً واحدةً في مدة عمره. وأمّا على غير النبي هل هي جائزة أم لا؟ فالقياس مرخص لقوله: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم

---

٤٢٦ آل عمران: ٣ /١٩.

٤٢٧ الشورى: ١٣/٤٢ .

من الظلمات إلى النور﴾[٤٢٨] ﴿وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم﴾[٤٢٩] ، وغير ذلك من الآيات وفي الحديث: (اللهم صل على آل أبي أوفى)[٤٣٠].

وقد فصَّل العلماء وقالوا إن كانت على التبعية كقولك: أللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه فلا كلام في جوازها. وإن كانت على الانفراد من أهل البيت فمكروه لأنَّه من شعار الرافضة والإقتداء بهم يوجب الإبهام بالرَّفض والبدعة والخروج حيطة السنة والجماعة والبعد عن طريق أهل الله.

قال النبي عليه :(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم)[٤٣١].

وقال أيضاً: (إتقوا مواضع التهم)[٤٣٢].

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ أي: بغير جناية يوجب الأذية.

﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ ظاهراً نزلت في ناس من المنافقين يؤذون أمير المؤمنين علياً رض ويسمعونه .

وقيل: في الذين أفكوا على عائشة .[٤٣٣]

وقيل: زناة كانوا يتبعون النساء وهنَّ كارهات. وعن الفضيل لا يحل لك أن تؤذي كلباً أو خنزيراً بغير حق فكيف الأفراد الإنسانية والآحاد البشرية؟!.[٤٣٤]

وكان ابن عون: لا يكري الحوانيت إلّا من أهل الذمة لما فيه من الروعة عند كر الحول.[٤٣٥]

---

٤٢٨ الأحزاب: ٤٣ /٣٣ .

٤٢٩ التوبة ، ١٠٣/٩ .

٤٣٠ *البخاري*، صحيح البخاري، باب قول الله تعالى وصل عليهم ومن خص أخاه ٢٣٣٣ ؛ *ومسلم*، باب الدعاء لمن أتى بصدقة ١٠٧٨ ؛ *وأبو داود*، باب تفسير أسنان الإبل ١٥٩٠، *والنسائي* ؛ ١، ٣٤١ ؛ *وابن ماجه*، باب مايقال عند إخراج الزكاة ١٧٩٦ ؛ *والبيهقي* ٤،١٥٧.

٤٣١ الحنفي، عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي، مجد الدين أبو الفضل (المتوفى: ٦٨٣هـ)، *الاختيار لتعليل المختار*، عليها تعليقات: الشيخ محمود أبو دقيقة (من علماء الحنفية)، مطبعة الحلبي- القاهرة (وصورتها دار الكتب العلمية-بيروت، وغيرها)، ١،١٣٥ .

٤٣٢ محمد ناصرالدين الألباني ، السلسلة الضعيفة، ١،٢٣٠ .

٤٣٣ أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط ، ٥٠٣،٨.

٤٣٤ تفسير الزمخشري، *الكشّاف*، ٥٦٩،٣.

٤٣٥ تفسير الزمخشري، *الكشّاف*، ٥٦٩،٣.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ يرخينها عليهنَّ ويغطين بها وجوههنَّ وإعطافهنَّ يقال إذا زالَ ثوبك عن وجهك أو زال الغطاء عن الوجه أو عن وجه المرأة أو في ثوبك على وجهك أي: رده عليه وذلك أن النساء كنَّ في أوَّل الإسلام على هجيراهنَّ في الجاهلية متبذلات تبرز المرأة في درع، وخمار، فصل بين الحرة، والأمة، وكان الفتيان وأهل الشيطان يتعرضون إذا خرجن بالليل إلا مقاضي حوائجهنَ في النخيل والغيطان للإماء وربَّما تعرضوا للحرة بعلة الأمة يقولون حسبناها أمة فأمرن أن يخالفنَ في زيهنَ عن زي الإماء، يلبس الأردية ، والملاحف ، وستر الرؤس ، والوجوه، ليحتشمنَ ويهينَ فلا يطمع فيهن طامع. وإليه الإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي والسر الذي تميز به الحرة عن الإماء. ﴿أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ﴾ أي: أجدر وأولى وأجدر بأن يعرفن فلا يتعرض لهنَّ ولا يلقين ما يكرهنَ،

ومن للتبعيض يحتمل وجهين: أحدهما: أن يتجلببن ويسترن ببعض ما لهن من الجلابيب وهي: (الستور) والمراد أن تكون الحرة مبتزلة وملفوفة في درع وخمار كالأمة والماهنة ولها جلبابان فصاعداً في بيتها. والثاني: أن ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز عن الأمة.

قيل: هو أن تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على أنفها وتغطى أحد عينيها وجبهتها والشق الآخر أو يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن أراد بالانضمام معنى الأدناء[٤٣٦].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ ومجاوزاً بما سلف من التفريط مع التوبة لأنَّ هذا مما يمكن معرفته بالعقل.

﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ عن نفاقهم ولم يمتنعوا عن خباثتهم ومخالفتهم. ﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ وضعف إيمان والمداهنة مع المؤمنين .

قيل: هم الزناة وأهل الفجور والتزلزل في الدين.[٤٣٧]

---

٤٣٦ أبو حيان، تفسير *البحر المحيط*، وهو قول الكسائي ، ٨، ٥٠٤ .

﴿وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ مأخوذ من الزحف وهو الخبر ، والإرجاف: هو الإخبار عن أُناس كانوا يرجعون ويجرون أخبار الأراجيف عن سرايا رسول الله صلعم بأن هزم المسلمون وقتلوا وجرى عليهم كذا وكذا قصد كسر قلوب المؤمنين.

﴿لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ﴾ لنأمرنك أن تفعل الأفاعيل التي لا تسوءهم ويحزنهم ويدفعهم وتضطرهم إلى الجلاء عن المدينة.

﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ أي: لا يبقى منهم نفر يجاورونك. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: شريعة قليلون ملعونين أي: لا يساكنونك فيها إلّا قليلاً، حيثما يرتحلون ويلتقطون أنفسهم وعيالهم ويسمى ذلك إغراء وهو التحريش على سبيل المجاز منصوب على الشَتم أو الحال أي: لا يجاورونك إلّا ملعونين. دخل الإستثناء على الظرف والحال معاً. كما مرّ في قوله ﴿غيرناظرين إناه﴾ ولا يجوز أن ينتصب عن أخذوا المتأخر لأنَّ ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبلها، وقليلاً منصوب أيضاً على الحال أي: لا يجاورونك إلّا أقلاء إذلاء.

﴿مَّلۡعُونِينَ﴾ لا يجاورون عطف على نغرينك وإنَّما عطف بثم لأنَّ الجلاء عن الأوطان كان أعظم عليهم وأشد ما أُصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه. ﴿أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ﴾ وعوقبوا .

﴿وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلًا﴾ لأنَّ ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها. ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُ﴾ وتفسر في موضع مصدر مؤكّد أي: شق الله في الدين يبايعون الأنبياء أن يقتلوا كما قتلوا أهل بدر وأسروا كان المشركين.

﴿يَسۡـَٔلُكَ﴾ الرسول ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ استهزاءً استعجالاًعلى سبيل الاستهزاء وأهل الكتاب.

---

٤٣٧ تفسير الزمخشري، *الكشّاف*، ٣، ٥٧٠.

﴿يَسۡـَٔلُكَ﴾ امتحاناً لأنَّ الله تعالى عمّى وقتها وخفيها في التوراة وفي كل كتاب. فأُمر رسول الله أن يجيبهم بقوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ بأنَّه قد استأثره به لم يطلع عليه ملكاً .

﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ ولا نبياً ثم بيَّن لرسوله أنَّها قريبة الوقوع تهديد للمستعجلين وإسكاتاً للمتحنين ولأنَّ الساعة في معنى اليوم أو في زمان قريب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا﴾ أي: النّار المسعورة الشَّديدة الأيقاد .

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾ حافظاً منها ودافعاً ومانعاً ودافعاً لحرارتها.

﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ قُرئ على البناء للمفعول، وتقلب بمعنى يتقلب، وإن قرئ على البناء للفاعل يكون الفاعل السعير، ومعناه تصريفها في الجهات كما يرى البيضة تدور في القدر إذا غلت فترامى بها الغليان من جهته إلى جهة ومن سمة إلى سمة. وخصت الوجوه بالذكر لأنَّ الوجوه أكرم الأعضاء على الإنسان من سائر أجزاء البدن ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الذات وجملتها وناصب الظرف يقولون أو أذكر فح يكون يقولون حالاً.

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ أي: رؤساؤنا وأُصولنا ورأسُنا. ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ الموصل إلى الحق والمتحات وعلو الدَّرجات وإكرام السَّعادات.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ ضعفاً للضَّلال وضعفاً للإضلال .

﴿وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾ لأنَّهم قد علموا هم الكفر ولقبوهم الشرك والإشراك والمعاصي والافتراك.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وبما جاء به من الله من حقائق الأحكام ودقائق إعلام الإسلام.

﴿لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: أبعد الله موسى. ﴿مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا﴾ ذاجاهٍ ومنزلةٍ وقربةٍ عنده ولذا كان يُميط عنه التُّهم ويدفع الأذى والغم والهم ويحافظه

عليه لئلا يلحقه وهم ونقصان وقصمٌ وكسرٌ وفصم ولا يوصف بنقيضه كما يفعل الملك لمن له عنده قربة وجاهة وقوى .

﴿وكان عندالله وجيهاً﴾ قوله: مما قالوا أي: من قولهم أو مقولتهم فالمراد مؤداه ومضمونه وهو الأمر المعيب ألا ترى أنَّهم سمُّوا السبة بالقالة وهي بمعنى القول.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ قاصداً إلى الحق والسداد: القصد إلى الحق، والقول بالعدل، يقال: سدّد السَّهم نحو الرَّمية: إذا لم يعدل به عن سمتها، كما قالوا: سهم قاصد، والمراد: نهيهم عمّا خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصدٍ وعدلٍ في القول، والبعث على أن يسد قولهم في كل باب؛ لأنَّ حفظ اللّسان وسداد القول رأس الحكمة وعنوان الإيمان، والمعنى: راقبوا الله في حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم فإنَّكم إن فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة ؟ من تقبل حسناتكم والإثابة عليها، ومن مغفرة سيآتكم وتكفيرها.

﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾ أي: يوفقكم للأعمال الصّالحة ويصلحها بالقبول.

قيل: إصلاح الأعمال التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية وهذه الآية مقررة للتي بينت تلك الآية على النَّهي عمّا يؤذي رسول الله وهذه الآية على الأمر إبقاء الله العبد في حفظ اللسان لترادف عليهم الأمر والنهي مع إتباع النَّهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى وإتباع الأمر الوعد بالتبليغ فيقوى الصّارف عن الأذى والراعي إلا تركه .[٤٣٨]

﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ﴾ تقرير للوعد السّابق بتعظيم الطّاعة المخصوصة والعبادة المنصوصة التي سمّاها أمانة من حيث إنَّها واجبة الأداء يعني أنَّها لعظمة شأنها وعلوّ مكانها ورفعة منزلتها إلى الله تعالى بحيث لو عرضت على هذه الأجرام العظام والأجسام الكرام وكانت ذات شعور وإدراك لامتنعت المراد من السماوات هي العقول ومن الأرض هو البدن ومن الجبال هي القوى الجسمانية والمبادئ النفسانية، والمراد من الإنسان هو القلب الجامع للنَّفس والرُّوح والعقل والبدن والأمانة هي التجلي الذاتي الجامع لجميع التجليات الظّاهرة في الأحدية الجمعية تمام التجليات بالنَّعت الذاتي والعنوان الأحدي.

﴿فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ وهو النَّوع الأخير الجامع لجميع الأنواع والخصائص الذاتية والعوارض الإمكانية واللّوازم الوجودية والطوارم الشهودية والأمانة

٤٣٨ *الزمخشري، الكشّاف*، ٣،٥٦٤ .

المذكورة هي الكمال الجمعي والجمع الكمالي الذي اختصَّ بهذا النَّوع، ويتبع هذه الجمعية والهيئة النوعية جميع الكمالات الذاتية الإلهية والكونية والجوهرية والعرضية التي هي العلوم والمعارف والإدراكات والشعورات والأحوال والمقامات والشهودات من التجليات الذاتية والأسمائية والصفاتية والأفعالية والآثارية الأفرادية والجمعية النورية والظّلية الوجودية والعدمية وتمام العبادات الخالصة البدنية والنَّفسية والقلبية والسرية والرّوحية والعقلية والحقية والخفية.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ علة لثبوت الجمعية المذكورة وقبوله إياها وحملها عليه وهذا القبول والحمل في الظّاهرعن ظلم وجهل لأنَّه في الظاهر جزء من أجزاء العالم وقبول الجزء الكل وجمعيته هو ظلم لأنَّه وضِع في غير موضعه والظُّلم صفة النَّفس الحيوانية والجهل صفة النَّفس النَّباتية وجمعيتها هو النفس الإنسانية.

﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾

وتوبة الله عبارة عن قبوله توبتهم ورحمته عليهم. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

٧. سورة سبأ

﴿**بسم الله**﴾ الذي حمد ذاته بمقتضيات نجوم أسمائه وصفاته في الدنيا والآخرة ومرتضى صورة جمعيتها الباطن والظاهر. ﴿**الرحمن**﴾ الذي أبدع حقائق المخلوقات بتجليات الأسماء الذاتية وأبرع شقائق المكونات بالأسماء التكوينية.

﴿**الرحيم**﴾ الذي ألج بدائع صنعته التي تنزلت إلى النِّهايات وغاية التَّنزلات في أرض سبأ القابليات لإظهار سناء الكمالات الأوَّلية والثانية في أعيان الدَّورات وأكوان الكورات.

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: في الأدوار النورية الجمالية من الأعيان الوجودية.

﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: في الأكوان الظِّلية الجلالية من الأكوان العدمية الإفرادية.

﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: في الصورة الجمعية والهيئة الإحاطية النَّوعية الظّاهرة في الآخر والنِّهايات إشارة إلى أنَّ طور الآخرة التي كانت خفية ومقتضاها التنزيهي والتقديسي ضمنية يصير عند اقتضاء توبة فردارية الجمال ظاهرة فيكون طور الآخرة ظاهرة وطور الدنيا باطناً وطور نعيمها خفياً فيتبدَّل السَّببية تنزيهاً كما يتبدَّل طور التَّنزيه بسببها.

﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ﴾ الذي أحكم وأتقن أحوال أعيان الدَّورتين على ما قضى وعلم في الدَّورة العظمى الجمالية والجلالية. ﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾ العليم بأحوال الأعيان النُّورية الوجودية والعدمية الظِّلية ظاهراً وباطناً صورةً ومعنىً.

﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ﴾ ويندمج نازلاً من الأحدية الجمالية في الدورة النورية الجمالية. ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الاستعدادية التي هي ظاهر مقتضى الفردارية الظِّلية، وتنزيهاً لكان الظل والجلال.

﴿وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا﴾ بعد استكمال سلطان الجلال تلك الصورة العلمية والشئونات الذاتية التي هي غيوب الأعيان الثابتة والصور العلمية والحقائق الإلهية إلى سماء الدَّورة الكُبرى النّورية؛ ثمَّ يمكثُ في هذه المرتبة وسماواتها التِّسع وهي صورة جمعية الذات والأسماء السَّبعة وهي غيب الحقيقة الآدمية. أعني: وبعد ذلك تنزل ملك الحقائق الإلهية والماهيات الكونية من سماء الدورة العُظمى النورية التي قد رتَّب صفة العلم أعيانها العلمية أولاً وبالذات واستقلالاً ثم بتبعية الحياة

والقدرة والإرادة بالنَّعت العلمية ثمَّ بصفة الحياة والقدرة والإرادة في الأدوار الباقية الكبرى والوسطى والصُّغرى النوروية الجمالية في عالم الجبروت إلى السَّماء الدورة الكبرى النورية الجمالية في مرتبة الملكوت ثمَّ رَّباها في هذه المرتبة بصور الحياة أولاً وبالذات في دورتها العظمى وفي الأدوار الباقية الكبرى والوسطى والصغرى النورية ثم ينزل من هذه المرتبة إلى مرتبة البرزخ وربها بصفة القدرة قياساً على الحياة والعلم فإنَّ كلَّ دورةٍ من هذه الأدوار الأربعة الأصلية تنقسم إلى أدوار أربعة أُخرى فرعية إفرادية وصورة جمعية فالمجوع خمسة كل منها يقتضي نوعاً من الحمد بإزاء التَّجليات الخمسة وهي الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية والصور الجمعية ففاتحة الكتاب إشارة إلى التجلي الذاتي وسائر الحمد إلى التجليات الأربعة الأسمائية والأفعالية والآثارية والصورية.

﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ﴾ الذي أتقن وأحكم أحوال أعيان الدَّورتين الجمالية والجلالية النورية ولظلية الوجودية والعدمية. ﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾ العالم بحقائق الأشياء وصوَّرها بباطنها وظواهرها .

﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ﴾ ويندمج نازلاً ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الاستعدادي التي هي ظاهر مقتضى الفردارية الجلالية وتربها بسلطان الظل والجلال ﴿وَمَا يَعۡرُجُ﴾ ويخرج منها بعد استكمال سلطان الجلال الشئوانات الذاتية التي هي مقتضى التجلي الذاتي وحقائق الأعيان الثابتة والماهيات التي هي الكونية ثم يمكث في هذه المرتبة وسمائها التِّسع وبعد ذلك ينزل ملك الماهيات والحقائق الإلهية.

﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: سماء الدَّورة الكُبرى إلى السَّماء الوسطى البرزخية ثم يمكث في هذه المرتبة وسماواتها إلى أن يستكمل أعيانها بتربية سلطان القدرة ثم ينزل من هذه المرتبة إلى المرتبة الجمعية الناسوتية بعد استكمال أعيانها بتربية اسم الارادة فإذن حُمد الله في العوالم الخمس وأنت خبير بأنَّ كلَّ دورةٍ من الأدوار الأربعة الأصلية الإفرادية منطوية على أدوار أربعة فرعية جمالية فالمجموع ستة عشر وإنَّ كلَّ دورةٍ محتوية على دنيا وآخرة وسموات تسع وأرض سبع وتمتد اقتضاء كل دورة وانتهاء اقتضائها والانتقاد من دورة إلى دورة يقوم قيامه ويظهر ساعة وأُدغمت هذه الأدوار الوجودية بأقسامها إقالة فردارية الدورة وتوبة تربيتها من الوجود والجمال إلى العدم والجلال وأرباب هذه الأكوار الظلية الجلالية باطن هذه الأسماء الأربعة التي هي أُمهات الأسماء وعينها وهي غيب العلم والحياة والقدرة والإرادة وكل من هذه

الأكوار الأربعة الإفرادية أيضاً منطوية على أربعة فرعية فالمجموع اثنان وثلاثون والمركب من الأدوار والأكوار أيضاً أربعة أصلية وفرعية ومركبته منها فالمجموع أيضا ستة عشر فارتقى الكل إلى ثمانية وأربعين وإليه الإشارة في أوائل السور إفراداً وجمعاً .

﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ﴾ بالرَّحمة التّامة والنِّعمة العامة لأعيان الأدوار النورية الوجودية .

﴿ٱلْغَفُورُ﴾ السّاتر الأكوان الأكوار الظلية الجلالية العدمية وإنَّما قدَّم الرَّحيم على الغفور إشعاراً بتقدمه على الأفعال الإخبارية لقوله: (سبقت رحمتي غضبي)[٤٣٩]. وأنَّ المغفرة إنَّما تكون بعد الذَّنب.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: الأعيان الوجودية والأكوان العدمية الإفرادية التي ما وصل إلى خياشيم أذواقهم رائحة الكمال الجمعي والجمع الكمالي.

﴿لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ ولا يقوم في أدوارنا القيامة أو التصديق بها مشروط بالصورة الجمعية والهيئة الكلية المعية ومنوط بالوصف المعنى. ﴿قُلْ﴾ يا محمد ومظهر الكمال الجمعي والبعث المعنى للأعيان الإفرادي.

﴿بَلَىٰ﴾ إيجاب لما نفوا فيكون نعتاً للنَّفي فاحتيج إلى الشّاهد فيستشهد بالقسم وهو.

﴿وَرَبِّي﴾ أي: ليس الأمر إلا ثباتها البتة فأمد التَّوكيد القسمي إمداداً بما اتبع المقسم به من الوصف فما وصف به إلى قوله لتجزى لأنَّ عظم حال المقسم به يؤذن بقوة حال المقسم عليه وشدة بقائه واستقامته لأنَّه بمنزلة الاستشهاد على الأمر. وكُلَّما كان حال المستشهد أعلى كعباً وأُبين وأتم وأمتنَّ صعباً كانت الشَّهادة أقوى وأكد والمستشهد عليه أثبت وأرسخ.

---

٤٣٩ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: (لما قضى الله الخلق كتب كتابًا، فهو عنده فوق عرشه،إن رحمتي سبقت غضبي) ؛ هذا حديث متفق عليه، رواه البخاري،باب قول الله تعالى {بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ٧١١٤. ومسلم، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ٢٧٥١.

﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ ويظهرنكم . ﴿عَالِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ وأدخلها خفية وأجلها مبارزة إلى القلب فيكون أقوى تأثيراً في نفي الشَّك والرَّيب لأنَّه من جملة ما شهد به من: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: له ما في الأدوار الوجودية الأصلية الأربعة وفي الأدوار الفرعية وفي السَّماوات كل منها وفي أرضه لما غلب أنَّ في كل دورة سماوات وأرض ودنياً وآخرةً والمراد من السَّماوات هي الأدوار النورية الوجودية بأقسماها ومن الأرض هي الأكوار الظلية العدمية بأنواعها وسماواتها وأراضيتها وسماوات الأكوار وأراضيها هي بعكس سماوات الأدوار وأراضيتها وكذا دنيا الأكوار الظلية الجلالية وآخرتها بعكس دنيا الأدوار الوجودية الجمالية وآخرتها فإنَّ دنيا الأكوار باطنة وخفية وآخرتها جلية الظاهرة للبصر وسائر القوى الجسمية وأيضاً سماوات الأكوار الظلية أسفل وأراضيها علو ومستعلية، كما ترى في إناء فيه ماء والسَّماوات وما فيها من الكواكب منتكسة لا يعزب عنه أي لا يبعد من العزوب وهو البعد ومن هذا سمِّي الرَّجل المجرد عزباً لأنَّه بعيد منَّ النِّساء قرئ.

﴿وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ﴾ بالرَّفع على أصل الإبتداء. وبالفتح على نفي الجنس. كقولك: لاحول ولا قوة إلا بالله، بالرَّفع والنَّصب وهو كلام منقطع عمّا قبله فإن قلت يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة وأصغر وأكبر وزيادة لا لتأكيد النَّفي وعطف المقطوع على ذرة بأنَّه فتح موضع الجرِّ لامتناع الصَّرف كأنَّه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرةٍ وأصغر فإنَّ أصغر من ذلك ولا أكبر قلت: يأتي ذلك حرف الإستثناء إلّا إذا جعلت الضَّمير في عنه للعين وجعلت العين إسماً للخفيات قبل أن يكتب في اللَّوح لأنَّ إتيانهنَّ في اللَّوح نوع من البروز عن الحجاب على أنَّه لا ينفصل عن الغيب شيءٌ ولا ترك عنه إلّا هو مسطور في اللَّوح.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ بالإبطال وفي أحكامها بالإهمال ولإمهال . ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ مانعين.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ أي: بعض من شدة العذاب المؤلم .

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ أي: أعطوا العلم والمعرفة من الصَّحابة ومن نظر إعتمائهم ويقتفي آثارهم من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا مثل كعب الأحبار وعبد الله بن سلام. ﴿ٱلَّذِيٓ

أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ الكتاب والقرآن . ﴿ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ الثّابت أحكامه والثَّبت أحكامه بالرَّفع هو مبتدأ الذي هو والجملة المفعول يأتي يرى وبالنصب عطف على لتجزى، أي: وليعلم أُولى العلم عند مجئ السّاعة أنَّه الحق علماً.

﴿وَيَهْدِىٓ﴾ ويدل ويوصل . ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ وطريق . ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ القوي الغالب الذي حمد ذاته بذاته وأسمائه وصفاته الذاتية والأفعالية.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أي: قريش . ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ يعني: محمد عليه السلام.

﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ ويخبركم بأعجوبة من الأعاجيب وهو أنكم . ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾ وجعلتم قطعةً قطعةً ذا أجزاء متفرقة﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ وقطعتم ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: تبعثون بعد هذا وتنشأون وتخلقون خلقاً جديداً.

﴿أَفْتَرَىٰ﴾ هذا الرَّجل ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ وقصد عليه ﴿كَذِبًا﴾ صريحاً وافتراءً صحيحاً ﴿ أَم بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ جنون فضيح لوهمه وتخيله ذلك فيحكم على مقتضى وهمه وتخيله ويلغي ويجري على لسانه ما جرى ثم قال الله سبحانه وت ليس محمد من أهل الافتراء والجنون ﴿بَلِ﴾ هؤلاء الكافرون . ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ولا يصدقون﴿بِٱلْأَخِرَةِ﴾ كائن. ﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾ الشديد والعقاب الشديد والكآب المديد . ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ وهم غافلون عن ذلك أجن الجنون إذ الجنون فنون وهو أردأ أنواع الفنون هذا رد من الله عليهم في آيات إليهم ما هو أقطع من القسمين وهو الضَّلال البعيد عن الصَّواب بحيث لا يرجى الخلاص منه.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: أفلم ينظروا ويتوجهوا إلى جانب السَّماء ووجه الأرض وأنَّها حيثما كانوا وأينما هم ساروا أمامهم وخلفهم ويمينهم ويسارهم

محيطتان بهم لا يقدرون. ﴿أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض﴾[٤٤٠] ولم يخافوا أن يخسف بهم الأرض ويغرقهم ويولجهم فيها يسقطهم لهم كسفاً وقطعاً من السَّماء.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ النَّظر ،والتَّوجه، والفكر . ﴿لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ﴾ لبيب وفطن . ﴿مُّنِيبٍ﴾ راجع إلى الله فإنَّه يكون كثر التَّأمل غزيرالتَّدبر في الملكوت وعالم الأمر والجبروت.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ على سائر الأنبياء أو الناس .

﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ أي: ارجعي معه التَّسبيح أو ارجعي معه في التَّسبيح أو التَّوجه على الذَّنب. بدل من فضلاً أو (من آتينا) بتقدير قولنا: ياجبال أوبي قلنا ياجبال وذلك إما بخلق صوت لها مثل صوته.

﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ عطف على محل الجبال ويؤيد القراءة بالرَّفع يدل على كمال قُدرته وعموم حِكمته وأُلوهيته ووفور ربوبيته حيث جعل الجبال بمنزلة العقلاء الذين أمرهم فأطاعوا واذعنوا وإذا دعاهم سمعوا وأجابوا. إشعاراً بأنَّه ما من حيوان ونبات وجمال صامت إلا وهو مقال لمقتضى قدرته ومعاد إلى مرتضى إرادته ومشيئته والطير رفعاً ونصباً عطفاً على لفظ الجبال ومحلها إذا جوزوا أن يكون مفعولاً معه وأن يعطف على فضلاً بمعنى وسخرنا له الطير.

﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ من اللين أي: جعلناه ليناً مطاعاً كيف عمل فيه كالطِّين والعجين والشَّمع اللَّين يتصرفه ويقره ويتبدله وينقله ويتحوله من حال إلى حال ومن طور كيف يشاء من غير تأثير آلة مطرقة وذلك إمّا لكمال قدرته ووفور بطشه وغرور قوته فإنَّه بها قادر على التَّصرف في كل جسم صلب كتصرف كل أحد على الأجسام اللينة أو يصير أو يجعل الأجسام الصلب لينة.

﴿أَنِ ٱعْمَلْ﴾ يا داود ﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾ وقرئ (صابغاتٍ) وهي الدروع الواسعة الضافية وهي أوَّل ما اتخذها وكانت قبل صفائح وكان يبيع كل واحد منها بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعلى عياله ويتصدق على الفقراء.

---

٤٤٠ الرحمن: ٥٥/ ٣٣.

قيل: كان يخرج حين ملك بني إسرائيل متنكراً وسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود؟ فيثنون عليه فقيض الله ملكاً في صورة بشر فسأله عن عبادته وخصائله فقال: نِعم الرَّجل لولا خصلة فيه وهي يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربَّه أن يُسبِّب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة الدرع.[٤٤١]

﴿وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِ﴾ أي: لا تجعل المسامير دقاقاً فتقلق ولا غلاظاً فتفصم الحلق والسرد نسج الدروع وضم بعض أجزائه إلى بعض وبضده.

﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ الضمير لداود عليه السلام وأهله وأعوانه أي: اعملوا عملاً صالحاً حرياً ولائقاً بحضرته ﴿إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ من صنائع الحديد من الدروع الحديد . ﴿بَصِيرٞ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ منصوبة بمضمر أي: سخَّرنا لسليمان الرِّيح ومن رفعها مبتدأ خبره محذوف أي: لسليمان الرِّيح مسخرة.

﴿غُدُوُّهَا شَهۡرٞ﴾ أي: جريها بالغداة مسيرة شهر. ﴿وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞ﴾ أي: جريها بالعشي كذلك .

وعن الحسن: كان يغدو في الشام فيقبل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل يحكى أنَّ بعضهم رأى مكتوباً في ناحية دجلة قد كتب فيها هكذا [٤٤٢].

﴿وَأَسَلۡنَا﴾ وأجرينا ﴿لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِ﴾ أي: معدن النُّحاس كما أنَّ الحديد لائنة داود.

قيل: كان يسبل في الشَّهر ثلاثة أيام[٤٤٣].

﴿وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ أي: عند سليمان عطف على الريح، ومن الجن حال متقدمة أو جملة من مبتدأ ومن الجن خبره أي: من يعمل في صورة بعض من الجن. ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِۦ﴾ وآمن زادته متعلق بها .

---

٤٤١ الهرري، *تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن*، ٢٣، ٢٠٠.

٤٤٢ أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، *تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٧، ١٢٥.

٤٤٣ *الزمخشري، الكشّاف*، ٣، ٥٧٢ .

﴿وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ﴾ أي: يعدل وينصرف من العجن العملة مدة . ﴿عَنۡ أَمۡرِنَا﴾ وحكمنا إشعار بأنَّ أمر سليمان وحكمه هو أمر الله وحكمه لأنَّه صلعم خليفة الله وظله. ﴿نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ في الآخرة .

﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ﴾ أي: يطيع الجن لسليمان، أي: شيء يريد وكيف يريد ويشاء من غير استنكار مِنَ الجن يعملون له ويصنعون له ما يشاء. ﴿مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ المساكين والمجالس الشَّريفة والمحافل الأنيقة، أي: القصور والبروج الطريفة أو المساجد من قبيل المجاز المرسل المصونة عن الابتذال سميت بها لأنَّها يحامي عليها ومحارب ويذب عنها كما أنَّهم ويقصد في المساجد إلى المحراب.

﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ وصور أي: يصور فيها صور الملائكة والأنبياء والصالحين على ما هم عليه في عباداتهم وخصائص عاداتهم، ليراها النّاس فتعبدوا مثل عباداتهم ويعود بنحو عاداتهم. وفي الكشاف هذا مما يجوز أن يختلف فيه الشَّرائع، لأنَّه ليس من مقبحات العقول كالظُّلم والكذب والفسق والفجور على ما هو مذهبه. إذ المعتزلة صرحوا بأن ما يكون من مقبحات الفعول لا يجوز أن يختلف فيه الشرائع، وأما غير ذلك فيجوز وأمّا عند أهل السنة والجماعة فيجوز في الجمع، إذ الحاكم في الكل هو الشَّرع لما تقرَّر من أنَّ مجرد العقل غير كافٍ في الإلهيات بل في الكل كما وقع في الحدث.

أنَّ العقل لإقامة العبودية لا لإدراك سر الربوبية، قد نظمه آدم الأولياء علي المرتضى عليه السلام:

كيفية المرء ليس المرء يدركه فكيف كيفية الجبار في القدم ؟!
هو الذي أحدث الأشياء مبتدعاً فكيف يدركه مستحدث النسم ؟[٤٤٤]

٤٤٤ العَكري، *شذرات الذهب*،ص٣٢. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (المتوفى: ٤٦٥هـ)، *لطائف الإشارات*، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط: الثالثة ، ٣،٤١١.

وقد يعدم ما وقع في جواب من عيسى في جواب سؤال أفلاطون من أن مجرد العقل لا يكفي في سول السبيل.

وعن أبي العالية: لم يكن اتخاذ الصور إذ ذاك محرماً، ويجوز أن تكون صور الأشجار لا الحيوان لأنَّ التِّمثال كل ما له صور على مثل صورة غيره حيواناً كان أو غيره، أو تصور محذوف الرأس[٤٤٥] أو متروك العين.

روي أنَّهم عملوا له أسدين في ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما وجفان كالجواب أي صحنا نحو الأحياض الكبيرة وهي معرب كوآب وهو دهاد كبير مجمع فيه الماء[٤٤٦].

﴿وَجِفَانٍ﴾ جمع جافنة من الجفانة وهي من الصِّفات الغالبة كالدَّواب .

قيل: كان يقعد على الجفنة ألف رجل [٤٤٧].

﴿وَقُدُورٍ﴾ جمع قدر وهو ما يطبخ فيه الطَّعام . ﴿رَّاسِيَٰتٍ﴾ ثابتات على الأثافي من غير أن ينزل لعظمها. ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ المتوفر على أداء الشكر يعلمه ولسانه وأعظائه وجوارحه وصرفه كل خلق لأجله إليه، ومع ذلك لا يوفى حقه ولا يؤدي سوقه؛ لأنَّ توفيقه للشكر نعمة يستدعي شكراً آخر إلى غير نهاية.

عن ابن عباس رض: من يشكر على أحواله كلِّها أو من شكر على الشكر إلى أن ينتهي إلى الفجر فهو شاكر[٤٤٨].

روي (أنَّ داود عليه السلام قد وزّع وجزأ أجزاء اللَّيل وساعات النَّهار على أهله، فلم يكن ساعة من السّاعات إلّا وواحد منهم قائم يصلي ويعبد)[٤٤٩].

---

٤٤٥ *الزمخشري*، *الكشّاف*، ٣،٥٨٢. أبو حيان الأندلسي ،*تفسير البحر المحيط*،٧،٢٥٥.*القرطبي*، ١٤،٢٧٣.

٤٤٦ محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (المتوفى: ١٣١٦هـ) *مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد*، المحقق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى - ١٤١٧ هـ، ٢،٢٦٦.

٤٤٧ *الزمخشري*، *الكشّاف*، ٣،٥٧٢.

٤٤٨ أبو حيان، تفسير *البحر المحيط*، ٧،٢٥٥.

٤٤٩ روى *البخاري*، باب من نام عند السحر ١٠٧٩، عن عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضى الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُ : (أَحَبُّ الصَّلاَةِ إِلَى اللَّهِ صَلاَةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ ، وَيَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا).

عن عمر رض أنَّه سمع رجلاً يقول: (اللهم اجعلني من القليل، فقال عمر: ما هذا الدعاء ؟ قال الرجل: إني سمعت رسول الله صلعم يقول: وقليل من عبادي الشَّكور؛ فأنا أدعوه أن يجعلني من ذلك القليل. فقال عمر: ما هذا الدعاء ؟ قال: كل النّاس أعلم من عمر)[٤٥٠].

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا﴾ وحكمنا. ﴿عَلَيْهِ﴾ أي: على سليمان. ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ الطبيعي .

﴿مَادَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ الأرَضَةَ وهي الدويبة التي يُقال لها السرفة والأرض فعلها فأضيفت إليها يقال أرضت الخشبة أرضاً إذا أكلت الأرضة وقرئ بفتح الراء من أرضت الخشبة أرضاً وهو من باب فعلته ففعل كقولك: أكلت القوادح الأسنان أكلاً فأكلت أكلاً.

﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ وهي العصا لأنَّه ينسأ بها، أي يطرد ويؤخر. وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلباً وحذفاً، وكلاهُما ليس بقياس. ومنسأته على مفعالة، كما يقال في الميضأة: ميضاءة من سأته وساءه ،أي من طرف عصاه ،سميت بسأة القوس على الإستعارة؛ وفيها لغتان كقولهم: قَحَّة وقِحة.

﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ أي: علمت بعد قياس الأمر عليه، من تبين الشيء إذا ظهر وتجلّى.

﴿أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ أي: مع صلتها بدل من الجن بدل الإشتمال كقولك: تبين زيد جهله، والظهور له في المعنى أي: ظهر أنَّ الجنَّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب أو علم الجن كلهم علماً بيناً بعد التباس الأمر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم أنَّ كبارهم يصدقون في ادعائهم على الغيب، أو علم المدّعون علمَ الغيب عجزَهم وأنَّهم لا يعلمون الغيب، وإن كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم؛ وإنَّما أُريد آلتهكم بهم كما تتهكم بمدعي الباطل إذا دحضت حجته وظهر إبطاله بقولك: هل تبينت أنك مبطل وأنت تعلم أنَّه لم يزل كذلك متبيناً ؟ وقرئ على بناء المفعول .

---

٤٥٠ إبن أبي شيبة، *الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار*، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، سنة النشر- ١٤٠٩، مكان النشر الرياض، ٦،٦٥.

واعلم: أنَّ داود عليه السلام لمّا أسَّس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل تمامه فوصى به إلى سليمان عليه السلام، فاستعمل الجن فيه وكانت الشَّيطان مجتمعة حول محرابه أينما يصلى، فلم يكن ينظر إليه في صلاته إلّا إحترق فمرَّ شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فإذا سليمان قد خرَّ ميتاً ففتحوا فإذا الأعضاء قد أكلتها الأرضة وكان من عادته أن يعتكف في مسجد بيت المقدس فلَّما دنى أجله لم يصبح إلّا رأى في محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله تع فيسئلها لأيّ شيء أنت ؟ فتقول لكذا حتى أصبح ذات يومٍ فرأى الخروبة فسألها فقالت: نبت لخراب هذا المسجد ؟ فقال: ما كانت هذه بمعجزته وأنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس. فنزعها في حائط له فقال: اللهم عَم على الجن موتي حتى يعلم الناس أنَّهم كانوا يسترقون السَّمع ويموهون على الإنس أنَّهم يعلمون الغيب. قال لملك الموت: إذا أُمرت بي فأعلمني؛ فقال: أمرت بك؛ وقد بقيت من عمرك ساعةً. فدعا الجن صرحاً من قوارير ليس لها باب فقام يصلي متكئاً على عصاه فقُبض روحه وهو متكىء فبقى كذلك حتى أطَت الأرضُ فخرَّ وسقط. ثم فتح عينه؛ وأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعت الأرضة على العصاة فأكلت. وكان عمره ثلاثين سنة أو ثلاثاً وخمسين. ملك وهو ابن ثلاث عشر سنة. وابتداء عمارة بيت المقدس لأربعة مضين من ملكه.

روي: أن أفريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الأسدان المعمولان في أعلاه فكسر ساقه فلم يقدر أحد أن يدنو [٤٥١].

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ أي: لأولاد سبأ بن يشجب بن قحطان في مسكنهم

بفتح الكاف وكسرها، هو موضع سكناهم وهو بلدهم وأرضهم التي كانوا مقيمين فيها، أو مسكن كل واحد منهم. جنتان بدل من آية أو خبر مبتدأ محذوف تقديره الآية.

﴿جَنَّتَانِ﴾ وفي الرَّفع معنى المدح يدل عليه قراءة النصب والجنتان ليستا أنفسهما بل قصتهما

أي علامة دالة على وجوب الصانع المختار وأنَّه قادرٌ على وجوب إيجاد الأُمور العجيبة والأشياء الغريبة، وهي من جملتها مجازٌ للمُحسن والمُسيء يُعاضده البُرهان السّابق كما وصّى داود وسليمان. وإنَّ أهلهما أعرضوا عن التأمل فيهما والشكر عليهما فخرَّبهما وأبدل عنهما الخمط، وهو ضرب من الأراك له حملٌ يؤكل منه.

---

٤٥١ النسفي، *تفسير النسفى*، ٢٥٧،٣ .

﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ يعني جماعتين من النشأتين جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها كأنَّها جنة واحدة، أو أراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله، كما قال جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب فلم يرد أنَّهما جنتان فحسب.

﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ أي: مما رزقكم الله من أنواع الثمار وأصناف الحبوب الخيار. إما حكاية لما قال لهم أنبياء المبعوثون إليهم أو لما قال لهم لسان الحال أو هم أحقاء بأن يقال لهم ذلك، ولما قال لهم كلوا من رزق ربكم.

﴿ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾ أتبعه قوله . ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ يعني هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة، وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره على نعمائه وصبر على أنواع بلائه.

عن ابن عباس رض: (كانت أخصب البلاد وأطيبها تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيدها وتسير بين تلك الشَّجر فيمتلئ المكتل بما يتساقط فيه من الثمرة طيبة لم تكن بسبخة ولا فيها بعوضة ولا ذباب ولا حية ولا عقرب ولا براغيث ولا حشرات سمتة)[٤٥٢].

﴿فَأَعْرَضُواْ﴾ عن شكر ما رزقهم الله . ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ أي: المطر الشديد أي: انصرفوا عن شكر نعمه، فأنزلنا عليهم سيل العرم أي: سيل عظيم، أو الجرذ الذي نقب عليه السكر ضربت عليهم بلقيس الملكة بسد ما بين الجبلين بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والأمطار وتركت فيه خروقاً على مقدار يحتاجون إليه من سقيهم .

وقيل: بعث الله إليهم ثلاث عشر نبياً يدعونهم إلى الله ويذكرونهم نعمته لهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة سلَط الله عليهم سدَهم الخُلد والفار فنقبه من أسفله فأغرقهم [٤٥٣].

وقيل: العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة المجتمعة [٤٥٤].

وقيل: العرم اسم الوادي [٤٥٥].

---

٤٥٢ *الزمخشري، الكشّاف*، ٣ ، ٥٨٥ .

٤٥٣ النسفي، تفسير النسفي، ٣،٥٩ .

٤٥٤ *الزمخشري، الكشّاف*، ٣،٥٧٦ .

٤٥٥ *الزمخشري، الكشّاف*، ٣،٥٧٦

﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ﴾ بشبع. ﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ والسدر بالقلة فإن جناه وهو النبق مما يطيب أكله، ولذلك يغرس في البساتين.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الجزاء المذكور الذي هو العقاب الآجل والعذاب العاجل إلّا الكافر بنعم الله التي أنعمها الله عليهم، والجزاء: عام لكل مكافأة يستعمل تارة في معنى المعاقبة وأُخرى في معنى الإثابة، فلَّما استعمل في معنى المعاقبة في قوله تع: ﴿جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ﴾ أي: عاقبناهم بسبب كفرهم .

قيل: معنى يجازي يعاقب وهو الصحيح .

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا﴾ ووسعنا النِّعم ﴿فِيهَا﴾ على أهلها وهي قرى الشام.

﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ متواصلة يظهر بعضها لبعض أو راكبة الرائح إلى قرية إلى أن يبلغ الشام لا يخاف جوعاً ولا عطشاً ولا عدواً ولا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء.

﴿سِيرُواْ فِيهَا﴾ أي: قلنا لهم: سيروا ولا قول ثم، ولكنَّهم لمّا مكنوا من السير وسويت لهم أسبابه فكأنَّهم أمروا بذلك وأذن لهم فيه. ﴿لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ أي: سيروا فيها إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنَّهار، إذ الأمن فيها لا يختلف بإختلاف الأوقات، أو سيروا فيها آمنين لا تخافون وإن تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت أياماً ولياليِ، وسيروا فيها لياليكم وأيامكم من أعماركم، فإنَّ في كل حينٍ وزمانٍ لا يلقون فيها إلاّ الأمن والأمان.

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ بطروا النعمة وأشروها وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب، كما طلب بنو اسرائيل، البصل والثوم مكان المن والسلوى، وقالوا: لو كان جيئ جناننا أبعد كان أجدر أن نشتهيه، وتمنوا أن يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الازواد فجعل الله لهم الإجابة بتخريب القرى المتوسطة وصارت مفاوز.

﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ حيث بطروا النعمة وأشروها ولم يشكروها. ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ﴾ وأمثالاً يتحدث بهم تعجباً من قبح حالهم وضرب مثل ويقولون ذهبوا أيدي سبأ وتفرقوا أيادي سبأ.

﴿وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ﴾ وفرقناهم تفريقاً بيناً. ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ وتفرقة حتى لحق غسان منهم بالشّام وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والأزد بعُمّان. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الأمر المذكور من أحوالهم. ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ﴾ عن المعاصي، والحذر هم النفوس بالجوة والنواصي. ﴿شَكُورٖ﴾ النِّعم الظاهرة والمنح الباطنة .

﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ﴾ قُرئ بالتَّشديد والتَّخفيف، ورفع إبليس ونصب الظن، فمن شدَّد فعلى معنى أنَّه حق.

﴿إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ أو وجده صادقاً؛ ومن خفف فعلى معنى: صدَّق في ظنه أو صدّق يظن ظناً، نحو: فعليه جهدك، وبنصب إبليس ورفع الظنّ؛ فمن شدَّد فعلى معنى: وجده ظنه صادقاً، ومن خفض فعلى معنى: قال له ظنه الصدق حين خيله إغوائهم، يقولون: صدقك ظنك، وبالتخفيف ورفعهما على معنى: صدق عليهم ظن إبليس؛ ولو قُرئ بالتَّشديد مع رفعهما لكان على المبالغة كقوله: صدقت فيهم ظنوني، ومعناه: أنَّه حين وجد آدم ضعيف العزم قد أصغى إلى وسوسته قال: إنَّ ذريته أضعف عزماً منه فظنَّ بهم أنهم يطيقونه.

﴿فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: أتبعهم به إلّا فريقاً هم المؤمنون ثم يتبعون والضمير في عليهم واتبعوه إمّا لأهل سبأ أو لبني آدم، وقلَّل المؤمنين بقوله: إلّا فريقاً لأنَّهم قليل بالإضافة إلى الكفار، كما قال ﴿لأحتنكنَّ ذريته إلّا قليلاً﴾[٤٥٦].

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ﴾ أي: للشيطان. ﴿عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ تسليط وإستعلاء وبحكم واستيلاء بالوسوسة إلّا لغرض صحيح وحكمة بينة وأمر صريح وهو قوله ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ﴾ أي: ليظهر

---

٤٥٦ الاسراء :٦٢/١٧.

العلم للخلق بأمرنا وتوفيقنا، أو ليظهر علم قضائي وحكمي. ﴿مَن يُؤْمِنُ بِٱلْآخِرَةِ﴾ وأحوالها أي: يتميَّز المؤمن بالأمر الآخر غير الدنيا وهو آخر الأمر والآخرة هو الحق والعلم به وبأحكامه يُرجع الأمر كله إليه، وآخراً منه بدأ وإليه يعود ولنختبر ونبتلي أو ليعامل مع الخلق صلة الاختبار والابتلاء ليميز المؤمن الكامل والعارف الفاضل من غيره فإنَّ الوسوسة لا يلقيها الشَّيطان إلَّا في المؤمن لا في الكافر لأنَّه من زمرته فلا يكون فيها فائدة. ﴿مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ تام كامل وهو انتفاء العلم بالله .

﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ممكن بسيط ومركب ووجود وعدم وحدوث وقدم وجهل وعلم وتصور وتصديق وحكم، وإنَّما علل التسليط بالعلم، والمراد به ما يتعلق به العلم أي ليتعلق علمنا أي ليظهر تعلق علمنا للممكن ظهوراً يترتب عليه الجزاء، وفي نظم الصلتين نكتة شريفة لا تخفى على ذي مسكةٍ.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: قل للمشركين يا محمد من قومك اطلبوا الذين لهم آلهة يعبدونهم من غير الله من الأصنام والملائكة والأوثان والكواكب، ويُسمونهم باسمه كما يدعوا الله والتجئوا إليه فيما يعروكم.

وهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ من خيرٍ وشرٍ ونفعٍ وضرٍ في بحر وبرّ. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ متعلِّق بلا يملكون وتفصيل لما قبله فإنَّ الآلهة بعضهم سماوية وبعضهم أرضية، أو لأنَّ الأسباب القريبة للخير والشر سماوية وأرضية والجملة إستئناف بيان حالهم. ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ ومالهم في هذين الجنسين من شركة في الخلق. ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم﴾ أي: ليس للشريك من هؤلاء المشركين.

﴿مِّن ظَهِيرٍ﴾ ومعين وناصر ومعاون يعينه على تدبير خلقه، يريد أنَّهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن أحوال الربوبية، فكيف يصح أن يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى.

واعلم: أنَّ أحد مفعول زعمتم هو الضمير المحذوف، الراجع إلى الموصول، وأما الثاني: فلا يخ إمّا أن يكون من دون الله، أو لا يملكون أو محذوفاً فلا يصح .

الأوَّل: لأنَّ قولك هم من دون الله لا يتم به كلاماً .

ولا الثاني: لأنَّهم كانوا يزعمون ذلك فكيف يتكلَّمون بما هو حجة عليهم، وبما قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقي أن يكون محذوفاً تقديره زعمتم آلهة من دون الله، فحذف الراجع إلى الموصول كما حذف في قوله ﴿أهذا الذي بعث الله رسولا﴾[٤٥٧]، استخفافاً لطول الموصول لصلته وحذف آلهة لأنَّه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه وإقامة الصِّفة مقامه إذا كان مفهوماً، فإذن مفعولاً زعم محذوفان جميعاً بسببين مختلفين.

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ يقول الشفاعة لزيد، على معنى أنَّه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى أنَّه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ أن يكون على أحد هذين الوجهين أي: لا تنفع الشفاعة إلّا كائنة لمن أذن له من الشافعين ومطلقة له، أو لا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أذن له، أي: لشفيعه أو هي اللام الثانية في قولك: أذن لزيد لعمرو أي لأجله، فكأنَّه قيل: إلّا لمن وقع الإذن للشَّفيع لأجله، وهذا الوجه وجه، وهذا تكذيب لقولهم: ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾[٤٥٨].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ غاية لمفهوم الكلام، من وأن ولم وثم انتظاراً للإذن وتوقعاً وتمهلاً وفزعاً من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أو لا يؤذن لهم ؟ وأنَّه لا يطلق الإذن إلّا بعد ملي من الزمان وطول من التَّربص، ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز من قائل: ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً يوم يقوم الروح والملائكةُ صفاً لا

---

٤٥٧ الفرقان: ٤١/٢٥ .

٤٥٨ يونس :١٨/١٠ .

يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً﴾[٤٥٩] ، أي: يتربصون فزعين حتى إذا كشف عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم .

وقيل: الضمير للملائكة لتقدم ذكرهم ضمناً [٤٦٠].

﴿قَالُواْ﴾ أي: قال بعضهم لبعض .

﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ في الشفاعة. ﴿قَالُواْ ٱلْحَقَّ﴾ أي: القول الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى.

وعن ابن عباس رض (عن النبي صلعم فإذا أذن لمن أذن أن يشفع فزعته الشفاعة قرئ إذن له)[٤٦١] ، أي: أذن له الله وأذن على بناء للمفعول.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ ذو العلو والكبرياء أي ليس لملك ولا لنبي أن يتكلم ذلك اليوم إلّا بإذنه.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ تقرير لقوله لا يملكون. ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ إذ لا جواب سواه وفيه إشعارٌ بأنَّهم إن سكتوا أو تفوهوا بأنَّ الله رازقهم مخافة الإلزام فهو مقرون به قلوبهم.

﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: أن الفريقين الموحدين القائلين بوحدة الرزق والقدرة الذاتية والمشركين به الجماد الذي لا يوصف بالقُدرة أصلاً لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال.

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ وعصينا وعلى الذَّنب أجزينا. ﴿وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ هذا أدخل في الإنصاف بوجوه:

أحدها: أنَّ الإجرام أضافه إلى نفسه والعمل إلى أنفسهم.

---

٤٥٩ النبأ: ٣٨/٧٨ .

٤٦٠ البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي (المتوفى:٦٨٥هـ)، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي لبنان، ط: الأولى - ١٤١٨هـ، ٢٤٦،٤.

٤٦١ قال الزيعلي في *تخريج أحاديث الكشاف* ، ١٤١،٣؛ الحديث الأول رقم ١٠٤٦.

والثاني: أنَّه قد تنزل وجعل نفسه بأنفسهم في درجة واحدةٍ ومرتبةٍ متحدة.
والثالث: أنَّه قد قدَم أنفسهم على أنفسهم وخاطبهم.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يوم القيامة في حشر الأجساد. ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ ويفصل بأن يدخل المبطلين في النار والمحقين في الجنة. ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾ الحاكم في الفصل في القضاء المتعلقة. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما ينبغي لأن يحكم وبعض على ما هو مقتضى الحكمة البالغة بيننا.

﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ﴾ أمر من باب الأفعال جمع مذكر الذي. ﴿أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ أي: جعلتم إياهم ملحقاً بالله إشراكاً له في الأُلوهية. ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن المشاركة بعد إبطال المقال .

﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ الموصوف بكمال الغلبة المعروف بوفور القهر وعموم القوة والجهوم آثار القدرة وأنوار الإلهي التي تطلق الممكنات على مقتضى الحكمة ومرتضى المشيئة.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ وعامة لأولى الرجاء ولاناس أي: ما أرسلناك إلّا إرسالاً لكافة الخلق وعامَّة أهل الجمع والعرق أو أرسلناك جامعاً للنّاس في الإنذار والإبلاغ وحق التاء على هذا أن تكون للمبالغة كتاء الرواية والعلامة ومن جعله حالاً من المجرور مقدماً عليه فقد أخطأ، لأنَّ تقدم المجرور عليه في الإحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ كونك مرسلاً لكافة الناس فيحمل جهلهم على مخالفتنا.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ المبشر له والوعيد المنذر عنه أو الموعود بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ﴾ في هذا الوعد والوعيد الخطاب الرسول والمؤمنين.

﴿قُل لَّكُمْ مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾ يجوز أن تنصب يوماً. ويجر بالإضافة إمّا النَّصب فعلى المدح، وإمّا الجر بالإضافة فللبيان: أعني: يوماً ما أو يوماً صفته كيت إمّا رفع ميعادٍ مضاف فللتعظيم أو لكم ميعاد عظيم. ﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ ولما كان السؤال للإنكار والتعنت لا للاسترشاد وإظهار الحق فلذا جاء الجواب على طريق التهديد والتنديد مطابقاً للسؤال وأنَّهم يترصَّدون بيوم يفاجؤهم فلا يستاخرون تأخُراً عنه ولا تقدماً عليه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة. ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ أعني: محمد صلعم .

﴿وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ وتقدم عليه فيه حديث هذا الرَّسول وكيفية تعينه من الكتب المتقدمة سألوا أهل الكتاب عن الرَّسول صلعم وكيفية حاله وكمية مآله فأخبروهم أنَّهم يجدون بعثته في كتبهم فغضبوا عليهم إفشاء بحاله وإخباراً وإنشاء من شرق مآله وقالوا ذلك .
وقيل: الذي بين يديه يوم القيامة [٤٦٢].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ﴾ ويحضرون. ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ في موقف الحساب .

﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ ويدفعه زخرف القول الذي ظاهره حسنٌ وباطنه قبيح، يتجاذبون أطراف المحادثة وأقطار المجاورة ويتراجعون ﴿ٱلْقَوْلَ﴾ بينهم فرأوا العجب.

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾ وهم الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ وهم المتبوعون من السادات والرؤساء المتقدمين ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ﴾ في الوجود والكون والخارج وإضلالكم إيانا وأغوائكم لنا وصدكم بنا عن الإيمان. ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ بالله وبما جاء منه ونتبع طريق الحق الموصل إليه.

---

٤٦٢ أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، إبن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى:٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تح: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط: الأولى - ١٤١٦ هـ، ١٦٧،٢.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ﴾ وطريق الحق الأبهى.

﴿بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۡ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ﴾ مخرجين نفوسكم عن القبائح الحق والاعتدال بطريق يوصل إلى الله وبأسمائه وصفاته حيث أعرضوا بالاختيار حد الهدى وآثروا التقييد به والتقليد عليه ولذا بنوا الإنكار على الإسم أعني نحن الذي أولى حرف الإنكار لأنَّ الغرض إنكار أن يكونوا هم الصادين لهم عن الإيمان بالله إثبات. أنَّهم هم الذين صدوا أنفسهم وامتنعوا عنه بأنفسهم وأنَّهم أتوا من قبل اختيارهم كأنَّهم قالوا: نحن أخبرناكم وجعلنا بينكم وبين كونكم محكمين محتادين بعد إذ جاء أي بعد إن صححتم على الدل في الإيمان وصحت ثباتكم في اختياره .

﴿بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ﴾ كافرين لاختياركم إياه لا لقولنا وتؤيلنا بل أنتم منعتم أنفسكم عن احتظانكم بالإيمان وآثرتم الضَّلال على الهدى والاغلال في الجهل على مقتضى الفعل ومرتضى النَّهي وأطعتم آمر البغي والشَّهوات دون أمر القاهر عنهما.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ في جواب المشركين إضراب عن إضراب كل من الفريقين أي: ليس للإجرام والإضلال لا من حريتنا ولأنَّ جهتنا بل من جهة مكر اللَّيل والنَّهار فنحن وأنتم داخلون تحت حكم اللَّيل والنَّهار كما هو حكم الدَّهريين بأنَّ جميع ما ورد على نفوسنا وجدت في ظاهرنا وباطننا إنَّما هو مقتضيات مكر اللَّيل والنَّهار كما قال الشاعر :

أشاب الصغير وأفنى الكبي ر كرُّ الغداة ومرُّ العشي[٤٦٣] .

﴿بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ مكركم في اللَّيل والنَّهار فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة اللَّيل إليه معنوية بمعنى في أو إضافة لفظية أي اللَّيل والنَّهار الماكرون على الإسناد المجازي رفع لكونه مبتدأ وخبراً أي سبب ذلك مكركم أو مكركم بسبب ذلك والنصب

٤٦٣ بالسمين الحلبي، *عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ*، ٣٦٦،٣.

على معنى بل يمكرون الأغواء مكر اللَّيل والنَّهار. ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ﴾ أنتم في حال يمكنكم من الأخيار.

﴿أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ أي: الفريقان أضمروا النَّدامة على الضَّلالة والإضلال وأخفى كل منهم عن صاحبه مخافة التعيير والتوبيخ.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قيل: أظهروا الندامة حين كُشف الغطاء من الفريقين[٤٦٤].

﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي: لا يجزون إلا على مقتضى عملهم إن خيراً فخير وإن شراً فشرٌ.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ من نبي. ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ ومتنعموها. ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ من النَّبي والكتاب وما فيه من الأحكام والشرائع. ﴿كَٰفِرُونَ﴾ مقول قال تسلية لرسول الله ع م.

﴿وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ فما يدعيه من النبوة والاستيلاء على الممالك أولى وأليق وأحرى وأحق والحال أنَّه ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ لكرامنا ووقور حريتنا عند الله فلا يهيننا بالعذاب ولا يحقرنا بالعقاب.

﴿قُلْ﴾ يا محمد رداً لحسبانهم وشداً عليهم لفرط طغيانهم. ﴿إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إنَّ كثرة الأموال وجماعة الأولاد قد يكون للإستدراج والمكر.

---

٤٦٤ *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٢٢،٤ .

﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي﴾ بالخصلة التي ﴿تُقَرِّبُكُمۡ﴾ وتوصلكم ﴿عِندَنَآ﴾ ويحصل لكم لدينا.

﴿زُلۡفَىٰٓ﴾ أي: قربة. ﴿إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ إستثناء من مفعول (تقربكم) أي: الأموال والأولاد لا تقرب أحداً إلّا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه وعلى الصَلاح يلجيه.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ﴾ أي: يجاوزاً جزاءً مضاعفاً ويعاوضوا عوضاً مترادفاً. ﴿بِمَا عَمِلُواْ﴾ أي: بسبب أعمالهم. ﴿وَهُمۡ﴾ في الجنة. ﴿فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ من المكاره .

﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ والطعن فيها. ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ مسابقين أو طائعين وأنَّهم يقولون .

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ﴾ أي: عذاب الآخر حاضرون.

﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥ﴾ في الدنيا والآخرة والأوَّل مخصوص بالدنيا وحطامها. ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم﴾ في الدنيا مما رزقكم الله من أنواع الرزق الصورية والمعنوية الظاهرة والباطنة. ﴿فَهُوَ﴾ أي: الحق ﴿يُخۡلِفُهُۥ﴾ أي: يعوضه ويجعله خلفاً وبدلاً منه ويضاعفه أضعافاً كثيرةً على ما تقرر من العشر أو سبعين أو غير محصورة. ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ فإن كل ما رزق غيره: من سلطان يرزق جنده، أو سيد يرزق عبده، أو رجل يرزق أهله وعياله وغير ذلك، فهو من رزق الله، أجراه الله على يد هؤلاء، وهو خالق الرزق وخالق الأسباب التي ينتفع المرزوق بالرزق.

وعن بعضهم: الحمد لله الذي أوجدني وجعلني ممن يشتهي؛ فكم من مشتهٍ لا يجد، وواجد لا يشتهي[٤٦٥].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ يوم القيامة المستكبرين والمستضعفين. ﴿جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ﴾ خطاب للملائكة وتقريع للكفار ووارد على المثل السائر ﴿إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ويحق قوله عزوجل: ﴿أءنت قلت للناس إتخذوني وأُمي إلهين من دون الله﴾[٤٦٦]؟ وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى ع م منزهين براء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير. والغرض أن يقول: ويقولوا: ويسأل ويجيبوا فيكون تقريعهم أشد وتعبيرهم أبلغ وخجلهم أعظم وهو أنَّه ألزم ويكون اقتصاص ذلك لطفاً لمن سمعه وزاجراً لمن اقتص عليه.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ والموالاة خلاف المعاداة ومنه اللهم ولّي من والاه، وعادا من عاداه، وهي مفاعلة من الولي وهو القرب والقربة كما أنَّ المعاداة من العدواء وهي البعد، والولي يقع على الموالي والموالي جميعاً، والمعنى أنت الذي نواليه من دونهم، إذ لا موالاة بيننا وبينهم فتثبتوا بإثبات موالاة الله وبمعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم، لأنَّ من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك.

﴿بَل كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ أي: الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غيرالله. قوم من الجن.

وقيل: صورت لهم الشياطين بصور وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوهم.[٤٦٧]
وقيل: كانوا يدخلون في أجواف الأصنام إذا عبدت فيعبدون بعبادتها[٤٦٨].

﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ الضمير الأوَّل: للإنس؛ والثاني: للجن وأكثرهم بمعنى الكل.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا عطف على لا يملك مبين للمقصود. ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ وإنَّما قدَّم الجار والمجرور

---

٤٦٥ النسفي، تفسير النسفي، ٣،٦٧.

٤٦٦ المائدة، ٥ /١١٦ .

٤٦٧ النيسابوري ، *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، ٥،٥٠٠ .

٤٦٨ *النسفي، تفسير النسفى*، ٣،٢٦٣ .

إشعاراً بأنَّ تكذيبهم منحصر عليها بناء على تعيينها وانتفائها مستلزم انتفاء تمام الوعيدات وإثباتها، فالأمر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه أحد منفعة ولا مضرة. لأنَّ الدار دار ثواب والعار عار عقاب والمسيء والمعاقب هو الله تع فكانت حالها حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها محلى بينهم متضارون ومتعاصون ولا نافع ولا ضار إلّا هو ثم ذكر عاقبة الظالمين بقوله: ﴿ونقول للذين ظلموا﴾ إلخ.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ﴾ أي: ما هذا القرآن إلّا إفك وكذب ﴿مُّفْتَرًى﴾ أي: بهتان وكذب متعمد لعدم مطابقته لما في نفس الأمر ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بمحمد وبما جاء به وهو القرآن. ﴿لِلْحَقِّ﴾ أي: الكتاب الثابت في نفس الأمر. ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر .

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَـٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ من للبيان ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ﴾ من الأُمم السّالفة والقرون المخالفة. ﴿مِن نَّذِيرٍ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ آتيناهم من الكتب التى كانوا يتدارسون بها ويتمسكون في الأحكام بها كما قال: ﴿أم أتيناهم كتاباً من قبله فهوم به مستمسكون﴾[٤٦٩]، فحين كذبوا رسلهم جاءتهم الندمة والاستيصال ولم يبق لهم عذر ولم يغن عنهم إستظهارهم بما هم به يستظهرون. ﴿وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ﴾ وهو كالمرباع والمخماس وهو العُشر والرُبع والخُمس. ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فتفضل عليه.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ أي: بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله: ﴿أَن تَقُومُوا۟﴾ على أنَّه عطف بيان لها. وأراد بقيامهم. أمّا القيام عن مجلس رسول الله وتفرقهم عن مجتمعهم عنده؛ وأمّا القيام الذي لا يراد به المثول على القدمين ولكن الانتصاب في الأمر والنهوض فيه بالهمة.

---

٤٦٩ الزخرف، ٢١/٤٣.

والمعنى: إنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهي أن تقوموا لوجه ﴿لِلَّهِ﴾ خالصاً متفرقين اثنين اثنين وواحداً واحداً.

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ أمر محمد وما جاء به إمّا الإثنان فيتفكران ويعرض كل واحدٍ منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح الفالح والتوجه الصريح على حال الحق وسببه الفاتح، وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفه وإنصاف من غير أن يكابرهم ويعرض فكره على قانون عقله ومعيار ذمته وما استقر عنده من عبادة العقلاء ومجاري أحوالهم ويمنع الروية ويخلط القول ومع ذلك يقل الإنصاف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع إلا نصرة المذهب ولا يرفع إلا فرضة المشرب بقوله: ﴿ما بصاحبكم من جنة﴾[٤٧٠].

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أو ليس هذا الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا وملك الآخرة إلّا نذير أي: إلّا رجلان إمّا مجنون لا يبالي بافتضاح نفسه إن طُولب بالبرهان فيعجز عن الإثبات بل لا يدري ما افتضاح وما رقبة العواقب؛ وإمّا عاقل راجح العقل مرشح للنبوة ومختار من أهل الدنيا لا يدعي شيئاً إلّا بعد صحته وإنتهاض برهانه وحجته، وإلّا فالحري للعاقل والواجب على الفطن الكامل أن لا يدعى أمراً لا يقتدر على اثباته وإلّا افتضح في الدنيا وهلك في الآخرة وقد علمتم أنَّ محمداً صلعم هو من حيث أنَّه مظهر العقل الكل ومصدر العين الأوَّل هو أعقل العقلاء وأكمل الفضلاء. كيف يدعي أمراً وهو عاجز عن إتيانه؟ بل علمتم أنَّه أرجح قريش عقلاً ،وأرزنهم حلماً وخبرةً وفصاحةً وحكماً وأثقبهم ذهناً وأصلبهم رأياً وأصدقهم قولا ص وأصوبهم رأياً وأنزههم نفساً وأجمعهم لما يُحمد ويجمع عليه الفضلاء ويمدحون به وكان مظنة لأن تظنوا به الخير وترجحوا فيه جانب الصدق على الكذب وإذا فعلتم ذلك كفاكم أن تطالبوه بأنَّه هادي وبشير تبين ونذير مبين ويجوز أن يكون (بصاحبكم) كلاماً مستأنفاً تنبيهاً من الله تع على طريقة النظر في أُمور رسول الله صلعم ويجوز أن يكون المعنى ثم تتفكروا ويعلم ما بصاحبكم من جنة وقد جوز بعضهم أن يكون ما استفهاماً.

---

٤٧٠ الأعراف، ٧/ ١٨٤.

﴿بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ كقوله ع م: (بعثت في نسم الساعة)[٤٧١].

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ﴾ كقوله: ﴿ما يفتح الله للنّاس من رحمة﴾[٤٧٢]. ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ جزاء الشرط وفيه معنيان:

أحدهما: نفي طلب الأجر ومنع مسألة رأساً كما يقول الرجل لصاحبه: إن أعطيتني شيئاً فخذه وهو يعلم أنَّه لم يعطه شيئاً ولكنه يريد البت لتعليقه الأخذ بما لم يكن.

والثاني: أن يريد بالأجر ما أراد في قوله: ﴿ما أسألكم عليه من أجر﴾[٤٧٣].

﴿إلّا من شاء أن يتخذ إلى ربّه سبيلاً﴾[٤٧٤]، وفي قوله: ﴿لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القُربى﴾[٤٧٥]،

لأنَّ إيجاد السَّبيل إلى الله يصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة في القرابة قد انتظمته وإياهم.

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ حفيظ حاضر مهيمن، يعلم أنِّي لا أسأل الأجر ولا أطلبه على نصيحتكم وموعظتكم ودعائكم إليه إلا منه فلا أطمع منكم شيئاً.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ﴾ ويرمي من القذف وهو تزجية السَّهم ونحوه بدفع واعتماد واستعير بمعنى الإلقاء ومنه قوله تع: ﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾[٤٧٦]، ﴿أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم﴾[٤٧٧] ، أي: البحر .

﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ بالرَّفع على أنَّه خبر مبتدأ محذوف. أو (صفة لربي)، أو (منصوب لربي) بناء على اللفظ أو على المدح .

---

٤٧١ محمد ناصرالدين الألباني، صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، ١، ٥١٥.

٤٧٢ الفاطر، ٣٥/٢ .

٤٧٣ الشعراء، ١٠٩/٢٦.

٤٧٤ الفرقان، ٥٧/٢٥ .

٤٧٥ الشورى، ٤٢ /٢٣.

٤٧٦ الحشر، ٥٩ /٢.

٤٧٧ طه، ٣٩/٢٠.

﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾ وظهرت شعشعة أنوار جمالة. ﴿وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا﴾ يظهره بل يبقى على خفائه أبد الآباد والباطل يقتض الحق وهو النفي المحضي والعدم الصرف والممتنع فالممتنع لا يقبل الوجود والظهور أصلاً بل يبقى على عدميه أزلاً وأبداً كما أنَّ الحق وهو الثابت والكون والوجود ولا يقبل العدم ولا ينفي في نفسه ولا يتجاوز عن حده وهو التحقيق والثبوت بل ثابت على حقيقة وكمال حقيقة فإنَّ كل ما يتصوره العقل ثلاثة أقسام:

واجب الوجود، وممكن الوجود، وممتنع الوجود، فالثابت والحق هو الواجب الوجود، والمنفي الممتنع هو العدم الصرف، والمنفي المحض ثابت على العدمية لا يقبل الوجود، والممكن هو في نفسه ليس بموجود ولا معدوم بل يقبل الوجود والعدم بين الواجب الوجود، وهو مورد الأحكام الوجودية والعدمية يقبل الأحكام الوجودية والعدمية فإذا زالت أحدهما على ذات إليها فالقابلة للأحكام محصر في الممكن وهو في كل آن يوجد وينعدم وبيدي الواجب. ﴿يُعِيدُ﴾ فالإبداء والإعادة دائرتان على الممكن قبولاً وتأثيراً وأمّا الممتنع فليس يقابل ولا مؤثر.

﴿قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ﴾ وخفيت في أطوار تأتي الوجودية والعدمية الإفرادية إشارة إلى تفصيل أطوار أعيان الأدوار الوجودية وأدوار أكوان الأكوار العدمية الإفرادية وتطور أحوالها وتنوع أطوارها الوحدانية. يعني: قل يا حقيقة المحمدية واليقين الأولى ساري في تمام اليقينات الوجودية الفورية الجمالية والنكويات العديمة الظلية الجلالية إن ضللت وسيّرت واحتنفت بملابس تعينات الأعيان الوجودية في الأدوار النورية والأكوار الظلية في التنزلات في مراتب الظهورات ومناقب الخفيات. ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ﴾ واختفي .

﴿عَلَىٰ نَفۡسِي﴾ لاحتجابي واستتاري بحجب خصوصيات التعينات الوجودية والتكونات العدمية وأمّا إذا استكملت بالذات والأصالة واستكملت الأعيان المندرجة تحت حقيقتي بالتبعية والضمنية الفرعية الإفرادية ولم يبق لي وللأعيان الضمنية الفرعية والأكوان الخفية التبعية حالة منتظرة انتقلت إلى الكمال الجمعي والجمع الجمالي .

﴿وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ﴾ إلى الصورة الجمعية والهيئة الكلية الإحاطية. ﴿فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ﴾ فذلك بسبب الوحي المشروط بكمال الجمعية. ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾[٤٧٨].

٤٧٨ وهذه السورة ليست كاملة في المخطوطة فيها نقص ثلاث آيات.

الخاتمة

بعد جولة مباركة مع تفسير سور (القصص، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة، الأحزاب، سبأ) للإمام حسام الدين علي بن عبد الله البدليسي أريد أن أذكر في الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها .

إن من نتائج البحث ما ظهر لي أن الإمام حسام الدين البدليسي كان عالماً كبيراً ومتبحراً في كثير من العلوم، وقد ظهر هذا واضحاً في ثنايا تفسيره، واهتمامه بالقراءات وأسباب النزول واللغة والأدب، والفلسفة والنحو، وكذلك من علم الفلكيات، كان عالماً متصوفاً له علاقة قوية بأهل التصوف، وكثيراً ما يستشهد بأقوال الإمام عليَ -رضي الله عنه- ويذكره في مواضع كثيرة ، وكذلك اهتم بآل البيت واعبر عن حبه لهم.

وقد ظهر من خلال التحقيق أنَّه في تفسيره (جامع بين التنزيل والتأويل) قد اهتم اهتماماً كبيراً بذكر أقوال العلماء المتقدمين في تفسير الآيات التي تحتوي أكثر من معنى، ونهج فيها منهج التفسير الإشاري .

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ التعايش مع التراث يكسب الطالب دربة على تذوق كلام القدماء، وأحتسب أني قد استفدت منه كثيراً في هذا السِّفر الشيق المبارك. ومن الصعوبات التي واجهتي في بحثي هذا؛ أني ما وجدت الا نسخة واحدة لهذه المخطوطة، وهي النسخة السليمانية وكان الخط فيها رديئا، والأخطاء كثيرة. مما أحوجني أن أستعين بالاصدقاء والاساتذة للحل كثير من الكلمات والمصطلحات ولا سيما الصوفية منها.

وأكون بهذا التحقيق قد قدمت أنا وأصدقائي عملاً متواضعاً لإخراج هذا الكتاب إن شاءالله محققاً كل حسب قدرته وطاقته، وأسأل الله العلي القدير أن يثيب مؤلفه، ويغفر لمحققه.

وأخيراً نسأل الله تعالى أن ينفعني بما علَمني، ويعلمني بما ينفعني، وصلى الله وسلَم على نبيَنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه بإحسان إلى يوم الدين .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم :

أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)،

أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي ، المتوفى : ٣٠٧ هـ ، مسند أبي يعلى ،المحقق : حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – جدة، ط: الثانية، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .

القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى:١٣٠٧هـ)، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (المتوفى: ٧٦٨هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط : الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، المعجم الوسيط (١+٢)، تح: مجمع اللغة العربية .

إبن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (١٥٩ - ٢٣٥ هـ)، مُصنف إبن أبي شيبة ، تح :محمد عوامة .

إبن البيع، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١١– ١٩٩٠.

إبن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى:٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المحقق: محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

ابن السُّنِّي، عُجالةُ الرّاغِب المُتَمَنِّي في تخريج كِتابِ «عَمَلِ اليَوم وَاللّيلة» ،أبو أسامة، سليم بن عيد الهلالي، دار ابن حزم للطّبَاعة وَالنشر وَالتَوزيع، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ٧٦٩/٢ .

ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبوعمرو، تقي الدين المعروف بإبن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣هـ) ،معرفة أنواع علوم الحديث، المحقق : عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية ، ط : الأولى، سنة النشر: ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م .

ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين المعري الكندي (المتوفى:٧٤٩هـ)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت،ط: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

إبن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييزالصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية-بيروت، ط: الأولى - ١٤١٥ هـ .

إبن دريد، أبو بكر، محمد بن الحسن بن دريد، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين ، سنة النشر- ١٩٨٧ م، مكان النشر- بيروت .

إبن زكريا، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، سنة الوفاة ٣٩٥هـ، معجم مقاييس اللغة، تح: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، سنة النشر ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، مكان النشر بيروت - لبنان .

إبن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بإبن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، المحقق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، ط: الأولى، ١٩٦٨ م.

إبن عاشور، محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (المتوفى:١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير« تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد » الدار التونسية للنشر- تونسسنة النشر: ١٩٨٤ هـ .

إبن عبدالبر، الحافظ يوسف بن البر النمرية، الدرر في اختصار المغازي والسير، المحقق: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف – القاهرة، ط: الثانية ، ١٤٠٣ هـ .

إبن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

إبن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، إختصره، أحمد محمد، تحقيق ، انور الباز ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الثانية .

إبن يعلى ،محمد بن علي بن أحمد بن عمر، أبو عبد الله، بدر الدين البعليّ (المتوفى: ٧٧٨هـ)، المنهج القويم في اختصار «اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام إبن تيمية»، تح: علي بن محمد العمران إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط : الأولى،١٤٢٢هـ.

أبو الفرج، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، نور الدين ابن برهان الدين(المتوفى:١٠٤٤هـ) ، السيرة الحلبية - إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، دار الكتب العلمية – بيروت، ط : الثانية - ١٤٢٧هـ .

-**أبو شجاع**، أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني الملقب إلكيا ، سنة الولادة ٤٤٥ هـ/ سنة الوفاة ٥٠٩ هـ ، الفردوس بمأثور الخطاب، ، تح : السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، سنة النشر : ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، مكان النشر : بيروت

أبوالأرقم، محمد بن رزق بن عبد الناصر بن طرهوني الكعبي السلمي المصري المدني، التفسيروالمفسرون في غرب أفريقيا، أصل هذا الكتاب: رسالة دكتوراة، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية،ط: الأولى، ١٤٢٦ هـ

أبي حيان ، موازنة بين تفسير الكشاف للزمخشري والبحر المحيط الأندلسي ، رسالة دكتوراه بعنوان لموازنة بين تفسير الكشاف الزمخشري وتفسير البحر المحيط الأندلسي ، إعداد : الأستاذ رمضان يخلف ، كلية اصول الدين جامعة الامير عبد القادر الاسلامية – الجزائر .

أبي حيان، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ، ط: الأولى ، تح : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١- د. زكريا عبد المجيد النوقي. ٢- د. أحمد النجولي الجمل.

-**الإسفرَاييني**ّ، أبو عَوانة يَعقُوب بن إسحَاق الإسفرَاييني ّ (المتوفى ٣١٦ هـ)، المسنَد الصَّحيح المُخَرّج عَلى صَحِيح مُسلم، تح: عَبَّاس بن صفاخان بن شهَاب الدّين،بَابا إبْرَاهِيم الكميروني، تنسيق وإخراج: فَرِيق مِن البَاحِثين بكليَّةِ الحَديثِ الشَّريفِ وَالدّرَاسَاتِ الإسلاميَّة بالجَامِعَة الإسلاميَّة ، المملَكة الْعَرَبيَّة السَّعُودية ، ط : الأوُلى، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤م.

-**الأنجري**، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) ، البحر المديد ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الثانية / ٢٠٠٢ م - ١٤٢٣ هـ .

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأُمة، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

الألباني، محمد ناصر الدين،السلسلة الضعيفة ، مكتبة المعارف – الرياض، جامع الأحاديث القدسية- قسم الضعيف والموضوع ، جمعها الشيخ أبو عبدالرحمن عصام الدين الصابطي .

-**العاني،** عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨هـ) ، بيان المعاني، مطبعة الترقي – دمشق، ط: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م .

-**الغزي،** أحمد بن عبد الكريم الغزي، الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث، العامري،

-**المقريزى،** تقى الدين أحمد بن على المقريزى (م ٨٤٥) ، إمتاع الأسماع بما للنبى من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، دار الكتب العلمية ، ط :الأولى ،١٤٢٠/١٩٩٩ ، بيروت ، تح : محمد عبد الحميد النميسى .

الألوسي، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، سنة الوفاة ١٢٧٠هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

إمام الحرمين، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني (المتوفى: ٤٧٨هـ)، أبوالمعالي ركن الدين، مع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، المحقق : فوقية حسين محمود ، عالم الكتب– لبنان ، ط : الثانية ،١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

الإمام الصادق، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، موسوعة طبقات الفقهاء، إشراف : الشيخ جعفر السبحاني ، ط : الاولى ١٤١٨هـ .

الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (المتوفى: ٩٠٥هـ)، تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م .

-**بأبي شامة،** أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥هـ) ، الباعث على إنكار البدع والحوادث ، المحقق: عثمان أحمد عنبر ، دار الهدى – القاهرة ، ط : الأولى، ١٣٩٨ – ١٩٧٨ .

بالسمين الحلبي، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى:٧٥٦هـ) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس،،المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى:٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح، دار الشعب – القاهرة، ط: الأولى، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى:٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن-تفسير البغوي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط : الأولى،١٤٢٠هـ .

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عالم الكتب ، بيروت، ط : الثالثة، ١٤٠٣ هـ.

-**بن مَنْدَه**، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (المتوفى: ٣٩٥هـ) ، التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد لابن منده ، ، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه : الدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي الأستاذ المشارك في قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دار العلوم والحكم، سوريا ، ط : الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبوبكرالبيهقي (المتوفى:٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنات، ط: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

الترمذي، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (المتوفى: نحو ٣٢٠هـ)، نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الجيل، بيروت ،سنة النشر : ١٩٩٢م.

الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون .

الجرجاني، يحيى المرشد بالله بن الحسين الموفق بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني (المتوفى ٤٩٩ هـ)، ترتيب الأمالي الخميسية للشجري، رتبها: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي (المتوفى: ٦١٠هـ)، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ، ط : الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

الجزري، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

جلال الدين المحلي، (محمد بن أحمد) (المتوفى: ٨٦٤هـ)، وجلال الدين السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر) (المتوفى: ٩١١هـ) الشافعيان،التعليق على تفسير الجلالين،الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، ٢٠/١٩.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، السعادة - بجوار محافظة -مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى:٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط: الثانية، ١٩٩٥ م .

الخطيب العمري، ياسين بن خير الله بن محمود بن موسى الخطيب العمري (المتوفى: بعد ١٢٣٢هـ)، الروضة الفيحاء في أعلام النساء .

دروزة، محمد عزت، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ط: ١٣٨٣ هـ.

الدِّيار بَكْري، حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري (المتوفى: ٩٦٦هـ)، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، دار صادر – بيروت .

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى:٧٤٨هـ) سير أعلام النبلاء ، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ، ط : الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

الرازي، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تح :عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، لبنان ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط: الثالثة - ١٤١٩ هـ .

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر سنة الوفاة ٧٢١، مختار الصحاح، تح: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، سنة النشر ١٤١٥ – ١٩٩٥، مكان النشر بيروت .

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية .

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الأعلام، دار العلم للملايين، ط : الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م .

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى:١٣٩٦هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م .

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)

سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)، الأساس في السنة وفقهها- العقائد الإسلامية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، بحر العلوم، دار الفكر - بيروت ، تح : د.محمود مطرجي .

السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، سنة الولادة ٨٤٩هـ/ سنة الوفاة ٩١١هـ، معجم مقاليد العلوم ، تح : أ.د محمد إبراهيم عبادة ، مكتبة الآداب ، سنة النشر ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م، مكان النشر القاهرة / مصر .

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ)، معجم مقاليد العلوم ، تح: أ.د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، سنة النشر ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م، مكان النشر- القاهرة / مصر .

الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥ هـ .

ط: ١٤١٢ هـ.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى:٣٦٠هـ)، الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، آمال بنت عبد العزيز العمرو، المحقق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، ط: الثانية .

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى:٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ،١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م .

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تاريخ الطبري –،تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٧.

الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ)، مسند أبي داود الطيالسي، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر- مصر، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .

العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي، كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس، دار إحياء التراث العربي .

العمراني، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ)، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

الغزي، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي، الشهير الغزي (المتوفى:١٣٥١هـ)، نهر الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، حلب، ط: الثانية، ١٤١٩ هـ .

الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين-بيروت، ط: الرابعة- ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد الفراهيدي، سنة الولادة ١٠٠هـ / سنة الوفاة ١٧٥هـ، كتاب العين، تح : د. مهدي المخزومي - د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، سنة النشر .

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، سنة الوفاة ٧٧٠هـ، المكتبة العلمية، بيروت .

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى:٦٧١هـ) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تح : الصادق بن محمدبن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط : الأولى، سنة النشر- ١٤٢٥هـ .

القضاعي ،محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، سنة الوفاة ٤٥٤، مسند الشهاب، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، سنة النشر ١٤٠٧ – ١٩٨٦، مكان النشر، بيروت.

القيرواني، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه ، المحقق : مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة،بإشراف ،الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة ، ط : الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

القيرواني، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة،ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، دار الكتاب العربي- بيروت، ط : الثالثة - ١٤٠٧ هـ .

الكفومي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، لكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، سنة الولادة ١٠٩٤هـ، تح: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، سنة النشر ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، مكان النشر- بيروت .

الكفومي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني سنة الولادة١٠٩٤هـ، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش- محمد المصري، مؤسسة الرسالة، سنة النشر ١٤١٩هـ- ١٩٩٨ م ، مكان النشر- بيروت .

المحقق : فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم.

مصطفى درويش، محيي الدين بن أحمد (المتوفى : ١٤٠٣هـ)، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية -حمص-سورية، دار اليمامة- دمشق-بيروت، دار ابن كثير- دمشق- بيروت)،ط: الرابعة ، ١٤١٥ هـ،

المظهري، محمد ثناء الله، التفسير المظهري، ،المحقق: غلام نبي التونسي،مكتبة الرشدية-الباكستان،

المعارف، إبن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم ، سنة الولادة ٢١٣هـ / سنة الوفاة ٢٧٦هـ ، تح : دكتور ثروت عكاشة، دار المعارف، مكان النشر القاهرة .

المعافري ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، أبو محمد جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الثانية ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م .

المناوي، عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، سنة النشر ١٣٥٦هـ، مصر .

المناوي، محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، دار الفكر المعاصر، دار الفكر- بيروت، دمشق، ط: الأولى، ١٤١٠، تح : د. محمد رضوان الداية.

نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، دستور العلماء أو جامع العلوم في إصطلاحات الفنون، تح : عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية ، سنة النشر ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م ، لبنان، بيروت .

النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى:٤٦٨هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط : الأولى، ١٤١٥ هـ .

النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، دار الجيل بيروت- دار الأفاق الجديدة - بيروت .

النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، ط: الأولى - ١٤١٦ هـ .

الهروي، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى، ،المحقق: محمد الصباغ،دار الأمانة / مؤسسة الرسالة – بيروت .

الهيثمي، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر المتوفى سنة ٨٠٧، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي، وابن حجر .

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، التَّفْسِيرُ البَسِيْط، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ .

ÖZGEÇMİŞ

KİŞİSEL BİLGİLER

Adı Soyadı	**İsmael Ahmed SALİH**
Doğum Yeri	**Süleymaniye-IRAK**
Doğum Tarihi	**01.02.1986**

LİSANS EĞİTİM BİLGİLERİ

Üniversite	**Suleymanıye Üniversitesi**
Fakülte	**Ulumu'ş-şeria**
Bölüm	

YABANCI DİL BİLGİSİ

İngilizce	**KPDS (…..) ÜDS (….) TOEFL (….) EILTS (….)**
…	

İŞ DENEYİMİ

Çalıştığı Kurum	**Vakıflar Genel Müdürlüğü**
Görevi/Pozisyonu	**İmam**
Tecrübe Süresi	

KATILDIĞI

Kurslar	
Projeler	

İLETİŞİM

Adres	**Süleymaniye-IRAK**
E-mail	**esmaelahmed155@gmail.com** **009647701442891**